جامعة القاهرة
كلية الآداب
قسم التاريخ

لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور	الأستاذ الدكتور	الأستاذ الدكتور
محمد جمال الدين سرور	محمد أمين صالح	السيد عبد العزيز سالم
عضواً	مشرفاً	عضواً

بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد

(من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري)

رسالة دكتوراه

مقدمة من

سليمان عبد الغني مالكي

إشراف

الأستاذ الدكتور / محمد أمين صالح
أستاذ التاريخ الإسلامي
كلية الآداب / جامعة القاهرة

١٤٠١هـ - ١٩٨١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ

بداية كل نعمة وتمام كل خير

اهـــــداء

أهدى هذا البحث الى سيدتى الوالده الحنونه الوفية اعترافا منى لها بالتقدير والعرفان فأثرها فى حسن تربيتى لا أنساه مادمت حيا فبدعائها سرت ، وبفضلها نلت الخير الذى قدره الله لى ، وبقوة ايمانها كان الطريـق المستقيم الذى نهجته وسرت على منواله .

ولا عجب فى ذلك فقد قرن الله طاعة الوالدين بطاعـته سبحانه وتعالى فقال : " وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانـــــا " وفقنى الله لطاعتها فجميلها لاتستطيع الاقلام وصفه ولاقوة البيان شـــرحه فلها الشـكر بعد شـكر الهى ولها الفضل فى مدى الايـــام .

وانى اذ أهدى لها هذا البحث فانما أسأل الله جل ثناؤه أن يجعل خالص عملى هذا فى حسناتها يوم الدين يوم لاينفـــع مال ولا بنـــون .

اهـداء ولدك

ســــــليمان

محتويات الرسالــــة

الموضـــــــوع	الصفحـــة

* * *

المقدمة

المقدمة

حمدا لمن جعل مكة مهوا أفئدة المؤمنين تحقيقا لدعوة ابراهيم عليه السلام وشرفها بمبعث خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم •

وبعد •••

تهفو أفئدة المسلمين فى شتى بقاع الأرض الى الأراضى المقدسة حيث الكعبة المشرفة فى مكة ومثوى النبى الكريم فى المدينة المنورة • وحق علينا أن نبحث فى تاريخ الحجاز فى العصور المختلفة على امتداد العصر الاسلامى • وكان لى شرف كتابة رسالة لدرجة الماجستير عن مرافق الحج والخدمات المدنية فى الأراضى المقدسة منذ السنة الثامنة للهجرة حتى سقوط بغداد • فشعرت أن تاريخ بلاد الحجاز لايزال بحاجة الى بحوث عدة • فكان اختيارى لموضوع بلاد الحجاز منذ بداية عهد الاشراف حتى سقوط بغداد ، موضوعا لبحث جديد اتقدم به لدرجة الدكتوراه •

فقد ظل أمر مكة والمدينة فى يد ولاة من رجال الدولة الاسلامية يعينهم الخلفاء الأمويون ثم العباسيون من غير أهل البلاد غالبا ، ودون العلويين من آل الحسن أو آل الحسين ابنى على بن أبى طالب بصفة

خاصة . فهؤلاء قد ابعدوا تماما على أية ولاية لهم على مكة أو المدينة وظلوا مجرد رعايا يعيشون بالحجاز أو يخرجون الى مختلف الأمصار.

ولاشك أن هؤلاء العلويين كانوا غير راضين عن ابعادهم عن أمور الولاية فضلا عن انقلاب الخلافة الى بنى أمية ثم بنى العباس دونهم . ثم ان بطش الخلفاء بهم وفشل ثورتهم الجأت فريق الشيعة الاسماعيلية الى مبدأ تستر الائمة وأسلوب الدعوة السرية الى الامام المهدى فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى فى المشرق والمغرب ، حتى أعلنت الخلافة الفاطمية فى افريقيا أواخر القرن الثالث الهجرى.

ولما كانت الخلافة الفاطمية تؤمن بسيادتها الشرعية على العالم الاسلامى دون الخلافة العباسية فى بغداد أو الخلافة الأموية التى أعلنت بالاندلس فى العقد الثامن من القرن الرابع الهجرى ، فانها دخلت فى صراع طويل لتحقيق تلك السيادة . فكان امتداد الخلافة الفاطمية نحو المشرق بدءا ببرقه ثم مصر والشام وكذا الجزيرة العربية .

واذا كان الفتح الفاطمى لمصر والشام قد تم بالقوة العسكرية ، فان النفوذ الفاطمى فى الحجاز قد جاء بطرق سلمية مهد له الفاطميون بحذق

ومهارة • فنراهم يشـجبون أعمال القرامطة دعاة الاسماعيلية الذين هاجموا مكة عام ٣١٧ هـ واعملوا النهب والقتل ، وأكثر من ذلك اقتلاع الحجـــــر الاسـود ، حتى أعادوه الى مكانه عام ٣٣٩ هـ بمساعى الخلفــــاء الفاطميين المهدى ثم القائم ثم المنصور •

كذلك سعى المعز لدين الله الخليفة الفاطمى الرابع الى عقـــد الصلح بين الأسرات العلوية المقيمة بالحجاز واصلاح ذات بينهم وتحمــل ديات القتلى منهم عن طريق سفاره أرسلها لهذا الغرض • وقد رجحنـــا أن لهذه السفاره غرضا سريا آخر وهو الاتفاق على دخول الســـاده العلويين فى تبعية الخلافة الفاطمية بسبب ماقدمته من أيادى بيضــــاء ومابينهم من قرابه ، على أساس توليتهم أمر مكـة والمدينـة ومساعـــدات مالية وعينية ترسل اليهم سنويا • وتحدد تنفيذ هذا كله بنجاح الفتـــح الفاطمى لمصـر •

فما أن تم ذلك الفتح عام ٣٥٨ هـ حتى بادر جعفر بن محمد وبنى سليمان من آل الحسن بن على بن أبى طالب بتقلد أمر مكـه والدعوة باســم الخليفة الفاطمى فى خطبة الجمعة وكذلك طاهر بن مسلم من آل الحســين

ابن على بن أبى طالب بالمدينة عام ٣٦٠ هـ ٠

وهكذا جاء تولى السادة من ال البيت شئون الحجاز بشكل استقلال ذاتى فى اطار التبعية فى الخلافة الفاطمية صار يطلق عليهم لقب الاشراف ٠

واذ كان الفصل الأول من هذا البحث الذى تناول الناحية السياسية قد تعرض لتلك الظروف التاريخية التى أدت الى قيام حكم الاشراف فى الحجاز فقد صاحب ذلك بداية فكر اسلامى جديد مؤداه أن من يدعى باسمه على منابر الحرمين الشريفين فهو صاحب السيادة الشرعية فى كافة أنحاء العالم الاسلامى ٠ ومن ثم ظهر التنافس الشديد بين الخلافتين العباسية السنية والفاطمية الشيعية حول الحجاز ٠ ووجد الاشراف فى الاعتراف بهذا الخليفة أو ذاك وسيلة لضمان وصول الاعطيات السنوية دون انقطاع ولهذا تعرض البحث الى تلك التطورات التى صاحبتها استخدام القوة العسكرية أحيانا مما أدى الى بعض الاضطرابات ٠

وكما أنهى صلاح الدين الايوبى الخلافة الفاطمية فى مصر سنة ٥٦٧ هـ فقد اهتم أيضا بأمر الحجاز واليمن لاسباب سياسية واقتصادية واستراتيجية أيضا ٠ فدخل أشراف مكة فى طاعة الايوبيين ، كما حكم فرع أيوبى بلاد

اليمن وقام الايوبيون بواجبهم فى حماية الاراضى المقدسة من اعتداءات الصليبيين . وبلغ النفوذ الايوبى ذروته بالحجاز عن طريق هذا الفرع الايوبى فى اليمن الذى أتيحت له فرصة التدخل المباشر فى ظروف النزاع بين الاخوة على منصب الامرة فى مكة بأن أوجد له نائبا مقيما فيها بجوار الشريف الذى لم يكن شيئا مذكورا بجانب هذا النائب الذى صار له امرة الحرمين وقيادة الجند وادارة المال .

ولم يلبث أن ورث بنو رسول الايوبيين حكم اليمن مستمرا فى تثبيت نفوذهم على مكة ولهذا شاهدت مكة صراعا بين اليمن ومصر ظهر فى مواسم الحج من كل عام . لمن يكون له شرف التقدم والرئاسة لامير الحج اليمنى أم لامير الحج المصرى .

كذلك تضمن هذا الفصل دراسة الأحوال الداخلية بالحجاز تحت حكم الاشراف أولا لبحث العلاقة بين الاشراف حكام مكة ، وهل كان الوئام والاتفاق يسود سائر بيوتات العلويين بالرضا عن الشريف القائم بالحكم ؟ واثبت البحث أنه بجانب انتقال الحكم الى ثلاث أسرات متعاقبة من آل الحسن هم بنو سليمان ثم الهواشم ثم بنو قتاده ، فقد أصاب هذه الاسرات

آفة الصراع بين أسراتها وخاصة فى عهد الهواشم وبنو قتاده وصل الى حد اغتيال الابن وأبيه وعمه ، والنزاع بين الأخوة وأولاد العم ، واستنجاد الاطراف المتنازعة بقوة خارجية بشكل أحدث الاضطرابات والقلاقل الكثيرة والمعارك التى سقطت فيها كثير من القتلى والجرحى .

كذلك تعرضنا لدراسة العلاقة بين أشراف مكة وأشراف المدينة ، واظهرنا مدى تطلع بنى قتادة حكام ينبع سابقا الى ضم امرة المدينة اليهم بجانب امرة مكه حتى يصبحوا ملوك الحجاز . ثم انتقلنا الى دراسة أوضاع عرب الحجاز سواء بنصرة بعض أشراف أو الانقضاض عليهم من ناحية ، وتأثير ذلك على حالة الأمن والفساد من ناحية أخرى .

كذلك شملت هذه الأحوال الداخلية سياسة الأشراف بحكم الحجاز وخاصة فى مسألة المكوس التى كان الاشراف يعتبرونها حقا من حقوقهم يحصلونها من الحجاج والتجار الذين يفدون فى الموسم من كل عام بمورد مالى بجانب مايرد اليهم من أعطيات الخلفاء الفاطميين أو العباسيين . وكما لعبت تلك الأعطيات دورها فى اقرار الاشراف التبعية لأى من الخليفتين كذلك ظهر أثر انقطاعها أو قلتها الى التجار الاشراف الى تعويضها بفرض المكوس،

وخلصنا من استعراض تاريخى لفرض المكوس أو الغائها الى ماكان هناك من قلاقل واضطرابات تحدث بشأنها رغم سياسة الايوبيين فى وقف مثل هذه المكوس فى نظير المساعدات المالية السنوية .

ثم جاء دراستنا لبعض النواحى الحضارية ببلاد الحجاز بادئين ببحث امارة الحج ؛ وخدماته والوظائف التابعة لامير الحج ونظام الامارة منذ نشوئها فى عهد الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - والمهام التى يقوم بها أمير الحج فهى امارة وقتية يتم تعيين أمير الحج فى كل سنة مع خروج الركب ومع أهميتها بالنسبة لأداء الركن الخامس من أركان الدين ، هذا مع بيان الاشخاص الذين يعملون مع أمير الركب لمساعدته فى تقديم الخدمات اللازمة للحجاج من مبشرين وحاملى المشاعل والطباخين وغيرهم . ثم تحدثت عن كسوة الكعبة المشرفة وكسوة الحجرة النبوية الشريفة ونفقات هذه الكسوة وأمكنة صناعتها مع ابراز أهم المنسوجات التى تصنع منها هذه الكسوة والآيات القرآنية التى تكتب على الكسوة مع بيان فترة التنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية ومحاولة كل خلافة كسب ولاء أمير مكة بالاسراع فى ارسال الكسوة اليه، ودور الكسوة فى صبغ هذا التنافس بين الخلافتين بطابع دينى سياسى .

كذلك شمل هذا البحث طرق الحج في مصر والشام والعراق واليمن مع وصف عام لكل طريق والخدمات التي قدمت في هذه الطرق ودور الاعراب قاطني هذه الطرق وكيف كانوا يملأون الطرق بالأمن والاستقرار اذا أرسلت لهم الأعطيات ويملأونها بالرعب والخوف اذا تأخرت عنهم الأعطيات ٠

وتناول الفصل الثالث (الأحوال الاقتصادية) وتشمل النشاط التجاري في مدن وموانئ الحجاز التجارية والسلع التي كانت ترد الى بلاد الحجاز والعلاقات الاقتصادية بين الحجاز والمدن الاسلامية ٠ ثم تعرضت للضرائب والمكوس وطرق جبايتها المختلفة ٠ وأبرزت الحرف التي كانت متوفرة في بلاد الحجاز وأهمية هذه الحرف بالنسبة للسكان عموما والصناعات التي كانوا يزاولونها وأهمية هذه الصناعات في الحياة الاقتصادية لبلاد الحجاز وأخيرا تحدثت عن دار ضرب العملة الذي أنشئ في مكة المكرمة ودور أعطيات الخلفاء لولاة الحجاز وأهمية هذه الأعطيات بالنسبة لولاة مكة والمدينة ٠

وناقش الفصل الرابع (الحياة الاجتماعية) في بلاد الحجاز اذ أبرزت فيه طبقات المجتمع الحجازي في كل من المدينتين المقدستين مكة المكرمة

والمدينة المنورة وما امتازت به هذه الطبقات فى هذا المجتمع الذى يعتبر هو حصيلة خليط المجتمعات الاسلامية التى أتت الى مكة وجاورت فيها واستقرت حتى أصبح أفراد هذه المجتمعات الوافدة جزءا من السكان الاصليين ثم ناقش البحث العادات الدينية التى امتاز بها سكان الحجاز وانتشرت بينهم حتى أصبحت أعيادا يقومون باحيائها فى كل عام كما تحدثنا عن العادات الاجتماعية فى هذا المجتمع الذى يعتبر خليط من عادات المجتمعات الاسلامية المختلفة بجانب الاعياد والمواسم والاحتفالات المختلفة والاطعمة والاشربة التى كانت منتشرة فى هذا المجتمع ثم تحدث عن المنشآت الاجتماعية فى مكة والمدينة والتى تتمثل فى الاربطة ودورها فى الحياة العلمية .

وتناول الفصل الخامس الحياة العلمية والعمرانية مبرزا المراكز العلمية وعلى رأسها المسجدين الحرام والنبوى الشريف ثم الكتاتيب والمدارس وأشهر العلماء الذين تصدوا للتدريس فى هذه المراكز ، وكذلك العلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث ، ثم تحدثت عن الحياة الادبية وأشهر الادباء والعلماء والمجاورين بالحرمين الشريفين ومشاهير القضاة والحياة

العمرانية مبتدءا بتوسعة المسجدين الحرام والنبوى وأيضا تحدثت عن بناء المساجد وتجديدها وبناء الاسوار حول المدن والاعلام وأخيرا بناء القلاع والحصون وتجديدها وأهمية هذه القلاع والحصون فى صد غارات المعتدين على هذه المدن الاسلامية ٠

ويجدر بنا أن نقدم دراسة نقدية لأهم مصادر البحث التى أمدتنا بالمادة العالمية لهذه الرسالة وأهمها المصادر المخطوطة ٠

ابن فهد : كتابه (اتحاف الورى) :

أمدنا بمعلومات وافية عن الحوادث التى وقعت فى مكة ورتب كتابه حسب السنين وأيضا أمدنا بمعلومات عن الحياة العلمية فى بلاد الحجاز وذكر لنا أشهر العلماء ٠

الرشيدى : (حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امارة الحاج) :

اشتمل كتابه على معلومات وفيرة عن امارة الحج وطرقه الرئيسية وأهم الحوادث التى وقعت فى هذه الطرق ودور بعض الأمراء فى القضاء على هذه الحوادث ٠

الصبـــاغ : (تحصيل المرام فى أخبار البلد الحرام) :

استفدت من كتابه فى معرفة بعض الوافديـن والمجاورين وأهمية الأربطـة فى الحياة العلمية ٠

ابن الضيـاء (تاريخ مكة والمسجد الحرام والمدينة المنورة) :

تحدث المؤلف فى كتابه هذا عن تاريخ مكة المكرمة ووصفه الكعبة المشرفة وحجر اسماعيل عليه السلام واهتم بوصف المدينة المنورة وركز على وصفـــه المسجد النبوى الشـريف والاصلاحات التى طرأت عليه والاضافات الـــتى عملت له كما ذكر لنا وصفا دقيقا عن الحجرة النبوية الشـريفة ٠

محمد بن على الحسينى (اتحاف الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن) :

وهو من جزءين يهمنا فى بحثنا الجزء الأول منه الذى خصصه مؤلفـــه للحديث عن تاريخ مكة وأمرائها من بنى الحسن حتى سنة ٦٦٠ هـ وقد اهتـم المؤلف فى هذا الجزء بابراز محاسن أمراء بنى الحسن ولم يذكر شيئا عـــن مساوئهم كما تحدث عن الحياة السياسية فى مكة ٠

الفاسى (تحفة الكرام فى اخبار البلد الحرام) :

هذا الكتاب مختصر لكتاب المؤلف (شفاء لغرام) وقد أبرز فيه المنشآت التى أقامها سلاطين بنى رسول بالحجاز مثل الآبار والسبل والاربطة والمدارس.

ابن الاثير (الكامل) :

من أهم المصادر التاريخية التى أمدتنا بمعلومات تاريخية عن بلاد الحجاز فى العصرين الفاطمى والايوبى .

ابن واصل (مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب) :

أمدنا بمعلومات قيمة عن بلاد الحجاز فى العصر الايوبى لذا يعد من أهم الكتب لموضوع البحث.

ابن أيبك (كنز الدرر وجامع الغرر) :

المؤلف من علماء القرن الثامن الهجرى. ذكر لنا فى كتابه تراجم الحكام والخلفاء والسلاطين حتى منتصف القرن الثامن الهجرى .

الفاسى (العقد الثمين فى تاريخ البلد الامين) - (شفاء الغرام) :

اهتم المؤلف فى الكتاب الاول بذكر التراجم لعموم العلماء والقضاة الذين عاشوا فى مكة .

وفى الكتاب الثانى أهتم بأخبار البلد الحرام وبالنواحى الاجتماعية والسياسية والعمرانية وأمدنا بمادة علمية وفيرة .

ابن النجار (الدرة الثمينة فى أخبار المدينة) :

هذا الكتاب من المصادر الهامة لموضوع البحث لانه يمتاز بذكر الحياة الادبية بالمدينة المنورة وقد أمدنا بمعلومات فى الفصل الخامس من هذه الرسالة .

الفاكهى (المنتقى فى أخبار أم القرى) :

اهتم المؤلف بالحياة الاجتماعية والعلمية فى مكة المكرمة وأمدنا بدراسة عن النواحى الاقتصادية لبلاد الحجاز .

النهروالى (الاعلام بأعلام بيت الله الحرام) :

هو محمد قطب الدين بن أحمد علاء الدين بن محمد بن قاضى خان

ابن بهاء الدين بن يعقوب بن حسن بن علي ولد سنة ٩١٧ هـ وتوفى سنة ٩٩٠ هـ كان من أعيان سكان مكة عمل مدرسا بالمدرسة السليمانية وله مؤلفات كثيرة منها تراجم طبقات الحنفية . وكتابه الاعلام أمدنا بمعلومات عن الحياة الاجتماعية والعلمية والعمرانية فى بلاد الحجاز .

ابن ظهيرة (الجامع اللطيف) :

ألقى المؤلف فى هذا الكتاب الضوء على النواحى السياسية لبلاد الحجاز أم النواحى الاقتصادية فقد جاءت مختصرة .

ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر) :

أمدنا بمعلومات عن أمراء مكة فترة التنافس بين الفاطميين والعباسيين كما أمدنا بمعلومات عن أمراء المدينة من بنى مهنا وأحوال بلاد الحجاز فى عهد صلاح الدين .

المقريزى :

من مؤرخى تاريخ مصر . أدمنا بمعلومات قيمة عن الحياة السياسية والحج وأمارته والمنشآت الاجتماعية المختلفة التى أنشئت بمكة .

وللمقريزى عدة مؤلفات أهمها :

١) المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط والآثـــار •

٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا •

٣) السلوك بمعرفة دول الملوك •

٤) الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك •

وقد استفدت من الكتاب الأول بما ذكره المؤلف عن بناء أسوار حـــول المدن وعن النواحى العلمية •

أما الكتاب الثانى فقد أمدنى بمادة علمية تبين اهتمام خلفاء الدولـــــة الفاطمية ببلاد الحجاز والتنافس الذى حدث بين الخلافتين العباسيـــــة والفاطميـــة •

ومن الثالث مددت بمعلومات وفيرة عن العصر الأيوبى والحياة الاقتصاديـــة لبلاد الحجاز•

ومن الرابع أخذت معلومات تاريخية عن كل من حج من الخلفاء من بغـــداد أو القاهرة وما جهزه الخلفاء وماقدموه لأهالى الحرمين •

السمهودى (وفاء الوفا) :

من الكتب المتخصصة فى تاريخ المدينة ..

ذكر لنا الزيارات التى حدثت للمسجد النبوى الشريف وزودنا بمعلومات وفيرة عن الحياة الاجتماعية والعمرانية والعلمية .

السخاوى (التحفة اللطيفة) :

من الكتب المتخصصة فى تاريخ المدينة

اهتم بالتراجم وبالحديث عن العلماء والقضاة الذين جاوروا فى المدينة .

الخزرجى (العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية) :

يتحدث المؤلف عن نشأة دولة بنى رسول وعلاقاتهم الخارجية والأحوال الاقتصادية والاجتماعية والعلمية فى عهد دولتهم ومدى تأثر اليمن بالحجاز فى هذه الحقبة الزمنية .

ابن الديبع (قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون) :

يتحدث هذا الكتاب عن تاريخ بلاد اليمن منذ عصر الولاة حتى نهاية دولة بنى رسول وقد أمدنا بمادة علمية وفيرة عن الحياة السياسية فى عصر الصليحيين

ومدى علاقاتهم بأمراء الحجاز وبخلفاء الدولة الفاطمية ودورهم فى نشر المذهب الشيعى ثم تنافس بنى رسول والايوبيين على بلاد الحجاز.

يحيى بن الحسين (غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى) :

رتب المؤلف فى كتابه الحوادث ترتيبا زمنيا وتحدث عن سيطرة الايوبيين على بلاد اليمن ثم سيطرة بنى رسول وأمدنا بمعلومات قيمة عن الأحوال السياسية فى هذه الحقبة الزمنية لهذا البحث.

ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة) :

تحدث هذا الكتاب عن فترة تنافس العباسيين والفاطميين وعن الحياة العلمية فى بلاد الحجاز.

أما كتب الرحلات فقد كان لها دور بارز فى معرفة الحياة الاجتماعية والعلمية لبلاد الحجاز وأهم هذه الكتب :

١- سفر نامه (ناصر خسرو) :

من أقدم كتب الرحلات وقد ولد مؤلفه ناصر خسرو سنة ٣٩٤ هـ وقام برحلته فى الفترة من ٤٣٧- ٤٤٤ هـ مبتدءا من مدينة (مرو) بخراسان

حتى وصل الى بلاد الشـام وفلسطين ومصر ثم أتى الى مكة حاجا وقصد المدينة ثم عاد الى العراق وايران والف كتابه فى عهد الخليفة المستنصر الفاطمـــس وذكر لنا الاعطيات التى كان يرسلها الخليفة لامراء مكة والمدينة كما ذكر لنـا وصفا دقيقا عن أحوال المجاورين بالمدينتين المقدستين •

٢) الرحلـة (ابن جبير) :

تحدث موءلف هذا الكتاب عن أحوال بلاد الحجاز زمن صلاح الديـــن ووصف لنا الطريق البحرى الموءدى الى مكة وصفا دقيقا موضحا الصعوبـــات التى كانت تواجه الحجاج فى هذا الطريق كما أمدنا بمعلومات عن الاعتداء الصليبى على البحر الاحمر وموقف السلطان صلاح الدين من هذا الاعتـــداء وأيضا رسم لنا صورة حسنة عن الحياة الاجتماعية فى كل من المدينتين مكـــة المكرمة والمدينة المنورة •

٣) ابن بطوطـــة :

من أشـــهر كتب الرحالة التى أمدتنا بمعلومات وفيرة عن الحياة الاجتماعية والعادات الدينية فى مكة المكرمة والمدينة المنورة •

كما حدثنا الموءلف عن الحياة العلمية فى بلاد الحجاز ودور المـــدارس والكتاتيب والاربطة فى هذه الحياة •

ولايسعنى فى النهاية الا أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان بالجميل لأستاذى العالم الجليل الأستاذ الدكتور محمد أمين صالح أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية الآداب جامعة القاهرة لتفضله بالاشراف على هذه الرسالة وانارة الطريق لى بتوجيهاته وارشاداته وفتح أمامى مغاليق ما استعصى من هذا البحث بغزير علمه فجزاه الله عنى وعن طلابه خير الجزاء .

كما أشكر أساتذتى الافاضل الذين شاركوا فى قراءة هذا البحث وتحملوا مشقة مناقشتى رغم مشاغلهم وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد .

انه سميع مجيب الدعاء .

* * *

الفصل الأول

الحياه السياسية فى بلاد الحجان

أولا : الحجاز قبيل حكم الأشراف

توطئـــه :

زالت الأهمية السياسية لبلاد الحجاز التى كانت مقر الدعوة الاسلامية ومركز الدولة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشديسن فى مواجهة الأمصار الاسلامية الناشئه ، فتحولت بلاد الحجاز الى مجرد ولاية تابعه لسلطان الأمويين ثم العباسيين ، ومع كل فقد ظل الحجاز ذا مكانة دينية خاصة فى نفوس المسلمين فى شتى بقاع الأرض الذين يأتون كل عام لأداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام بمكه المكرمة وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنوره (١) .

ومع كل فان العلويين من آل الحسن وآل الحسين ابن على بن ابى طالب سكان هاتين المدينتين المقدستين كانوا يشعرون أنهم أصحاب حق مهضوم لانقلاب الخلافة الى غيرهم من الأمويين ثم العباسيين ، فشهدت أرض الحجاز ثورة ابن الزبير فى العصر الأموى وكذا ثورتين علويتين فى العصر

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ١٢١ .

الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ص ١٨٠ القاهره ١٩٥٦ .

دحلان : خلاصة الكلام فى بيان أمراء البيت الحرام ص٦ القاهرة ١٩٧٧ .

السباعى : تاريخ مكه جـ١ ، ص ٧٣ القاهرة ١٩٦٢ .

العباسى تمكن الخلفاء العبسيون الأوائل من اخمادها بالبطن والقوة جعلت العلويين فى خوف شديد على حياتهم فلجأوا الى السكون وان عمد الأئمة من آل البيت من نسل الحسين الى أسلوب الدعوة السرية لتحقق أهدافهم فى تولى امامة المسلمين (١) .

ومن ثم شهد القرن الثالث نشاط الدعوة الاسماعيلية فى جهات متفرقة من العالم الاسلامى وأثمرت الدعوة باعلان قيام الخلافة الفاطمية فى المغرب عام ٢٩٨ هجريه فى وقت ضعفت فيه الخلافه العباسية أمام سيطرة العناصر التركية على مقدرات الدولة ، ورأت الحجاز على أبواب تطورات سياسية خطيرة (٢) .

---

١) الفاكهى : المنتقى فى أخبار أم القرى ٧٦ دار الكتاب اللبنانى ١٩٦٠ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ١٨٤ .
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ٦١ دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٧ .
السباعى : تاريخ مكه جـ١ ٧٣ .

٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ١٢٣ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ١٨٤ .
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٦٨ .
السباعى : تاريخ مكه جـ١ ٧٤ .

ففى مطلع القرن الرابع الهجرى قامت ثورة علويه بزعامة محمد ابن سليمان من آل الحسن فى مكه المكرمة وأعلن نفسه خليفة على أرض الحرمين (١) .

ففى موسم الحج عام ٣٠١ هجرية انتهز فرصة تجمع الحجيج واستولى على الامارة التى كانت بيد الوالى العباسى وأعلن نفسه خليفة فى خطبة أوردها ابن خلدون (٢) وقال فيها " الحمد لله الذى أعاد الحق الى نظامه وأبرز زهرة الايمان من أكمامه وكمل دعوة الرسل بأسباطه مشيرا الى خلافة بنى العباس كانت غير مشرعية وأنهم اغتصبوا الحق من أهله وهم آل بيت النبوة .

غير أن المصادر التاريخيه لم تشر الى تفاصيل كثيره تبين لنا أهداف هذه الثوره فهل كانت قاصرة على الحجاز وحده . أم كان محمد بن سليمان هذا ينوى استكمال معداته والقضاء على الخلافة العباسية . بل أن تلك المصادر تجاهلت الحديث عن مصير هذه الثورة فظلت مكة تابعة للخليفه

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ١٣٠ .
ابن خلدون : العبر جـ٤ ١١ دار لبنان ١٩٧٤ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ١٨٥ .
سرور : سياسة الفاطميين الخارجيه ١٩ القاهرة ١٩٧٦ .

٢) ابن خلدون : العبر جـ٤ ١٢ .

العباسى الذى كان يعين واليا عليها كما يؤكد ذلك ابن خلدون (١) من أن أمير الركب العراقى كان يتولى أمر الخطبة فى الموسم بمكه .

ولم يلبث أن تعرض الحجاز الى هجوم خطير من جانب القرامطة دعاة الفاطميين فى شرق الجزيرة العربية ففى عام ٣١٧ هجريه دخل القرامطة مكة بقيادة أبى طاهر القرمطى واستطاعوا هزيمة ابن محارب الوالى العباسى على مكة الذى لم يستطع لهم وفقا وانتهى الأمر بقتله واستولى القرامطة على مكة (٢) .

ويتنازع المؤرخون الرأى فى الأسباب التى دعت الى قيام أبى طاهر القرمطى بحملته على مكه فيدعى بعض المستشرقين من أمثال أوليرى دى لاسى (٣) .

---

١) ابن خلدون : العبر جـ٤ ٣٨ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ١٨٧ .
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ٧٠ .
السباعى : تاريخ مكه جـ١ ١٢١ .

٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢٠٠ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ١٨٦ .
ابن خلدون : العبر جـ٤ ٦٨ .
السباعى : تاريخ مكه جـ١ ١٢١ .
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ١ ٩٨ .

٣) A Short History of the fatimid Khalifate p. 86.

ان تلك الحملة كانت بتحريض من عبيد الله المهدى الخليفة الفاطمى في المغرب ويدلل على ادعائه بأن أبا طاهر القرمطى قد دعا للخليفة الفاطمى في خطبته عقب احتلال مكه .

ولا شك أن هجوم القرامطة كان من شأنه إضعاف هيبته الخلافة العباسية ويدلل على عدم قدرتها على حماية الحج في الحجاز وهو ما كان يهدف اليه القرامطه والفاطميين معا ومع أن الدكتور سرور (١) ينفى أن يكون هناك علاقة سرية بين القرامطة والفاطميين في القيروان في أول الأمر الا أنه عاد في موضع آخر وأقر بخضوع القرامطه لسلطان الفاطميين . ونرى أن القرامطة أرادوا التقرب للخليفة الفاطمى بهذا الهجوم الذى شنوه على مكة وكتبوا للخليفة الفاطمى ليبارك لهم هذا العمل غير أن الخليفة الفاطمى استنكر هذه الافعال الشنيعه التى أرتكبوها من قتل ونهب وسلب وانتزاع الحجر الأسود من مكانه فرد عليهم الخليفه بقوله " والعجب من كتب الينا ممتنا علينا ما أرتكبه واحترمه باسمنا في حرم الله وجيرانه بالأماكن التى لم تزل الجاهلين تحرم أراقة الدماء فيها واهانة أهلها بل تعديت ذلك وقلعت الحجر الأسود وحملته الى أرضك ورجوت أن تشترك فلعنك ثم لعنك والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وفعل في يومه مافعله في حساب غده "(٢) .

---

١) سرور : سياسة الفاطميين الخارجين ٤٥ .
٢) ابن خلدون : العبر جـ٤ ٨٩ .

ومهما يكن فى أمر ان الحجاز بات فى شبه عزلة اذ لم يستطع الركب العراقى الحضور للموسم مدة عشرين عاما بسبب اعتداءات القرامطه المستمرة على قوافل الحجاج علاوة على غارات الأعراب المعتادة فى وقت غياب السلطة الرادعة .

ومع كل فان الخلافة العباسية سرعان ما أعدت العدة للقضاء على القرامطة وبذلك عاد نفوذ العباسيين وأقيمت الخطبه فيها للخليفه الراضى عام ٣٢٧هـ (١) ولأن الخليفه غير قادر على استمرار حماية الحج والحرمين فقد أسند ولاية الحرمين الى والى مصر محمد بن طغج الاخشيدى الذى يقيم الدعوة فى المنابر المصريه للخلافة العباسية وان كان يذكر اسمه مع الخليفه فأصبحت تقام لابن طغج أيضا فى مكة والمدينة مع الخليفة ولم يعارض المتقى أخو الراضى هذا الاجراء بل أيده بضم الحجاز كله الى ولاية الاخشيديين (٢).

---

١) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ٣٤٠ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهره جـ٣ ٣٨ .
المقريزى : الخطط جـ١ ٢٣٠ .
الجزيرى : درر الفوائد ٢٣٧ .
دحلان : خلاصة الكلام ٢٧ .
٢) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ٣٤٨ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهره جـ٣ ٤٨ .
سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ٢٠ .
سيده كاشف : مصر زمن الاخشيديين ١٥٣ .

على أن ولاية الحجاز لم تدم طويلا أيضا للاخشيديين فعندما حاز بنو بويه على السلطة فى مقر الخلافة العباسية وصارت الأمور اليهم حاولوا ذكر أسمائهم مع اسم الخليفه فى الخطبه فى بغداد وسائر الأمصار الاسلامية ، وظهر بوضوح هذا النزاع فى الحجاز سنة ٣٤٢ هـ حيث حاول كل من أميرالحج المصرى وأميرالحج العراقى أن يذكر اسم صاحبه فقط ولم ينته الأمر الا بعد قتال عنيف انتصر فيه الجانب العراقى ودعى لأل بويه مع الخليفه على منابر مكه (١).

* * * *

---

١) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ٥٠٦ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ١٨٩.
الجزيرى : درر الفوائد ٢٤٤ .
سيده كاشف : مصر زمن الاخشيديين ١٥٥ .

الحجاز بين الخلافتين الفاطميه والعباسية

من المعلوم أن الخلافة الفاطميه كانت تعتقد في سيادتها الشرعيه الوحيده على العالم الاسلامي دون العباسيين في المشرق أو الامويين في الأندلس ، وأن تمسكها بشرعيتها هذه دفعها الى عدم اقتناعها ببسط سيادتها على بلاد المغرب فحسب بل مواصلة سياسية الحرب لاخضاع جميع العالم الاسلامي تحت سلطاتها المباشر . ومن هنا كان اهتمامها بأمور المشرق منذ البداية سواء تم ذلك بنشاط الدعوة الاسماعيلية أو بتوجيه حملات مباشره في اتجاه الشرق بدءا ببرقه ومصر (١) .

ولا شك أن بلاد الحجاز كانت ضمن برنامج الخلافة الفاطمية اذا كانت مركز الحج ومقر الحرمين الشريفين .

وبالرغم من أن القرامطة دعاة الاسماعيلية قد غزوا مكه ودعوا للخليفه الفاطمي فان ما اقترفوه من آثام وقتل ونهب بل ونزع الحجر الأسود من مكانه . جعل الخليفة الفاطمي يرفض أن تأتي سيادته على الحجاز بهذا

---

١) المقريزي : اتعاظ الحنفا جـ١ ١٠١ .
الجزيري : درر الفوائد ٢٤٠ .
البرادي : الدره السنيه ١٠ .
السباعي : تاريخ مكه جـ١ ١٧٠ .

الطريق الدموى • ومن ثم فانه ندد بأعمال القرامطة وناشدهم باعـــادة الحجر الأسود الى مكانه • وكانت استجابتهم لندائه واعادة الحجر الـى مكانه فى عهد الخليفه المنصور الفاطمى قد رفعت ومن شأن الفاطميين دون العباسيين الذين فشلوا فى هذا المـعـن وهناك عامل آخر رفع صـــيت الفاطميين بالحجاز حينما نجحت سفارة الخليفة المعز لدين الله الفاطمـى لحل المنازعات الأسريه بين العلويين من بنى الحسن (١) ونجحت هـــذه السفاره بعقد الصلح بين العلويين فى المسجد الحرام وتحمل الخليفة الفاطمى ديات القتلى منهم جميعا (٢) •

واذا كان المعز لدين الله الفاطمى قد أنهى مشاكله فى القرب وتفـرغ لفتح الشرق فاننا نعتقد أن هناك هدفا سريا من وراء هذه السفارة الفاطمية

---

١) ابن فهـــد : اتحاف الورى ورقه ٢١٧ •
الجزيرى : درر الفوائد ٢٤١ •
البرادعى : الدره السنيه ١٢ •
السباعى : تاريخ مكه جـ١ ١٧١ •
٢) الجزيرى : درر الفوائد ٢٤٣ •
الفاســى : شفاء الغرام جـ٢ ١٨٩ •
ســـرور : سياسة الفاطميين ٢٤ •
البرادعى : الدره السنيه ١٣ •
السباعى : تاريخ مكـــه جـ١ ١٧٢ •

للحجاز لابرام الصلح بين أفراد العلويين هناك وهو الاتفاق على توقيت اعلان تبعية الحجاز للخلافة الفاطمية وارتباط ذلك بنجاح الفتح الفاطمي لمصر • ولاشك أن عامل القرابة قد لعب دورا فى ابرام هذا الاتفاق الذى يحقق المصلحة المشتركة لكلا الفريقين على أساس منح العلويين ولاية الحرمين الشريفين علاوة على مساعدات مالية •

فما أن تم الفتح الفاطمى لمصر عام ٣٥٨ هجريه حتى أعلن كبير الأشراف الحسنيين جعفر بن محمد بن الحسن من بنى سليمان من آل الحسن بن على ابن أبى طالب استقلاله بأمارة مكة والدعوة للخليفة الفاطمى فى خطبة الجمعه[١] وما لبث أن حذا آل الحسين الفاطنيين المدينة المنوره حذو بنى الحسن بأن أعلن طاهر بن مسلم الحسينى استقلاله بأمارة المدينة عام ٣٦٠ هجريه وخطب أيضا للخليفه المعز[٢] الفاطمى •

١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢١٨ •
المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ١ ١٠٤ •
الجزيرى : درر الفوائد ٢٢٤ •
سرور : سياسة الفاطميين الخارجيه ٢٤ •
ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ٢١٩ •

٢) الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ١٩٠ •
الجزيرى : درر الفوائد ٢٤٤ •
اليرادعى : الدره السنيه ١١٣ •
سرور : سياسة الفاطميين الخارجيه ٢٤ •
ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ٢٢٠ •

وهكذا تولى السادة من آل البيت (١) امارة المدينتين المقدستين بالحجاز وأصبح يطلق لقب الأشراف على العائلة التى تحكم مكة أو المدينة نسبة الى تشرفهم بأمارة مكه أو المدينة تمييزا لبقية الاثرات العلوية الذين لم يتولى الامارة .

وظهرت بوادر الخير بالنسبة لأهل الحجاز عندما بدأت الخلافة الفاطمية بارسال الأموال والخلع الى أشراف الحجاز وامرائهم وكذلك شحنات من الحبوب والبقول لسكان مكه والمدينة والقرى المجاورة لهما (٢) .

ومما تجد الاشارة اليه أنه منذ بداية النفوذ الفاطمى فى الحجاز بدأت

---

١) ال البيت هم العلويون ال الحسن وآل الحسين ولدى على بن أبى طالب كرم الله وجهه من زوجته السيده فاطمه الزهراء ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم واستقرت هاتان الأسرتان فى مكة والمدينة واستطاعت بمناصرة الفاطميين الاستقلال بأمارة مكة والمدينة وحينما تولتا أمر مكه والمدينة أطلق عليهما الأشراف لتشريفهم أمارة مكه أو المدينة وأما الأسر التى لم تتولى منهما حكم مكه أو المدينة فيسمونهم السادة آل البيت انظر البرداعى : الدره السنيه ص٤ .

٢) الجزيرى : درر الفوائد ٢٤٥ .

سرور : سياسة الفاطميين الخارجيه ٢٤ .

البرادعى : الدره السنيه ص ١٤ .

ظاهرة جديدة فى التاريخ الاسلامى وهى التنافس بين الخلافتين العباسية والفاطميه على اقامة الخطبه لأى منهما على منابر الحرمين الشريفين وقام هذا التنافس على مبدا أن السيادة الشرعية على العالم الاسلامى تكون لم يدعى باسم على منابر الحرمين الشريفين دون الآخر ومما يؤكد هذا مايرسل سنويا من أموال وأعطيات وهدايا وخلع الى الحكام والأهالى حتى اذا ماانقطع ارسال هذه الأموال فان السياده تصبح فى خطر (١) .

ولعبت هذه الأعطيات دورا بالغ الأهمية فى تحديد واستمرار العلاقة المذهبيه والسياسيه فى الحجاز لكل من الخلافيين العباسيه أو الفاطميه . فقد واظب المعز لدين الله على ارسال هذه الأعطيات سنويا مع موسم الحج دون انقطاع . فاستمر الدعاء له على منابر الحرمين طوال عهده . ومـا أن انقطعت هذه الأعطيات فى عهد ابنه العزيز تحولت الخطبه للخليفه العباسى الذى أنتهز هذه الفرصة وبادر بارسال أموال كبيره لقمان تبعية مكة لــه . فاضطر الخليفه العزيز بالله الى ارسال باديس بن زيرى الصنهاجى اميرا على

---

١) ابن خلدون : العبر جـ٤ ١٠٢ .
الجزيرى : درر الفوائد ٢٤٧ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ٤ ٢٩٤ .
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ١٨٢ .
السباعى : تاريخ مكه جـ١ ١٧٤ .

ركب الحاج المصرى عام ٣٦٧ هجريه وأمره بالاستيلاء على الحرمين فما مرت هذه الحملة مكه وضيقت الحصار على أهلها وأسفرت نتائجها عن اعادة الخطبه على منابر مكه للخلفه الفاطمى بدلا من الخليفه العباسى (١) .

ولم تتأثر المدينة بانقطاع أعطيات الخليفه العزيز الى شريفها بسبب ما فى أرضها من خيرات زراعية فظل الأمر فيها مستقرا بالولاء للفاطميين حتى توفى أميرها طاهر بن مسلم الحسينى وخلفه ابنه الحسن الذى سار على نهج والده باعلان تبعيته للخليفه الفاطمى (٢) .

وفى سنة ٣٨٤ هـ تولى أمر مكه الشريف أبو الفتوح الحسن بن جعفر الذى بدأ عهده مخلصا فى ولائه باقامة الخطبة لهم على منابر المسجد الحرام بمكه (٣) .

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢١٩ .
ابن خلدون : العبر جـ٤ ١٠٠ .
دحلان : خلاصة الكلام ٢٢ .
سرور : سياسة الفاطميين ٢٤ .
السباعى : تاريخ مكه جـ١ ١٧٣ .

٢) ابن خلدون : العبر جـ٤ ١٠١ .
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطميه ٣٣٨ .
سرور : سياسة الفاطميين ٢٥ .
السباعى : تاريخ مكة جـ١ ١٧٣ .

٣) ابن خلدون : العبر جـ٤ ١٠٤ .
الجزيرى : درر الفوائد ٢٤٧ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ١٩٥ .
السباعى : تاريخ مكه جـ١ ١٧٤ .

وما لبث أبو الفتوح أن خرج عن طاعة الخليفه الحاكم بأمر الله الفاطمـى سنة ٤٠٠ هجريه وتم هذا باغراء من الوزير أبى القاسم حسين بن علـى المغربى الذى خرج عن طاعة خلفاء البيت الفاطمى وجعله ينتحل لقب الخلافه وأخذ له البيعة من قبائل بنى سليم وبنى هلال وبنى عوف وبنى عامر (١).

وقد شد أبو الفتوح رحاله بقوة عسكرية لازمته وانتهى به المطاف الى منازل بنى الجراح بالرمله بفلسطين واتحد مع أمير طئ وبايعه ال الجراح وأقيمت الخطبة له في منازلهم وفى مدن كثيره من بلاد الشام أيضا (٢).

وبخروج أبى الفتوح وانتحاله لقب الخلافة ومناحدة كل من الامير حسان ابن الجراح والوزير أبو القاسم ، جعلت الخليفة الحاكم بأمر الله يصدر أوامره

---

١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ٥٤ .
ابن خلدون : العبر جـ٤ ١٠٨ .
دحلان : كلامة الكلام ٢٥ .
سـرور : سياسة الفاطميين ٢٦ .
ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ٢٢٣ .
البرادعى : الدره السنيه ١٩ .

٢) ابن خلدون : العبر جـ٤ ١١٣ .
المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ٢ ٩٥ .
الجزيرى : درر الفوائد ٢٥١ .
سـرور : سياسة الفاطميين ٢٧ .
السباعى : تاريخ مكـه جـ١ ١٧٥ .

بعزل أبى الفتوح عن ولاية مكه وعين بدله ابن عمه أبى الطيب داود وشجعه على التخلى عن نصرة أبى الفتوح . وبالتالى انصرف عامة الاشراف فى مكة عن خلافة أبى الفتوح ودخلوا فى طاعة الحاكم بأمر الله واستمر الحاكم بأمر الله فى تقليم أظافر أبى الفتوح باستمالة حلفائه فى بنى طى ء مما جعلهم ينحرفون عن أبى الفتوح الذى شعر بحرج مركزه وذهب الى الوزير أبى القاسم وقال له " أنت أوقعتنى وأخرجتنى من بلدى وجعلتنى فى أيدى هؤلاء وأوقعت بينى وبين الخليفه الحاكم والواجب عليك أن تخلصنى كما أوقعتنى " وذهب الى والد حسان رأس المتخلين عنه ، وأعلن التجاءه اليه فأكبر مفرج ذلك وأخذ على عاتقه تسوية الأمور فتوسط بينه وبين الخليفه الفاطمى بالصلح وتنازل أبو الفتوح عن دعوته بالخلافه لقاء عزل أبى الطيب عن ولاية مكه واخلائها من خصومه وعودته الى حكمها عام ٤٠٣ هجريه (١) .

---

١) ابن خلدون : العبر جـ٤ ١١٥ .
الجزيرى : درر الفوائد ٢٥٣ .
سرور : سياسة الفاطميين ٢٧ .
ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ٢٤ .
السباعى : تاريخ مكه جـ١ ١٨٦ .

وهكذا عالج الحاكم بأمر الله تلك الحركة الانفصالية عن خلافته ولم يحاول أبو الفتوح الخروج على طاعة الفاطميين وظل مواليا الى الخلفاء الفاطميين معلنا الخطبة للحاكم ثم الظاهر ثم المستنصر حتى توفى سنة ٤٣٠ هـ . (١)

ثم خلف أبا الفتوح ابنه شكر الذى لقب بتاج المعالى لما تمتع به من شجاعة وقوة لتأديبه القبائل المتمردة عليه حتى لقب بملك الحجاز ، واستمر فى ولائه للبيت الفاطمى حتى توفى سنة ٤٥٣ هـ . (٢)

وبوفاة شكر ابن أبى الفتوح دون أن يترك وريثا يتولى أمر الشرافة بجانب النزاع بين بنو سليمان أنفسهم لاتحد فأتيحت الفرصة لأحد

---

١) القلقشندى ، صبح الاعشى ج ٤ ص ٢٦٩ .
الفاسى ، شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٦ .
ابن ظهيره ، الجامع اللطيف ص ٨٣ .
السباعى ، تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٨٠ .

٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ص ١٩٦ .
ابن ظهيره ، الجامع اللطيف ، ص ٨٤ .
الجزيرى ، درر الفوائد ، ص ٢٥٤ .
ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ج ١ ص ٣٦٠ .
السباعى ، تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٨١ .

عبد شكر ليتحكم فى أمر مكة ولايدعو لأىٌ من الخليفتين فى خطبة الجمعة مما أوجد فراغا سياسيا وأصبح أمير كل ركب يدعو باسم الخليفة التابع له ، وبهذا زاد الأمر سوءا حينما انتزع الشريف محمد بن جعفر من الهواشم حكم مكة من بنى سليمان ودعا للخليفة القائم العباسى ٤٥٤ هـ والتجأ بنو سليمان الى اليمن ومعهم أمتعة الكعبة من قناديل وستور وصفائح الذهب من الباب والميزان .[1] الأمر الذى تطلب تدخلا حاسما من جانب الخلافة الفاطمية .[2]

فكان أن عهد الخليفة المستنصر الفاطمى الى داعيه على بن محمد الصليحى حاكم اليمن بمهمة الذى تمكن من اعادة النفوذ الفاطمى فى مكة عام

---

١) الفاسى ، شفاء الغرام ، جـ ٢ ، ص ١٩٦ .
سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ص ٢٨ .
ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٢٥ .
٢) ابن الجوزى ، مرآة الزمان جـ ١ ص ٢٣٠ .
الفاسى ، شفاء الغرام ، جـ ٢ ، ص ١٩٦ .
محمد أمين صالح ، علاقة الفاطميين بالصليحيين فى اليمن ص ٦٢ .

٤٥٥ هـ . وناقلا لمنصب الشرافة الى بدأ أسرة جديدة المعروفة بالهواشم . وأوجد بجانب الشريف محمد بن جعفر قوة عسكرية مدربة لتوطيد حكم الهواشم وضمان السيادة الفاطمية على مكة وخصص لهم المرتبات وجعل قيادتهم بأمر أمير مكة . (١)

---

١) على بن محمد الصليحى هو الملك الكامل أبو حسن على بن محمد بن على ابن يوسف بن عبد الجبار الصليحى كان والده قاضيا سنى المذهب يقيم فى حراز وكانه له شهرة عظيمة أرسل ابنه عليا الى سليمان بن عبد الله الزواجى وتتلمذ ابنه على يد هذا الداعية الذى استطاع أن يجنب هذا الابن بعد وفاته مذهب السنه وفقهه فى مذهب الشيعة الاسماعيلية وقبيل وفاته أوصى اليه بالدعوة وأوصى له بكتبه وعلومه ولقد عكف الصليحى على هذه الكتب لانه كان يتمتع بنصيب وافر من الذكاء وحسن الدراية وبهذا استطاع أن يكون داعى الخليفة الفاطمى فى اليمن والحجاز لابل فى الجزيرة العربية واستطاع أن يوحد اليمن سياسيا وطبيعيا وامتد سلطانه الى سواحل البحر الهندى والى عمان شرقا والى مكة شمالا والى عدن جنوبا واعتمد عليه خلفاء الدولة الفاطمية بأن يكون داعيهم فى الجزيرة العربية . انظر :
ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج ٤ ص ١٥١ .
ابن الديبع ، قرة العيون ج ١ ص ٣٩ .
عمارة اليمنى ، المفيد ، ص ٩٩ .
خير الدين الزركلى ، الاعلام ، ج ٥ ، ص ١٠٩ .

واختلفت سياسة الهواشم عن بنى سليمان فى علاقاتها مع الخلافتين السنية والشيعية ٠ وان لعبت الاعطيات دورها فى خدمة تلك السياسة ٠

فقد ظل الهواشم يحكمون مكة طوال العصر الفاطمى الثانى الذى يمتد بضعف الدولة الفاطمية سياسيا واقتصاديا ٠ فكان الهواشم يعوضون نقص الاعطيات الواردة من مصر بقبول أعطيات أخرى ترسلها الخلافة العباسية[1]٠ وبالتالى تذبذبت علاقتهم المذهبية والسياسية مع الخلافتين كما مارسوا بعض المظاهر الشيعية فى الخطبة وقت تبعيتهم للخلافة الفاطمية[2] ٠

ويوضح ذلك ماذكره المؤرخون عن عميد الهواشم الشريف محمد بن جعفر الذى انقطعت عنه أعطيات مصر بسبب ماحل بها من أزمة اقتصادية أيام المستنصر الفاطمى فقبل أعطيات العباسيين والدعوة لهم مع استمرار ذكر

---

١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٢٥ ٠
القلقشندى : صبح الاعشى ج ٤ ، ص ٢٦٤ ٠
٢) ابن الاثير : الكامل ج ٩ ص ٢٠٧ ٠
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ،ج ٥ ، ص ٨٤ ٠
الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٥٦ ٠
محمد أمين صالح : علاقة الفاطميين بالصليحيين ص ٦٤ ٠

عبارة "حى على خير العمل" بالآذان رغم طلب الخليفة العباسى حذف تلك العبارة الشيعيةمن الآذان . يريد ذلك الاحتفاظ بعلاقته المذهبية مع الخلافة الفاطمية حتى تحين له الفرصة لاعلان تبعية السياسة أيضا كما حدث عام ٤٦٧ هـ مما جعل أبا المحاسن يصفه بالتلون أو التأرجح .(١)

وعلى أثر وفاته سنة ٤٨٦ هـ خلفه ابنه قاسم بن محمد الذى بدأ عهده بولائه للخليفة العباسى واستمر خلفاء الدولة العباسية يواصلون ارسال أعطياتهم الى أمراء مكة لينالوا ولاءهم .(٢)

وحينما قطعت الخطبة عن الخليفة العباس وأعلن ولاءه للخليفة الفاطمى اضطر الخليفة العباسى الى ارسال حملة عسكرية بقيادة أصبهبد بن سارتكين واستطاع اجلاء أمير مكة عنها ولكن أميرها عاد وأجلى أصبهبد عنها بمناصرة القبائل العربية له مما جعل أمير مكة يحتفظ بولائه للفاطميين واستمر خلفاء الدولة الفاطمية اغداق أعطياتهم الى أمير مكة حتى نهاية عهده .

---

١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٢٩ .
الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٥٩ .
سرور : سياسة الفاطميين ص ٣٥ .
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٢ .

٢) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٣٩ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج ٥ ص ١٤٢ .
المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٥ .
الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٦٨ .
الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٨ .
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ، ص ١٨٢ .

وبوفاته أسندت امارة مكة الى الأمير فليته بن قاسم الذى امتاز عهده باقامة الخطبة للخليفة العباسى ، مع بقاء وده للخليفة الفاطمى بأن جعل الآذان مستمرا كما هو بـ" حى على خير العمل" وبهذا كسب ود الخلافتين العباسية والفاطمية وهو الأمير الذى استطاع أن يجمع علاقات طيبة بين الخلافتين فى مكة .(١)

وفى سنة ٥٢٥ هـ توفى فليته وخلفه ابنه هاشم الذى بدأ عهده باعلان الخطبة للخليفة الفاطمى الحافظ الذى لم ينهج سياسة والده ، اذ أصبح متأرجحا فى علاقته بين الخلافتين حسب وفرة الأعطيات قلة وكثرة .(٢)

ومن الثابت أن أمراء مكة لم يقطعوا حبل المودة مع الخلافة الفاطمية ومما يزيد ذلك وضوحا السفارات التى قام بها الشاعر عماره اليمنى بين

---

١) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ، ٢٥١ .
الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٠ .
الغسانى : العسجد المسبوك ص ٢١٠ .
الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٨ .
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٥ .
٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٥ .
الغسانى : العسجد المسبوك ص ٢١٤ .
الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٢ .
محمد أمين صالح : العلاقة بين الفاطميين والصليحيين ص ٧٢ .

أمير مكة والخليفة الفاطمى سنة ٥٥٠ هـ اذ أن الخليفة الفائز ووزيره الصالح طلائع بين رزيك الذى أرسله أمير مكة الأمير هاشم برسالة الى الديار المصرية ونظم قصيدة فى مدح الخليفة والوزير توضح أنه سيسير من مكة الى القاهرة واستقبله الخليفة فى قصره وعاد الى مكه ومعه الاعطيات والخلع من الخليفة حتى أن والى قوص أعطاه مائة أردت من القمح ليوزعها على فقراء مكة (١) ثم توجه الى زبيد وفى السنة التالية أتى عمارة اليمنى من زبيد الى مكة حيث أدى مناسك الحج فأوفده أمير مكة الى الوزير الفاطمى طلائع بن رزيك يعتذر فيها عما ارتكبه الاعراب مع حجاج مصر والشام ، واستطاع أن يمتص غضب الوزير وعفا عن الوزير والاعراب الذين نهبوا الحجاج (٢).

وأقام عماره فى مصر حتى آخر أيامه وأصبح من أشهر شعراء البلاط الفاطمى فى عهد الخليفتين الفائز والعاضد بالرغم من أنه كان

---

١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٧ .
الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٩ .
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٥ .

٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٣٠ .
ابن العماد : شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٦ .
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ج ٤ ص ٢٨٦ .
ذو النون المصرى : عمارة اليمن ص ٤٢ .
محمد أمين صالح : العلاقة بين الدولة الفاطمية ص ٧٢ .

سنى المذهـــــــــــــب . (١)

وما تجدر الاشـارة اليه أن السفارتين اللتين قام بهما عماره اليمنى توضح لنا حرص أمراء مكة على التقرب من الخلافة الفاطمية وكسب رضاهم بالرغم مما تبذ لـــه الخلافة العباسية من استمالة هوءلاء الأمراء لصرفهم عن الخلافة الفاطمية (٢) ويعود السبب الى أن أمراء مكة والمدينة ينتمون الى البيت العلوى بالاضافة الى أن الخلفـــاء الفاطميين هم الذين وطدوا سلطان هذه العائلات فى الحجاز بالرغم من اعتماد هم على الموارد الاقتصادية لهذا فقد التزموا بالحفاظ على السيادة الفاطمية .

وما أن بدأ نفوذ الفاطميين فى بلاد الحجاز يضمحل حتى واكبه ضعـــف الخلافة الفاطمية فى مصر وبحلول عام ٥٦٧ هـ تمكن السلطان صلاح الديـــــن الايوبى من ازالة نفوذ الخلافة الفاطمية فى مصر وبـتالى انهاء فترة الصـراع أو التنافس بين هاتين الخلافتين فى العالم الاسلامى . (٣)

---

١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٣ ص ١٠٩ .
ابن العماد : شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٨ .
الخزرجى : العقود اللوءلوءية ج ١ ص ٤٧ .
الغسانى : العسجد المسبوك ص ٣٢٠ .
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام العباسى ج ٤ ص ٢٩٠ .
ذى النون المصرى : عمارة اليمنى ص ٤٤ .

٢) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٤٠ .
الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٩ .
سرور : سياسة الفاطميين ص ٣٦ .
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٨ .

٣) ابن فهد : اتحاف الورى : ورقة ٢٣٧ .
الفاسى : تحصيل المرام ورقة ٨٥ .
ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٢٧٩ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٩١ .

النفوذ الايوبي في الحجاز

بعد أن أنهى صلاح الدين الايوبى الخلافة الفاطمية فى مصر عام ٥٦٧ هـ أخذ يتطلع الى مد نفوذه الى بلاد الحجاز ويعيدها الى نطاق الخلافة العباسية السنية حتى يبدو فى نظر المسلمين انه حامى حمى الحرمين الشريفين مما يتيح له فرصة بسط سيادته على العالم الاسلامى من ناحية والسيطرة على تجارة البحر الاحمر من ناحية ثانية ، وكذا من أجل الحرب ضد الصليبيين بالشام من ناحية ثالثة (١) .

وقد شجع صلاح الدين على تحقيق ذلك عدم استقرار الامور ببلاد الحجاز وانتشار الاضطرابات والفوضى فى أواخر العصر الفاطمى بالاضافة الى ضعف امراء مكة وانحيازهم تارة الى الخلافة العباسية السنية فى بغداد وتارة أخرى الى الخلافة الفاطمية الشيعية بالقاهرة . وسبق القول أن ولاة مكة كانوا يخطبون باسم الخليفة الذى غيرهم بالمال ويدفع أكثر من الاخر (٢) .

---

١) حسنين ربيع البحر الاحمر فى العصر الايوبى ندوة تاريخ البحر الاحمر جامعة عين شمس ص ٢ ، ص ٣ .

٢) ابن الاثير الكامل جـ ١١ ٣٩٦ .
ابن واصل مفرج الكروب جـ ١ ٢٣٧ .
الفاسى شفاء الغرام جـ ٢ ١٩٨
ابن ظهيرة الجامع اللطيف ١٢٢ .
باقاسى بلاد الحجاز ٤٢ .

ومن المعلوم أيضا أن صلاح الدين أخذ يتطلع الى بلاد اليمن التى اشتهرت آنذاك بكثرة مواردها ووفرة خيراتها وكذلك ثغر عدن وبذلك يستطيع السيطرة على تجارة البحر الاحمر ٠

ووصلت حملة صلاح الدين الى الحجاز ثم اليمن بقيادة أخيه تورانشاه عام ٥٦٩ هـ فدخل مكة دون قتال اذ رحب الشريف عيسى بن فليتة وأعلن دخوله فى طاعة صلاح الدين وتعهد بالخطبة له بعد الخليفة العباسى (١)

ولم يعمد الايوبيون الى تغيير نظام الحكم القائم بالحجاز أو استبدال الامراء بغيرهم انما أقروا الهواشم ثم بنى قتادة من بنى الحسن على التوالى فى أمارة مكة ٠ وكذلك بنى مهنى من آل الحسين فى حكام المدينة من قبل ورحل تورانشاه من الحجاز لفتح اليمن ولم يكن هناك من شرط بين الايوبيين والاشراف سوى وقف تحصيل المكوس من الحجاج والتجار ٠ الامر الذى أدى الى تدخل الايوبيين أو الخلافة العباسية بسبب المكوس ٠ مما أوجد بعض الاضطرابات الداخلية التى ستتعرض لها فيما بعد (٢) ٠

---

١) ابن الاثير : الكامل جـ ١١ ٤٢٠ ـ ابن جبير الرحلة ٥٥ ٠
الفاسى : شفاء الغرام جـ ٢ ٢٠٣ ـ البتانونى الرحلة الحجازية ٦٨
ابراهيم رفعت : مرآن الحرمين جـ ١ ٨٩ ٠

٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٣٩ ـ الطبرى : الارج المسكى ٣٦٤
الفاسى : العقد الثمين جـ ٤ ٣٥٠ ـ السباعى : تاريخ مكة جـ ١ ١٩١

ولم تحدث خلافات خطيرة بين الايوبيين وأشراف مكة الا ما حدث فــي في مناسبتين منفردتين : الاولى عام ٥٨١ عندما أرسل صلاح الدين أخـــاه سيف الاسلام طغتكين حاكما على اليمن وكلفه بتنفيذ بعض الاوامر فسار سيـــف الاسلام الى اليمن عن طريق الحجاز في الفي فارس وخمسمائة رجل وخلال مسيرته مر بمكة المكرمة ودخلها في شهر رمضان المبارك في نفس السنة ثم استأنف ســـيره الى اليمن (١) .

ف (وأول عمل قام به فيها حذف الجمل الزائدة من الاذان (ص علـــى خير العمل) وأيضا استطاع تأديب العبيد الذين كانوا يفسدون في مكة المكرمـــة وقتل المتمردين منهم) غير أن خلافا حدث بين سيف الاسلام طغتكين حـــين عودته لاداء فريضة الحج وبين مكثر بن عيسى أمير مكة الذى أصدر أمره الـــى سادن الكعبة بغلق بابها أمام سيف الاسلام . وترجع أسباب هذا الخـــلاف الى أن أمير مكة كان يرغب في استمرار فرض المكوس على الحجاج لانها تعتـــبر المورد الرئيسى لامارة مكة (٢) . لذلك لم يكن هناك مفر من تحصيلهـــا

١) ابن فهد اتحاف الورى ورقة ٢٤٣
الغسانى العسجد المسبوك ٢٦٥
يحيى بن الحسين غاية الامانى ج ٢ ٣٢٨ .

٢) الطبرى الارج المسكى ورقة ٢٤٤
ابن الجوزى مرآة الزمان ج ١ ٣٧٠ .
الفاسى شفاء الغرام ج ٢ ٢٠٣ .
أبو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٦ ١٠٣ .
الجزيرى درر الفوائد ٢٦٥ .
السليمان العلاقات الحجازية ١٤

ولا يمكن الغاؤها وكان الشريف مكثر بن عيسى امير مكة يأخذ المكس من الحجاج القادمين من البحر عن طريق عيذاب أو جده • ولم يرغب أمراء مكة الغاء المكوس عن الحجاج الا بعد أن ضمن السلطان صلاح الدين الايوبي ارسال اموال الامير مكة وسلعا ومواد غذائية ولهذا الغيت المكوس فترة من الزمن ثم أعيدت بعد ذلك على يد الشريف مكثر بن عيسى ولم يكف عن ظلم الحجاج مما جعل سيف الاسلام طغتكين يعمل على تأديبه باسم السلطان صلاح الدين (١) • وأقيمت بعد ذلك الخطبة على منابر مكة باسم الخليفة الناصر لدين الله العباسي ثم يذكر بعده اسم السلطان صلاح الدين الايوبي (٢)

---

١) ابن جبير : الرحلة ١١٠ •
الفاسي : العقد الثمين جـ ٧ ٢٧٤
البتانوني : الرحلة ٧٠
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ٩٢ •
السليمان : العلاقات الحجازية ١٤
٢) الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ٢٠٣ •
دحلان : خلاصة الكلام ٢٢
البتانوني : الرحلة الحجازية ٨٤

وفى سنة ٦١١ هـ بدأت علاقة الشريف قتادة بن ادريس فى الاستياء مع الملك عيسى بن العادل الايوبى حيث عزم الملك عيسى فى هذا العام على آداء مناسك الحج وقام بتوزيع الاموال على الاعراب وبوصوله الى المدينة استقبله اميرها استقبالا حافلا وأنزله فى داره تكريما وصحبه فى سفره الى مكة المكرمة وسأل الملك عيسى امير مكة قتادة عن المكان المعد لاقامته فأجابه قتاده مشيرا بأصبعه هناك (يريد الابطح) • فشعر الملك عيسى الايوبى بأن الامير قتادة يستهين به فأسرها فى نفسه وبعد عودته الى دمشق أرسل جندا من الشام لمساعدة الامير سالم بن قاسم فى نزاعه القائم بينه وبين الشريف قتادة فاستطاعوا ايقاع الهزيمة به واستولوا على كثير من أسلحته وعتاده وفى اثناء تتبع هذا الجيش توفى الامير ا سالم بن قاسم امير المدينة فانسحب الجيش عائدا الى المدينة ثم الى الشام (١) •

غير أن قتادة بن ادريس قتل على يد ابنه الحسن عام ٦١٧ هـ وقام النزاع بين الاخوين الحسن وراجح اللذين التجآ الى مساعدات خارجية (٢) • فلقد التجىء الحسن الى الخلافة العباسية والتجىء راجح الى الملك المسعود

---

١) ابن الاثير : الكامل جـ ١٢ ١٠١ •
أبو المحاسن : النجوم جـ ٧ ٢٥٠ •
الفاسى : شفاء الغرام جـ ٢ ٢٠٥ •
السباعى : تاريخ مكة جـ ١ ١٧٩ •
باقاسى : بلاد الحجاز ٦٠
٢) انظر العلاقات بين الاشراف فى هذا الفصل •

الايوبى صاحب اليمن الذى بادر بارسال قوة عسكرية انتزعت امرة مكة من الحسن (١) .

وقد وصل النفوذ الايوبى ذروته بمكة على يد الفرع الايوبى باليمن اذ قام الملك المسعود الايوبى بتولية نورالدين عمر بن رسول نائبا عنه فى مكة . وجعل له ولاية الجند ومدير أموالها وهى نفس السلطات التى اعطيت الى نائبه الثانى ياقوت المسعودى . حتى حينما تولى عمر بن رسول ملك اليمن صارت مكة تابعة لنفوذه دون الايوبيين فى مصر والشام وبدأ حكم بنى رسول فى اليمن ومكة (٢) .

---

١) انظر تفصيل ذلك فى فصل النزاع بين الاشراف .

٢) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ ٢ ، ٢٠٥ .

السباعى : تاريخ مكة ، جـ ١ ، ١٧٩ .

حماية الايوبيين للبحر الاحمر :

على أن أهم ما قام به الايوبيون هو حماية الاماكن المقدسة من الاعتداءات الصليبية • فقد تعرضت بلاد الحجاز لخطر الصليبيين أكثر من مرة ففي عام ٥٧٧ هـ قامت المحاولة الاولى بقيادة أحد الامراء الصليبيين يدعى أرناط [١] صاحب امارة الكرك الواقعة شرق البحر الميت بحملة صليبية في صيف هذا العام • وكان الغرض منها غزو بلاد الحجاز وبسط سيادة الصليبيين على البحر الاحمر وتحويل التجارة الى الموانى الصليبية في خليج العقبة ، والهدف الاساسى من ذلك هو ضرب المسلمين فى مقدساتهم (الحرمين الشريفين) والاستيلاء على طريق الحج البحرى والسيطرة عليه [٢] •

---

١) أرناط : كان يحكم امارة الكرك شرق البحر الميت وكان شابا مغامرا متحمسا لتحقيق اغراض الصليبيين فى الاحتفاظ بالامارات اللاتينية ومن طبعه الغدر وعدم الوفاء بالعهد انظر عاشور : الايوبيون والمماليك ص ٩٤، الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٧٧٠ ، ربيع ا: البحر الاحمر ص ٤ ، ٥ •

٢) الغسانى : العسجد المسبوك ٢٤٦ •
دحلان : خلاصة الكلام ٢١
عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ٧٨٤ •
عبدالمنعم ماجد : الناصر صلاح الدين ١١٠
سعاد ماهر : البحرية الاسلامية ١٠٥ •
السليمان : النشاط التجارى ٣٣ •

وتتلخص حملة أرناط أنه أحضر الاخشاب من عسقلان وحملها على الجمال الى ميناء اسنة على خليج العقبة ثم بنى أسطولا يتألف من خمس سفن كبيرة وعدد أكبر من السفن الصغيرة حملها آلاف من الفرسان ثم أبحر فى البحر الاحمر بقصد الاستيلاء على مكة والمدينة (١) .

وقد منيت هذه الحملة بالفشل الذريع لاسباب عدة من بينها تعرض رجاله للحر الشديد ، وانتقارهم للماء الوفير مما جعلهم يتوقفون مجهدين عند واحة تيماء . وفى الوقت نفسه استغل القائد العربى المسلم عزالدين فرخشاه ابن أخى صلاح الدين ونائبه فى دمشق هذا الموقف ، اذ أسرع بقواته وحاصر حصن الكرك ونهب امواله ، مما اضطر أرناط الى التخلى عن استمراره فى حملته المذكورة وعاد مسرعا لحماية امارته من السقوط وقام خلال عودته بالاعتداء على قافلة اسلامية كبيرة ونهب معظم ثروتها وهى فى طريقها من دمشق الى مكة المكرمة (٢) .

---

١) القوصى : تجارة مصر ١٥٣ ، ١٥٥ .
عزيز سوريال : العلاقة بين الشرق والغرب ٦٥ .
Kammerer Lamer Rouge p. 23 .

٢) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ٤٩٠ .
ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ١٢٩ .
عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ٧٨٥ .
القوصى : تجارة مصر ١٥٦ .
السليمان : العلاقات الحجازية ١١ .

وكانت محاولة أرناط الثانية فى العام الثانى مباشرة أن جهز اسطولا وأعد سفنا مفككة الاجزاء وحملها على ظهور الدواب وأوصلها الى خليج العقبة ثم ربط أجزاءها وركبها بعد أن ملأها بالرجال وما يلزمهم من معدات حربية وقاد الحملة بنفسه وهاجم جزيرة ايله بسفينتين حربيتين (١) . بينما استأنف بقية الاسطول ابحاره ملتزما جانب الساحل الافريقى للبحر الاحمر وذلك من أجل غزو والموانىء الواقعة على هذا الجانب ونهبها . فأثارت غزواته الرعب والفزع بين سكانها وبعثت فيهم العجب والتساؤل لانه لم يسبق لهم قبل هذا الوقت أن شاهدوا سفنا فرنجية فى حوض بحر القلزم (٢) . وكانت اول الموانىء التى هاجمها أسطول أرناط الصليبى ميناء عيذاب المواجه لميناء جدة ثم هاجم سفنا تجارية وهى فى طريقها بين جدة وعدن والهند (٣) .

---

١) ابن الاثير الكامل جـ ١١ ٥٠٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ١٣٣
أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ١٤٥ ، عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ٧٨٦
العرينى : مصر فى عصر الايوبيين ٦٩ ، ربيع : البحر الاحمر ٥
محمود رزق : العلاقات بين أرناط ١١٠ .

٢) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ١٣٩ .
عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ٧٨٦ .
دراج : عيذاب ٥٨ .

٣) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ١٣٩ .
عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ٧٨٧ .
Hicly Saladin , p.100.

ويخبرنا ابن جبير والمقريزى أن هؤلاء الصليبيين قد استولوا على مركبين من مراكب تجار اليمن ، كما أنهم اشعلوا النيران فى كميات كبيرة من الطعام الملقاة على ساحل عيذاب . وكان الهدف من تخزينها فى هذا الميناء الاستعداد لنقلها الى بلاد الحجاز (١) .

ثم واصل اسطول أرناط الصليبى أعماله العدوانية متنقلا من عيذاب الى ساحل بلاد الحجاز فأشعل النار فى السفن الرواسى فى مينائى المدينة وهما ميناء الحوراء وينبع (٢) .

ثم نزل رجال الاسطول الصليبى على ساحل الحوراء قرب ينبع وأخذوا فى غزو المناطق المجاورة والاغارة على القوافل المارة وأوغلوا فى المسير حتى أصبحوا على بعد مسيرة مرحلة واحدة من المدينة المنورة . يريدون دخولها ونبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم واخراج جثمانه الطاهر من الضريح المقدس ثم نقله الى بلادهم ودفنه عندهم ، حتى لايستطيع المسلمون زيارته الا بعد دفع اتاوة باهظة . غير أنهم لم يحققوا اهدافهم وحلت بهم الهزيمة والاسر (٣) .

---

١) ابن جبير الرحلة ٥٧ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ٧٩ .
دحلان : خلاصة الكلام ٢٢ .

٢) الحوراء وينبع هما ميناءان يقعان قرب المدينة المنورة على ساحل البحر الاحمر ترسو فيهما بعض السفن التجارية وسفن الحجاج انظر
ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٤١٠ ، جـ ٣ ص ١١٥
حمد الجاسر : بلاد ينبع ص ٢٨ .

٣) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٤٠ ، المقريزى: السلوك جـ ١ ص ٧٩ .
ابن جبير : الرحلة ٥٩ ، سعاد ماهر : البحرية الاسلامية ١٠٧ ،
عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ٧٨٦ ، ربيع : البحر الاحمر ٧ ،
سوريال : العلاقات بين الشرق والغرب ٦٥ .

ذلك أن صلاح الدين الايوبي وهو في الشام آنذاك كان قد أمر نائبه على مصر أخاه الملك العادل أبا بكر بن أيوب ان يجهز أسطولا كبيرا بالمعدات والرجال ويسير به لقتال اسطول الصليبيين في البحر الاحمر من ناحية ويرد الصليبيين عن غزو المدينة المنورة من ناحية أخرى (١) .

ولقد استجاب الملك العادل لاوامر أخيه صلاح الدين وعهد الى حسام الدين لؤلؤ باعداد الحملة المذكورة فنقل حسام الدين لؤلؤ أجزاء السفن المفككة على الجمال الى ميناء السويس حيث تم تركيبها وربط بعضها ببعض حتى غدت اسطولا يتألف من سفن كثيرة وقام بتقسيمه الى قسمين الاول توجه الى ميناء ايله واستولى على المراكب الصليبية التى كانت راسية هناك وأسر من كان في الميناء من الرجال (٢) . أما القسم الثانى من الاسطول الايوبي فقد أبحر جنوبا خلف سفن الاسطول الصليبي بقيادة حسام الدين لؤلؤ فوجد

---

١) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٤٠ .
المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٧٩ .
أبو شامه : الروضتين جـ ٢ ص ٣٥ .
ربيع : البحر الاحمر ٧
القوصى : تجارة مصر ١٥٦ .

٢) ابن واصل مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٤١ ، المقريزى الخطط جـ ٢ ٨٥
ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ١ ص ٢٦٩ ، ابن جبير : الرحلة ٦٣

جزء منها فى عيذاب واستولى عليها وأطلق سراح أسرى المسلمين واعاد اليهم ما سلبه الصليبيون منهم . ثم أبحر الى رابغ واستطاع الاستيلاء على بعض السفن الخاصة بالاسطول الصليبى الراسية فى هذا الميناء فاخذهم على حين غره وأسر بعضهم . وفر البعض الاخر واحتموا بالجبال . الا أن رجاله قد تابعوهم والقوا القبض عليهم . ولحقوا بالباقين برا على بعد مرحلة واحدة من المدينة وكان عددهم ثلاثمائة رجل . فأسروهم . وأرسل اثنان نحرا فى منى يوم عيد الاضحى المبارك كما تنحر البدن التى تساق هديا للكعبة . اما بقية الاسرى الصليبيين فقد عاد بهم الى مصر (١) .

ومما تجدر الاشارة اليه أن السلطان صلاح الدين أمر بتقتل هؤلاء الاسرى ليكونوا عبرة وعظة لمن تسول له نفسه الاعتداء على حرم الله فى مكة وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة . وقد تم تنفيذ امره بقتل جميع الاسرى بعد أن استعرض بهم فى شوارع مدينة الاسكندرية وذلك فى اواخر شهر

١) ابن الاثير : الكامل جـ ١١ ص ٥١٠ .
ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٤٣ .
أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ٣٧ .
ابن أيبك : كنز الدرر جـ ٧ ص ٧٢ .
ربيع : البحر الاحمر ٨

Hindly Saladin , p. 101.

ذى الحجة عام ٥٧٨ هـ • وقد ظل صلاح الدين يعمل جاهدا على حماية البحر الاحمر وبلاد الحجاز من الخطر الصليبى كما ظل حريصا على أن تبقى تجارته فى أيدى التجار المسلمين دون غيرهم (١) •

* * *

١) أبو شامة الروضتين ج ٢ ص ٣٨ •
ابن أيبك : كنز الدرر ج ٧ ص ٧٥ •
ربيع : البحر الاحمر ٨
السليمان : العلاقات الحجازية ١٢
باقاسى : بلاد الحجاز ٥٠ •

الاحوال الداخلية بالحجاز تحت حكم الاشراف :

يكاد الباحث فى الاحوال الداخلية بالحجاز تحت حكم الاشـــراف أن يقرر عدم فاعلية هذه الطبقة الجديدة التى حكمت كلا من مكة المكرمة والمدينـــة المنورة بشكل استقلال ذاتى . فلم تشاهد أية اصلاحات جذرية أو حركـــة عمران تنسب اليهم . وأيضا عدم القدرة أو النجاح فى تأمين الحجاج بتأليـــف العربان ومنعهم من الاعتداء على قوافل الحجاج والتجار اثناء موسم الحـــج وغيره من الاوقات . هذا بالاضافة الى سياسة فرض المكوس والنزاع المستمر بـين الاسرات المختلفة منهم على منصب الشرافة . وأدى هذا الى انتقال الشرافة الى ثلاث بيوت فى الفترة موضع البحث . وكذا الاحتكاك بين اشراف مكة مـــن آل الحسن واشراف المدينة من ال الحسين فى مناسبات شتى (١) .

---

١) الفاسى : شفاء الغرام جـ ٢ ص ١١٠
السباعى : تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٠٥ .
السليمان : العلاقات الحجازية ١٦ .
باقاســى : بلاد الحجاز ٦٢ .
De Goury, G, Rulers of Mecca, p.30,1972.

فقد حكم بنو سليمان مكة المكرمة من سنة ٣٥٨ هـ الى سنة ٤٥٣ هـ ثم تلاهم أسرة الهواشم من سنة ٤٥٥ : ٥٩٧ هـ ثم بنو قتادة بن ادريس من ٥٩٧ حتى نهاية حكم الاشراف (١) .

اما المدينة فقد تولى امرها اسرة واحدة من ابناء الحسين بن علي ابن أبي طالب وهم أحفاد طاهر بن مسلم الحسيني الذى اعلن قيام حكم الاشراف بالمدينة سنة ٣٦٠ هـ وعرفت هذه الاسرة فيما بعد بأسرة بني مهني ولم تنتقل الامارة الى غيرهم طوال الحقبة الزمنية لهذا البحث (٢)

وفي دراستنا للاحوال الداخلية بالحجاز تحت حكم هؤلاء الاشراف سوف نعرض أولا الى العلاقة بين أفراد الاسرة الحاكمة دون غيرها من البيوت

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٤٩
ابن خلدون : العبر جـ ٤ ٩٩
ابن حزم : جمهرة انساب العرب ٤٩
السباعي : تاريخ مكة جـ ١ ٢٠٦ .
De Gaury Rulers of Mecca. p.44.

٢) ابن خلدون : العبر جـ ٤ ١٠٠
ابراهيم العياشي : المدينة بين الماضي والحاضر ٣٠
عبد القدوس الانصاري : أثار المدينة ٤٣ .

العلوية الاخرى • وهل كان هناك نزاع بينهم على منصب الشرافة بما يؤدى الى تدخل قوى خارجية تذيل الحكم من أسرة الى أخرى • وثانيا العلاقة بين أشراف مكة وأشراف المدينة وهل كانت طيبة ودية يظهر فيها التعاون والاخاء بما يقتضيه واجب القرابة القريبة من ال الحسن وال الحسين وكلهم علويون • وثالثا تعرض الى سياسة الاشراف بصفة عامة فى حكم الحجاز وهل حققوا نوعا من الامن والامان من اعتداء الاعراب على طرق القوافل فى موسم الحج والتجارة ثم أخيرا سياستهم الضريبية فى قضية المكوس التى كانت سببا للاحتكاك والصدام مع القوى الخارجية أصحاب السيادة على الحجاز (١)

* * *

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٢٠ •
دراج : ايضاحات ١٩٥ •
الدقوصى : تجارة مصر ١٠٤
السباعى تاريخ مكة ج ١ ١٧٠ •
باقاسى : بلاد الحجاز ٨٢ •

أولا : العلاقة بين الاشراف حكام مكة :

بالنسبة للاسرة الاولى من بنى سليمان التى قامت فى ظل التبعية الفاطمية لم نلحظ تنافسا يذكر بين أفرادها على منصب الشرافة فى الفترة التى حكمت فيها وبلغت قرنا من الزمان الا خمسا ٣٥٨ ـ ٤٥٣ هـ اللهم الا فى الفترة الاخيرة (١) من عهدها اثر وفاة شكر ابن أبى الفتوح عام ٤٥٣ هـ الذى لم يترك وريثا فتنازع بنو سليمان فيما بينهم مما أدى الى سيطرة أحد عبيد شكر على امر مكة فضلا عن عدم رضاء أخل مكة عن سياستهم (٢) .

مما أتاح الفرصة لظهور ابو هاشم محمد بن جعفر حميد الهواشم لتولى منصب الشرافة ويدعو باسم الخليفة بالعباسى عام ٤٥٤ هـ . فالتجأ بنو سليمان

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٢٠ .
السباعى : تاريخ مكة جـ ١ ١٧٣ .
البرادعى : الدرة السنية ١٢

٢) ابن خلدون : العبر جـ ٤ ١٠٢ .
المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ ٢ ٩٥ .
المقريزى : الخطط جـ ٢ ١٥٧
السباعى : تاريخ مكة جـ ١ ١٨٢ .
البرادعى : الدرة السنية ١٤ .

الى اليمن كما ذكرنا من قبل حاملين معهم أمتعة الكعبة من قناديل وستور وصفائح الذهب من الباب والميذاب • فكان ان عهد الخليفة المستنصر الفاطمى الى الصليحى الداعى والحاكم فى اليمن بمهمة اعادة النفوذ الفاطمى الى مكة (١) •

ويشيد المؤرخون بما قام به الصليحى من أعمال طيبة فى مكة عام ٤٥٥ هـ بدأ بكسوة الكعبة ثيابا بيضا • ورد أمتعة الكعبة بعد أن اشتراها من بنى سليمان كما أنه أظهر العدل فى الاهالى برفع الظلم

كما أدب القبائل التى كانت تعتدى على الحجاج حتى رخصت الاسعار وساد الامن والطمأنينة • هذا فضلا عن نجاحه فى اعادة النفوذ الفاطمى الى مكة • اذ انضم اليه محمد بن جعفر الملقب بأبى هاشم وأعلن التبعية

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٢٣ •
القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٤ ٢٧٠ •
الفاسى : شفاء الغرام جـ ٢ ٢٠١ •
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٩١
السباعى : تاريخ مكة جـ ١ ١٨٤ •
سرور : سياسة الفاطميين ٢٦
ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ٢٢٨ •

والدعوة للفاطميين وبدأ بذلك حكم الاسرة الثانية وهى الهواشم من ال الحسن (١)

وأصاب هذه الاسرة الثانية آفة الصراع بين جماعات الاشراف سواء من أفراد الاسرة السابقة او من الهواشم انفسهم (٢) .

ففى عام ٤٥٧ هـ ثار حمزة بن دهاس احد بنى سليمان على الشريف محمد بن جعفر سنة ٥٥٦ هـ فوقعت اضطرابات بين أفراد الاسرتين من بنى الحسن ما يقرب من عام كامل . حتى تمكن الشريف محمد بن جعفر من القضاء على مناوئيه من بنى الحسن . واستمرت آثار هذه الاضطرابات بين الاشراف حتى تولى الشرافة قليته بن القاسم ٥١٨ : ٥٢٧ هـ فاستطاع اصلاح الامور بين جماعات الاشراف كى يعيد الامن المفقود فى مكة (٣) .

---

١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ١ ٤٣ .
الغسانى : العسجد المسبوك ٢٨٦
ابن الديبع : قرة العيون جـ ١ ٣٩ .
عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ٩٩
الفاسى : شفاء الغرام جـ ٢ ٢٠٢ .
محمد أمين صالح : العلاقة بين الفاطميين ٧٢

٢) الفاسى : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٠٣ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٩٣
القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٤ ٢٧١ ، السباعى : تاريخ مكة جـ ١ ١٨٥ .

٣) الفاسى : شفاء الغرام جـ ٢ ١٩٦ ، دحلان : خلاصة الكلام ٣٦
البرادعى : الدرة السنية ١٨ ، السباعى : تاريخ مكة جـ ١ ١٨٦ .

كذلك أدت المظالم التى احدثها الشريف القاسم بن هاشم ٥٤٩ - ٥٥٧ هـ واستنجاد الاهالى بعمه عيسى بن فليته ، الى قيام هذا الاخير بالثورة ضد الشريف وتوالى امرة مكة دونه (١) .

ثم ظهر النزاع على منصف الشرافة بين الاخوة . نجدها أولا فى ثورة مالك بن فليته ضد أخيه عيسى عام ٥٦٥ هـ ، وتولى مالك حكم مكة مدة عام واحد . ثم عاد الامر مرة اخرى الى عيسى بن فليته حتى توفى فخلفه ابنه داود ويبدو ان الخلافة العباسية قد دخلت طرفا اخر فى هذا النزاع بين أفراد الهواشم بالتدخل المباشر فى شئون البلاد بالعزل والتولية بما أدى الى تفاقم النزاع واشتداد التنافس وبالتالى تعرضت مكة الى اخطار جسام (٢) .

ورغم ان داود بن عيسى بن فليته كان حسن السيرة والعدل الا أنه

---

١) انظر تفصيل ذلك فى فصل المكوس .

٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٥٧ .
ابن الاثير الكامل جـ ١١ ٢٧٩ .
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٩٤
الفاسى : شفاء الغرام جـ ٢ ٢٠٧
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٤ ٤٨٦ .

تعرض لانقلاب اخيه مكثر بن عيسى عام ٥٧١ هـ نتيجة تحريض الخليفة العباسى له ضد أخيه واغرائه بأمارة مكة • فأخرج مكثر أخاه داود من مكة فالتجأ الى وادى نخلة (١) •

وفى نفس الوقت كانت الخلافة العباسية تقرب اليها أبناء عمومة الشريف عيسى بن فليتة • فاعتبر مكثر بن عيسى بن فليتة هذا التقرب عملا عدائيا ضده • فأخذ يستعد لشراء الاسلحة والذخائر ويدرب الرجال • وكذا بناء قلعة فى أعلى جبل قبيس واتخذها حصنا منيعا يلجأ اليه اذا حاول أمير الحج العراقى عزله (٢) •

ومن الطبيعى ان هذه الاجراءات او الاستعدادات التى اتخذها مكثر امير مكة لم توافق هوى الخليفة العباسى وعزم على خلعه • فقد جهز الخليفة جيشا كبيرا زوده بالمنجنيقات والات النفط وعهد بقيادته الى امير

---

١) ابن الاثير : الكامل جـ ١١ ٢٨٩ •
القاسى : شفاء الغرام جـ ٢ ٢٠٨ •
السباعى : تاريخ مكة جـ ١ ١٨٩ •
٢) القاسى : تحصيل المرام ورقة ٨٠ •
الجزيرى : درر الفوائد ٢٧١ •
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٧٦ •
السباعى : تاريخ مكة جـ ١ ١٨٩ •

الحج العراقى طاشتكين فى موسم ٥٧١ هـ وكلفه بعزل مكثر وهدم الحصـــن الذى بناه فى أعلى جبل أبى قبيس • ودار قتال بينهما عنيف بعد انتهـاء الحج وأسفرت النتائج عن سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى (١) •

وفى ظروف هذه الفتنة أمر مكثر بن عيسى بنهب الحجاج والاستيلاء على اموالهم واموال التجار المقيمين فى مكة واحرق كثيرا من دورها • وعندمـــا حلت الهزيمة بالشريف التجأ الى حصنه بأعلى جبل قبيس حيث حاصره طاشتكين واستولى على الحصن فهرب مكثر من مكة وحل محله أخوه داود بن عيسى (٢) •

وأغلب المصادر التاريخية لا توضح مدة ولاية داود على مكة • وبعضهـا يذكر أن مكثرا وأخاه داود ظلا يتداولان حكم مكة رغم عداء الخلافة العباسيـــة وكذا اصلاح الدين لمكثر بن عيسى بصفة خاصة بسبب سياسته فى فرض المكـــوس

---

١) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ٣٠١ •
الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ٢٠٩ •
الجزيرى : درر الفوائد ٢٧٣ •
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٩٧ •
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ١٩٠ •

٢) الجزيرى : درر الفوائد ٢٧٢ •
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ١٩٠ •
ياقاســى : بلاد الحجاز ٥٣ •

" انظر فصل المكوس بهذا الفصل " ومع كل فقد انفرد مكثر بن عيسى بأمارة مكة طوال عشرة سنوات ٥٨٧ : ٥٩٧ هـ حيث انتقلت الامارة الى اسرة ثالثة من أسرات الحسنيين (١) .

وقد جاء انتقال الامارة الى هذه الاسرة الثالثة نتيجة عداء الخلافة العباسية المستمرة لشريف مكة مكثر بن عيسى (٢) .

ولم تلجأ هذه الخلافة هذه المرة الى القوة العسكرية بل الى تحريض من يدعى قتادة بن ادريس من بني الحسن صاحب ينبع الذى استطاع ان يجمع الاشراف الحسنيين حوله ويوحد كلمتهم تحت لوائه وكذلك الاعراب الذين التفوا حوله . فانتزع امرة مكة من مكثر فتهرب هذا الى وادى نخلة قرب الطائف حيث توفي هناك ٥٩٩ هـ (٣) .

١) ابن فهد اتحاف الورى ورقة ٢٣٩ .
الفاسى : تحصيل المرام ورقة ٨٤
الفاسى : شفاء الغرام جـ ٢ ٢١٠ .
الجزيرى : درر الفوائد ٢٧٤
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٩٨
السباعى : تاريخ مكة جـ ١ ١٩١
البرادعى : الدره السنية ٢٣ .

٢) الطبرى : الارج المسكى ورقة ٢٢٠ ، ابن فهد : اتحاف الورى ٢٤٢
الفاسى : شفاء الغرام جـ ٢ ٢١٠ ، دحلان : خلاصة الكلام ٤١ .

٣) الفاسى : تحصيل المرام ٨٨ ، الجزيرى : درر الفوائد ٢٧٥ .
دحلان : خلاصة الكلام ٤٢ ، السباعى : تاريخ مكة جـ ١ ١٩١ .

وهكذا بدأ حكم الاسرة الثالثة من ال الحسن هى اسرة بنى قتادة التى اصابهم أيضا افة الصراع بين رجالاتها حول منصب امرة مكة علاوة على احتدام الصراع بينهم وبين اشراف المدينة المنورة .

ويبدو ان قتادة هذا كان ذا شخصية قوية ففى عام ٦٠٧ هـ وقعت فتنة كبيرة بين الحاج العراقى واهل مكة وسببها ان احد الحجاج العراقيين قتل احد عبيد الشريف قتادة يدعى بلال مما أدى الى نشوب القتال بين الطرفين واجبر الشريف قتادة امير الركب العراقى على دفع اموال بلغت قيمتها ثلاثين الف دينار ويؤكد الفاسى [١] ان هذه الاموال دفعت للشريف قتادة مقابل خسائره فى هذه المعركة .

فى سنة ٦١٢ هـ وجه اهانة الى الملك عيسى بن العادل الايوبى صاحب الشام وتغلب على محاولة عزله من امرة مكة [٢] .

وجاء مقتل عميد اسرة بنى قتادة الذى شن حربا متواصلة ضد امراء المدينة المنورة بقصد ضمها الى امارته على يد ابنه الحسن . وكان كل من

---

١) انظر فصل المكوس .

٢) انظر النفوذ الايوبى على الحجاز .

الاب والابن يريد قتل الاخر • فاستغل الحسن فرصة مرض ابيه قتاده وقتله عام ٦١٧ هـ ونادى بنفسه أميرا على البلاد (١) •

وأدى مقتل قتادة بن ادريس على يد ابنه الحسن وتوليه امـــــرة مكة الى خلاف شديد مع الابن الثانى راجح • فدخل الاخوان فى صـــــراع مرير تدخلت فيه عدة قوى خارجية (٢)

فقد انتهز راجح بن قتاده فرصة قدوم الحج العراقى عام ٦١٨ هـ بقيادة اقباشى الناصرى فاستنجد به ضد اخيه • فهاجم الحسن ســـرادق امير الحج العراقى للفتك باخيه راجح الذى نجح فى الهرب بينما قتل اقباشى الناصرى (٣) •

١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٤٤ بـ الطبرى : الارج المسكى ٢٢٣
الفاسى : شفاء الغرام جـ ٢ ٢١٠ ، دحلان : خلاصة الكلام ٤٢
الجزيرى : درر الفوائد ٢٧٦ ، البرادعى : الدره السنية ٢٧

٢) الغسانى : العسجد المسبوك ٢٦٥
دحلان : خلاصة الكلام ٤٣ •
السباعى : تاريخ مكة جـ ١ ١٩٣

٣) الجزيرى : درر الفوائد ٢٧٥ •
الفاسى : شفاء الغرام جـ ٢ ٢١٢ •
البرادى : الدرة السنية ٢٨ •
السباعى : تاريخ مكة جـ ١ ٢٠٨

ولا شك ان هذا الاعتداء على امير الحج العراقى ادى الى غضب الخليفة وعزم على الانتقام من الحسن • غير ان الحسن استطاع ان يمتص غضب الخليفة بتقديم الاعتذار وطلب العفو • فاجابه الخليفة الى طلبه [1].

اما بالنسبة لراجح ابن قتادة فانه اضطر الى الذهاب الى اليمن للاستنجاد بالملك المسعود ابن الكامل الايوبى صاحب اليمن وانتهز الملك المسعود هذه الفرصة لمد نفوذه الى مكة عن طريق مساعدة راجح ضد اخيه الحسن • وبالفعل وصلت قوة عسكرية استطاعت طرد الشريف الحسن بن قتادة من مكة فولى ذاهبا الى بغداد • بينما تولى امرة مكة نور الدين عمر بن رسول نائبا عن الملك المسعود الايوبى صاحب الديمن وبجانبه الشريف راجح بن قتادة [2].

---

١) الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ٢١٢ •
المقريزى : الذهب المسبوك ٧٨ •
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ٢٠٩ •
٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٥٢ •
الغسانى : العسجد المسبوك ٢٣٠ •
ابن الربيع : قرة العيون ج ١ ١٩٨ •
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ١٢٣ •

وبينما كتب الخليفة العباسي الى الملك الكامل الايوبي سلطان مصـــر يعتب فيها ما فعله ابنه صاحب اليمن في مكة ، كان الحسن بن قتادة قد عـــاد الى القرى المجاورة الى مكة يستميل اليه بعض القبائل وكذا انضم اليه امـــير المدينة لاستخلاص مكة من نائب صاحب اليمن ياقوت المسعودي (١) . وأخيـــه راجح غير أن هذه المحاولة فشلت عام ٦٢٢ هـ وظل ياقوت المسعودي أمـــيرا على مكة حتى عام ٦٢٥ هـ (٢) .

* * *

---

١) كان الملك المسعودي صاحب اليمن قد استدعى عمر بن رسول عام ٦٢٠ هـ وعين مكانه الامير صارم الدين ياقوت المسعودي الذي اطلق على نفسه امير الحـــج والحرمين ومتولى امر الجند بمكة ومدبر احوالها .

٢) الطبري : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٣٥ .
الناس : تحصيل المرام ورقة ٨٩
المقريزي : السلوك جـ ١ ٢١٣ .
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ١٢٤ .
محمد بهجت : الصلات السياسية والحضارية ١٨٥ .

ثانيا : العلاقة بين اشراف مكة واشراف المدينة :

اعلن امراء المدينة من آل الحسين بن على بن أبى طالب استقلالهم سنة ٣٦٠ هـ وارتبط معهم أمراء مكة بصلة القرابة ولم تحدث أية فتن فيما بينهم سوى الحملة العسكرية التى قام بها أبو الفتوح سنة ٣٩٠ هـ بأمر من الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ولان أمراء المدينة قطعوا الخطبة سنة ٣٩٠ هـ أعد أبو الفتوح حملة لاعادة بنى مهنى الى طاعة الخليفة الفاطمى (١) .

ويؤكد ابن خلدون (٢) والفاسى ان أبتا الفتوح حكم مكة والمدينة عامين كاملين حتى استجاب له بنو مهنى واعلانهم واعلنوا الطاعة للخليفة الحتكم بأمر الله .

وقد وقع خلاف فى سنة ٤٤٣ هـ بين بنى هلال وبنى عامر وبين بنى مهنى اشراف المدينة الذين حرضوا الشريف شكر باعداد حملة عسكرية ضد بنى مهنى

---

١) الفاسى : شفاء الغرام ، ٢/١٩٨ .
الجزيرى : درر الفوائد ٢٤٨ - ٢٤٩ .

٢) بن خلدون : العبر ٤/١٠٢ .
الفاسى : شفاء الغرام ٢/١٩٩ .

ومناصرة هاتين القبيلتين استطاع شكر الاستيلاء على المدينة ولذلك لقبه ابن خلدون والفاسي بملك الحجاز ، واستمرت ولايته حتى سنة ٤٥٠ هـ وأعاد بني مهنى الى امرة المدينة بعد أن عقد الصلح بينهم (١) .

وعلى أثر انتهاء دولة بني سليمان وقيام اسرة الهواشم ارتبط محمد بن جعفر ارتباطا وثيقا مع اشراف المدينة ولم تحدث اية اعتداءات طوال فترة حكمه ولابناوءه وأحفاده من بعده حتى تولى امرة مكة مكثر بن عيسى وعلى اثر الحروب التي جرت بينه وبين طاشتكين أمير الركب العراقي اسند الخليفة المستضئ بالله العباسي امارة مكة الى الامير هاشم بن مهنى الحسيني على اثر عزل مكثر ولكنه لم يستطع ادارة الامور في مكة وطلب من طاشتكين ان تكون ولايتها بيد داود بن عيسى فاسندت اليه عام ٥٧١ هـ (٢) .

وحينما تولى الشريف قتاده ابن ادريس امير ينبع امر مكة سنة ٥٩٧ هـ

---

١) الجزيري : درر الفوائد ٢٥٠ .
السباعي : تاريخ مكة ، جـ ١ ، ص ١٢٠ .
٢) الطبري : الارج المسكي ، ورقة ٢٤٤ .
سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ٢٤٨/٨ .
بن جبير : الرحلة ، ص ٤٨ .

أراد ان يمد سلطانه الى المدينة المنورة فبدأ فى سنة ٦٠١ هـ يعد عدته لغزو المدينة ولكن اميرها تصدى لحملته والحق بها الهزيمة وبذلك استمرت الحروب بين امير المدينة سالم بن مهنى وقتاده بن ادريس مدة زادت عن ثلاثة اعوام دارت فيها أربعة حروب كان النصر فيها متساويا وانتهى اخيرا بعقد صلح بينهما (١) .

وفى آخر هذه المعارك قتل الحسن بن قتاده عمه مطاعن ، لهذا نجد أن قتاده أنهى الخلاف بعقد الصلح بينه وبين اشراف المدينة وتوعد بقتل ابنه الحسن (٢) .

وما لبث قتاده ان وقع فى خلاف مع امير الركب العراقى استفحل خطره حينما أرسل الخليفة العباسى جيشا يقوده سالم بن مهنى امير المدينة سنة ٦٠٩ هـ الذى هزم بانتصار قتاده عليه (٣) .

---

١) بن الاثير : الكامل ١٢/٢٠٥ .
السليمان : العلاقات الحجازية ١٢
٢) السباعى : تاريخ مكة ، جـ ١ ص ١٧٥
٣) بن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٤٦ .
الجزيرى : درر الفوائد ٢٦٨ .

وعلى اثر وقوع الخلاف الذى حدث بين قتاده وبين الملك عيسى ابن العادل الايوبى سنة ٦١١ هـ أرسل الملك عيسى جيشا من الشام لمساعدة الامير سالم بن قاسم امير المدينة لقتال الشريف قتاده وفى اثناء المعركة توفى الامير سالم مما ادى الى تفكك الجيش فاستطاع قتاده ايقاع الهزيمة به • وعلى اثر مقتل قتاده دخلت امارة مكة فى نزاع بين الاخوة ابناء قتادة[1]

اما امراء المدينة فلم تحدثنا المصادر عن أى خلاف حدث بينهم وبين ابناء قتادة بن ادريس سوى انهم كانوا موالين للايوبيين •

وعلى اثر سقوط الدولة الايوبية فى مصر وقيام دولة بنى رسول فى اليمن أعلن امراء المدينة فى سنة ٦٤١ هـ دخول طاعتهم تحت سلطان بنى رسول سلاطين اليمن •

وخلاصة القول ان اشراف المدينة الحسينيين امتاز حكمهم بعدم تدخلهم فى شئون امارة مكة اللهم الا ماحدث فى عهد أبى الفتوح وابنه شكر فى عهد مكثر وقتاده ولم تحدث اية خلافات بعد ذلك فيما بينهم وبين اشراف مكة حتى نهاية الحقبة الزمنية لهذا البحث •

* * *

---

١) الفاسى : شفاء الغرام ٢٣٢/٢ ، الجزيرى : درر الفوائد ٢٦٩
السباعى : تاريخ مكة ١٨٢/١ ، انظر تفصيل ذلك فى النفوذ الايوبى •

القبائــــل العربيـــــة

من المعلوم أنه بعد انتقال الخلافة الفاطمية الى مصر بدأ القرامطة التابعون للخليفة الفاطمى يهددون طريق ركب الحاج العراقى حتى استطاعوا سنـــة ٣٦٠ هـ منع حاج المشرق الدخول الى مكة . وقد سار على منوالهم بعـــض القبائل التى تقطن هذا الطريق فأصبحوا يطالبون الحجاج بالمكوس كمايفعـــل القرامطـــة .(١)

وقد ظل القرامطة يملأون طريق ركب الحاج العراقى بالرعب والمخـــاوف حتى سنة ٣٩٨ هـ اذ استطاع الخليفة العباسى اعداد حملة عسكرية لايقـــاف القرامطة عن اعتداءاتهم .

ومنذ سنة ٤٠٣ هـ بدأت قبائل بنى سليم وطى ، وبنى هلال تخـــرج لاعتراض ركب الحاج العراقى حتى سنة ٤٢٤ هـ اذ استطاع الامير أبو الفتـــوح محاربة هذه القبائل التى تهدد طريق أمن الحاج العراقى .(٢)

وعند ماتوفى أبو الفتوح خلفه ابنه شكر بدأت اعتداءات القبائل السالفـــة

---

١) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٥٣٠ .
الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٧ .
الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٤٤ .
٢) الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٤٤ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

الذكر على طرق الحاج ولكن شكر استطاع أن يرد عصيان هذه القبائل تارة باللين وأخرى بالشدة حتى أنه ألقى القبض على مشايخ هذه القبائل لهذا يصفه أكثر مؤرخي مكة بأنه كان يتمتع ببأس شديد . (١)

على أثر انتقال الحكم الى أسرة الهواشم تلاحظ أن السليمانيين اتحدو مع قبائل حرب وخرجوا على أبي هاشم محمد بن جعفر ولكنه استطاع تأديبهم وقضى على بني سليمان بقيادة حمزة بن دهاس . ولقد ظل أبوهاشم يحارب هذه القبائل حتى استطاع القضاء عليهم سنة ٤٦٨ هـ ويؤكد هذا القول ابن الاثير وابن فهد حيث يقولان ان أبا هاشم ظل يحارب هذه القبائل مايقرب من أربع سنين . (٢)

ومع بداية ولاية القاسم بن هاشم سنة ٤٨٤ هـ اعتدت القبائل

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٢٠ .
الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٠٠ .
السباعي : تاريخ مكة ، جـ ١ ، ص ١٧٣ .

٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٢١ .
ابن الاثير : الكامل جـ ٩ ص ١١٠ .

على الحجاج أثناء خروجهم من مكة فعاد الحجاج الى أمير مكة يخبرونـــــه بماحدث فلم يستجب لهم وحينما بلغ الخليفة العباسى بذلك أرسل الـــى مكة حملة بقيادة اصبهيد بن سارتكين الذى استطاع أن ينتزع مكة مـــــن القاســم .(١)

ولقد استطاع القاسم بمناصرة القبائل له أن يعود مرة ثانية الى مكــــة ويجلى عنها الاصبهيد القائد العباسى فى سنة ٤٨٧ هـ ومن هذا التعاون الذى تم بين القاسم والقبائل يتضح لنا تشجيع القاسم للقبائل العربية لتعتدى على الحجاج وزيادة الفوضى والاضطرابات المختلفة داخل مكة وخارجهـا .(٢)

وعندما تولـــى خليفة بن القاسم أمر مكة قضى على فتــــن الاعراب المختلفة وأصلح بين الاشــراف وهدأت الاضطرابـــات فى مكة ويعتبـــر

---

١) الفاسى : شـفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠٤ .
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف : ٩٣ .
السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ص ١٨٥ .
٢) الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٦٨ .
دحلان : خلاصة الكلام ص ٣٦ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٨٦ .

عهده العصر الذهبى لحكومة الاشـراف عموما وقد توفى سنة ٥٢٧ هـ.(١)

وما أن تولى أمر مكة هاشم بن فليته حتى عادت الفوضى والاضطرابـات مرة أخرى لانه بدأ عهده بمناصرة القبائل العربية حتى اعتدت هذه القبائـل على قافلة من التجار أتت من مصر وحينما علم الافضل وزير الديار المصريـة بذلك أراد أن يقضى على الأمير هاشـم ولكنه أرسل وفدا للاعتذار برئاسة عمـاره اليمنى الشاعر ثم مالبث أن عاد وحرض القبائل على نهب التجار مما زاد الامر سوءا (٢) .

ولقـد حرض الاعراب فى سنة ٥٤٣ هـ على أن يأخذوا من الحجـاج مكسين أحدهما له والآخر لهم مما ساعد على زيادة نشوب الاضطرابات والفتن (٣)

ولقد توفى هاشـم بن فليته فى سنة ٥٤٣ هـ وخلفه ابنه القاسم وفـى

---

١) الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٦٧ .
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٩٧ .
السباعى : تاريخ مكه ج ١ ص ١٨٧ .

٢) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٢٧٠ .
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٩٨ .
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٨ .

٣) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٧٨ .
الفاسى : العقد الثمين ج ١ ص ١٨٤ .

عهده • عادت الفتن الى الظهور وانتهت بخروجه من الامارة نتيجة لتغلب عمه عيسى عليه ولكن القاسم عاد مرة أخرى سنة ٥٥٧ هـ وظل على الامارة الى أن انتهى الأمر بتولية عمه مالك بن فليته سنة ٥٦٥ هـ ثم تغلب عيسى على مالك وأخيرا استقر الأمر الى مكثر بن عيسى الذى تولى أمر مكه بأمر من الخليفة العباسى الناصر لدين الله ولقد قضى مكثر فى بداية ولايته على القبائل التى كانت لها سيطرة كاملة فى البلاد • (١)

وعندما حلت سنة ٥٨٢ هـ أوقع الأعراب فتنة بين الحجاج العراقيين والشاميين يوم عرفه ووقف أمير مكه مناصرا للحاج الشامى ضد طاشتكين أمير الحج العراقى وانتهى اليوم بوقوع معركة دامية بينهم وقد أخبر طاشتكين الخليفة العباسى بما حدث من مكثر فجهزه بجيشه فى سنة ٥٨٦ هـ من أجل القضاء على مكثر ولكن بمناصرة القبائل العربية استطاع مكثر التصدى لهذا الجيش فلجأ الخليفة العباسى الى تحريض الاشراف ضد مكثر حتى استطاع الشريف قتاده بن ادريس أن يجمع جموعه وينتزع امارة مكة

---

١) الفاسى : تحصيل المرام ورقة ٨٤ •
الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٧٠ •
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٩ •

من أسرة الهواشم سنة ٥٩٧ هـ. (١)

من المعلوم أن الشـريف قتادة استطاع بمناصرة قبيلتى جهينه والرحله أن يدخل مكه سنة ٥٩٧ هـ ويستتبله الأمر فيها ولقد بدأ عهده بالقضـاء على القبائل العربية التى كانت تناصر الشـريف مكثر وأخاه داود ووطـد أمور امارته حتى انه ذهب بحملة عسكرية لرد القبائل العربية التى كانت تقطـن طريق مكة المدينة واستطاع تأديبهم. (٢)

ولقد ذهب فى سنة ٦١٣ هـ الى الطائف لتأديب قبائل ثقيف وهـوازن واستطاع أيقـاع الهزيمة بهم وأيضا دار قتال عنيف بينهم وبين قبائـل عوف خارج الطائف وبهذا استطاع قتاده أن يلقى الرعب فى قلوب القبائـل التى تقطن القرى والمدن المجاورة لمكة وانتهت حياته بقتله على يد ابنه الحسن. (٣)

---

١) الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٧٢ .
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٩ .

٢) الفاسى : شـفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠٨ .
الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٧٣ .
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٩٨ .
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ١٩٠ .

٣) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٤٩ .
الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٨٣ .
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ٢٠٤ .

وبعد أن قتل الشريف قتادة دب النزاع بين ولديه الحسن وراجح حيث حاول كل واحد منهما استمالة مجموعة من القبائل اليه للقضاء على أخيه وظل الصراع مستمرا بين الاخوين الى أن استتب أمر مكه الى محمد أبى نمى الأول سنة ٦٦٧ هـ الذى استطاع أن يؤدب جميع القبائل العربية ويسيطر عليهم ليضمهم تحت لوائه وقد سبق التحدث عن هذه الخلافات فى الصراع بين الايوبيين وبنى رسول فى الحجاز فى هذا الفصل •

* *

المكـــــوس :

اذا كان الفاطميون قد أعطوا أقاربهم من العلويين حكم الحجـــاز لكى يقوموا بالدعاء باسم الخليفه الفاطمى على منابر الحرمين الشريفيـــن ليعطيهم بذلك صفة السيادة الشرعية على العالم الاسلامى • فان تـــلك السيادة تعرضت الى مناقشة الخلافة العباسية كما سبق بحثه تفصيلا مـــن ناحية ، كما أنها من ناحية أخرى ارتبطت تماما بما تعهدت به الخلافة الفاطمية من ارسال الاعطيات السنوية التى تمكن أشراف مكه بالذات مـــن توطيد حكمهم •

وعلى هذا فقد تحدد ولاء الأشراف لأى من الخلافتين على أســاس ورود تلك الأعطيات أو انقطاعها • كما أعطاهم الحق فى فرض المكـــوس على الحجاج والتجار الوافدين فى الموسم لتعويض من ينقطع من مال • تلك السياسة التى جلبت كثيرا من الاضطرابات من جراء فرض المكوس أو الغائها • وتستدل على ذلك بما جاء من أخبار تربط بين تلك المظاهر الثلاثة ، الدعوة لأى من الخليفتين على أساس مايرد من أيهما من عطاء اكثر اغراقا ، وفرض المكوس على من هم تابعين لمن انقطع من قبله ذلك العطاء •

ولقد بدأ تلك السياسة أول الحكام الاشراف من بنى سليمان • فلقد

فرض الشريف جعفر بن محمد على الدعاء باسم الخليفة العباسي دون الفاطميين التي انقطعت أعطايتهم وعوض ذلك فرض المكوس على حجاج وتجار مصر والشام دون غيرهم من الركب العراقي . مما دفع الخليفه العزيز الفاطمي الى ارسال حملة عسكرية بقيادة باديس بن زيرى الصنهاجي عام ٣٦٧ هجريه لاعادة الخطبه ورفع المكوس(١) .

وبسبب انقطاع الاعطيات لعدم ورود الحاج العراقي لجأ الشريف أبو الطيب بن داود الى فرض المكوس عام ٤٠٢ هجريه(٢) . ثم الغاها الشريف أبو الفتوح بن جعفر بعد عودته الى منصب الشرافة ، وسار سيرة حسنة بين الناس . غير أنه اضطر الى فرض المكوس في الفترة في عام ٤٢٢ وحتى وفاته سنة ٤٣٠ هجرية واستمر ابنه الشريف شكر في فرض هذه المكوس حتى ألغاها عام ٤٤٩ هجرية نظرا للرخاء الذى أصاب

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢١٩.
ابن خلدون : العبر جـ٤ ص١٠٠ .
دحلان : خلاصة الكلام ٢٢ .
الجزيزى : درر الفوائد ص٢٤٦-٢٤٧ .

(٢) دحلان : خلاصة الكلام ص٢٤ .

مكـه بوصـول الاعطيات لـه وللاهالى من كلتا الخلافتين العباسـية والفاطميـة[١] .

كذلك نرى مما ذكره المؤرخون عن أعمال على بن محمد الصليحـى حاكم اليمن الذى أتى عام ٤٥٥ هجريه وتم على يديه نقل الحكم الى عميد الهواشم محمدبن جعفر ، أن هناك مظالم على الحجاج والتجار رفعهـا الصليحى ومكوسا ألغاها باتفاق مع ذلك الشريف[١] ومع ذلك فقد أعاد الشريف محمدبن جعفر وفرض المكوس عام ٤٦٢ هجريه لانقطاع أعطيات الخليفة الفاطمى ثم ألغاها فى السنة التالية بوصول أعطيات الخليفة العباسى[٢] واستمر فى هذا الاضطراب فى فرض المكوس حتى نهاية عام ٤٨٤ هجرية[٣] حـيث فرض الشريف القاسم بن محمد بن جعفر المكوس على الحجاج والتجار بسـبب

---

(١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ١ ٣٥ .
الغسانى : العجسد المسبوك ٢١٠ .
ابن الربيع : قرة العيون جـ١ ١٤٣ .
السباعى : تاريخ مكه جـ١ ١٨٩ .
(٢) الجزيرى : درر الفوائد ٢٥٥ .
السباعى : تاريخ مكه جـ١ ١٩٠ .
(٣) الجزيرى : درر الفوائد ٢٥٦ .

نقص الاعطيات وقبل أن ركب الحاج العراقى لم يفد فى عهده لعدة سنوات مما أدى الى ازدياد الأزمنة واستمرار المكوس حتى رفعها عام ٥١٤ هجريه عند وصول أعطيات الخليفه الفاطمى (١) .

ومع كل فان المصادر تشير الى ماقام به الشريف فليته بن القاسم ٥١٨ : ٥٢٧ هجريه من اصلاحات استمرت طوال عهده وهى الغاء جميع المكوس التى فرضها آباؤه وأجداده من قبل ، وأحسن معاملة الاهالى عموما ، وسار فيهم سيرة حسنة ، كما أصلح شئون الامارة وعمل على نشر الأمن والاستقرار فيها (٢) وعلى العكس من ذلك كان ابنه هاشم بن فليته الذى استهل عهده بفرض المكوس على الحجاج والتجار معا مما أدى الى اضطراب الأمن فى مكه . وكذلك كانت سياسة خلفه القاسم بن هاشم فى فرض المكوس على الحجاج والتجار . وزاد عام ٥٥٢ هجريه الاعتداء

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ٢ ٢٢٤ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥ ٨٤ .
الجزيرى : درر الفوائد ٢٥٦ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ٢ ٢٢٩ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥ ٩٣ .
الجزيرى : درر الفوائد ٢٥٧ .
السباعى : تاريخ مكه جـ١ ١٩٣ .

على التجار وأعيان مكه ومصادرة أموالهم مما ألجأ هؤلاء الى الاستنجاد بعمه عيسى بن فليته الذى قام بطرد القاسم من مكه واعادة الاموال الصادرة والغاء جميع المكوس التى فرضت على الحجاج والتجار ، وتولى عيسى بن فليته أمر مكه (١) .

ومن العجل أن نسمع عن ثورة ضد هذا الشريف المصلح من جانب أخيه مالك عام ٥٦٥ هجريه بغرض اعادة المكوس على الحجاج والتجار واستمر فى ذلك عاما واحدا حيث عاد عيسى بن فليته عام ٥٦٧ هجريه الى ولايته ودخل فى طاعة الايوبيين (٢) .

ومع كل فان أشراف مكه كانوا يعتبرون المكوس موارد مالية رئيسية لهم يتعذر الغاؤها بسبب ما ينقطع أو ينقص من أعطيات وارده من بغداد أو القاهرة . ولم يقبل عيسى بن فليته مبدأ صلاح الدين فى الغاء المكوس كافة الا على

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ٢٣٩ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ٢٣٣ .
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ٩٠ .
(٢) الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ٢٣٣ .
دحلان : خلاصة الكلام ٣٨ .
السباعى : تاريخ مكة جـ١ ١٩٦ .

أساس تعهد صلاح الدين بضمان ارسال أموال وسلع غذائيه لشريف مكه كل عام (١) .

غيرأن تدخل الخلافة العباسية فى شئون التولية والعزل بين داود ومكثر ابن عيسى بن فليته مما أدى الى عزل داود تولية مكثر والتجاء الاخيرأمام هذا التدخل العباسى أو توقعاته ضده الى اجراءات عدة تحصينات للدفاع عن امارته كلفته أموالا كثيرة فعمد الى مخالفة اتفاق أبيه السابق مع الايوبيين وفرضا لمكوس(٢) .

وجلبت تلك المخالفة لاتفاقيــة الغاء المكوس الى تعرض مكثر بن عيسى الى عداء سافر من جانب كل من الخلافة العباسية وصلاح الدين ، فلما أرسلت الخلافة العباسية حملة بقيادة طاشتكين أدت الى قتلى وجرحى من الطرفين ، ونهب الحجاج ومصادرة أموال التجار ، وانتهت بعزل مكثر واعادة أخيه داود عام ٥٧١ الى امارة مكة مرة أخرى فألغى المكوس ،

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢٧٣ .
الفاسى : العقد الثمين جـ١ ١٧٠ .
(٢) دحلان : خلاصة الكلام ٣٤ .
السباعى : تاريخ مكه جـ١ ١٩١ .

وأعاد الحجاج آمنين كما سبق ذكره " انظر الهامش فصل النزاع بين الاشراف " فان مكثر نافس اخاه وتولى منصب الامارة مرة ثالثة وما لبث أن عاود سياسته في فرض المكوس(١) .

كذلك جاء سيف الاسلام طغتكن أخو صلاح الدين حين عودته الى اليمن لآداء فريضة الحج موسم ٥٨١ هجريه فاصدر مكثر أوامره الى سادن الكعبه بغلقه بابها أمام سيف الاسلام بسبب ما كان بينهما من خلاف حول أخذ المكوس من الحجاج القادمين من البحر عن طريق عيذاب جده • فتعرض مكثر للتأديب وأعيد أخوه داود لامرة مكرة فترة الى أن تغلب عليه مكثر مرة أخرى عام ٥٨٧ هجريه وانفرد بامارة مكه مدة عشر سنوات حتى عام ٥٩٧ هجرية حيث انتقلت الامارة الى اسرة ثالثة من اسرات الاشراف بتحريض من الخلافة العباسية ورضى من الايوبيين(٢) .

---

(١) الفاســي : شفاء الغرام جـ٢ ٢٣٥•
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ٩٤ •

(٢) الطبري : الأرج المسكى ورقه ٤٤ •
الجزيرى : درر الفوائد ٢٥٨•
دحلان : خلاصة الكلام ٤١ •

واذا كان قتاده بن ادريس أول أشراف هذه الاسره الحاكمة الجديدة قد ألغى المكوس حسب سياسة الايوبيين ، فانه على أثر حدوث خلاف بينه خلافا حدث بينه وبين أمير الحج العراقى سنة ٦٠٧ هجريه أدى الى نشوب قتال بينهما (١) .

وفى العام التالى حصل الشريف قتاده بن ادريس من الركب العراقى مكوسا بلغت جملتها ثلاثين الف دينار واستمر فى فرض المكوس على الحاج العراقى فقط (٢) .

وقد حاول الخليفه العباسى التقرب الى شريف مكه بأن أرسل اليه الخلع والاموال وطلب منه القدوم الى بغداد وغيرأن قتاده رفض هذا الطلب اذ شك فى الأمر وتوقع الشر . وبدأ فى أخذ الاستعدادات الحربية للدفاع اذ توعده الخليفه بارسال جيش لقتاله . ووصل جيش الخلافة العباسية فى العام التالى الى المدينة المنورة فتصدى له ال مهنى أشراف المدينة بناء على اتفاق مسبق مع شريف مكه . وكان أن حلت الهزيمة

---

(١) انظر فصل العلاقة بين الاشراف .

(٢) الفاسى : عقيل المرام ورقه ٨٤ .

الجزيرى : درر الفوائد ٢٦٠ .

بجيش الخليفه فانسحب عائدا الى بغداد دون التوجه الى مكه (١) .

وبعد أن تعرض الشريف قتاده بن ادريس بالقتل على يد ابنه الحسن عام ٦١٧ هجريه في ظروف صراعه مع أشراف المدينة ، وتولى الحسن بن قتاده أمرة مكة بادر بالغاء المكوس على الحجاج والتجار . واستمر هذا الالغاء ساريا مع بداية النفوذ اليمني بالحجاز حتى عهد عمر بن رسول ثم ياقوت المسعود ثم الشريف راجح بن قتاده . ثم عادت هذه المكوس في ظروف الصراع بين الايوبيين وبني رسول حول السياده في الحجاز حتى عام ٦٣٩ هجريه حين أمر نور الدين عمر بن رسول مؤسس الدولة الرسوليه باليمن الى الغاء المكوس والجبايات عن الحجاج والتجار حتى نهاية الحقبه الزمنيه لهذا البحث .

* * *

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ١٢ ٢٩٠ .
ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ٢١٠ .
السباعي : تاريخ مكه جـ١ ١٩٤ .

التنافس بين الايوبيين وبنى رسول حول النفوذ في الحجاز

لم يتعرض النفوذ الايوبى للحجاز لأى منافسه خارجيه فترة من الوقت حتى بدأ التدخل اليمنى . وجاء ذلك فى ظروف الخلاف بين الاخوين من بنى قتاده فاستنجد أحدهما بالفرع الأيوبى الحاكم باليمن فأرسل الملك المسعود الايوبى قوة عسكرية استطاعت السيطرة على مكة عام ٦١٩ هجريه وتولى الامارة فيها نورالدين عمر ابن رسول ومعه الشريف راجح بن قتاده (١) .

ويبدو أن سلطان هذا الشريف لم يكن شيئا مذكورا أمام سلطان عمر بن رسول نائب الملك المسعود ملك اليمن بل ان هذا الاخير أخذ يباشر سلطة العزل والتولية عام ٦٢٠ هجريه حين استدعى نائبه عمر بن رسول وعين مكانه الامير صارم الدين ياقوت المسعودى الذى أطلق عليه نفسه أمير الحج والحرمين ومتولى أمر الجند بمكه

---

(١) الطبرى اتحاف فضلاء الزمن ورقه ٣٩ .
ابن الربيع : قرة العيون جـ٢ ٨ .
الخزرجى : العقود اللؤلؤيه جـ١ ٤٩ .
يحيى بن الحسين : غاية الامانى جـ١ ٤١٠ .
عليان : الحياة السياسية ٣٠ .
محمد بهجت : الصلات السياسيه ١٨٩ .

ومدبـــر أموالهـا (١) .

وفى عام ٦٢٦ هجريه عزم الملك المسعود الأيوبى الذهاب الى مصر وعيـن على اليمن نور الدين عمر بن رسول ورحل الى مصر عن طريق الحجاز وفـــى طريقه أصيب بمرض أدى الى وفاته ودفن بمكه المكرمة بناء على وصيته وعلى أثـر وفاته أعلن نور الدين عمر بن رسول نفسه ملكا على اليمن وولى ياقوت المسعودى نائبا عنه على مكه وبدأ عهد جديد فى بلاد الحجاز كى يبدأ حكم بنى رســول باليمن والحجاز دون الايوبيين (٢) .

ولم يكن السلطان الكامل الايوبى يرضى عن ضياع النفوذ الايوبى بالجزيـــرة العربية فكان أن جهز جيشا بقيادة طغتكين عام ٦٢٧ هجريه أرسله الـــى

---

(١) الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقه ٤١ .
المقريزى : السلوك جـ١ ٣٠٠ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ٢١٤ .
القلقشندى : صبح الأعشى جـ٥ ٨١ .
عليان : الحياه السياسيه ٣٣ .
(٢) الغسانى : العسجد المسبوك ٢٩٥ .
الخزرجى : العقود اللؤلؤيه جـ١ ٥٠ .
يحيى بن الحسين : غاية الأمانى جـ١ ٤٢١ .

الى مكه للاستيلاء عليها والقضاء على اليمنيين فيها فاستطاع طغتكين أن يحقق هذا النصر معلنا الخطبه للسلطان الكامل الايوبى (١) .

ولم يهنأ طغتكين طويلا ذلك أن ابن رسول أعد جيشا سنة ٦٢٧ هجريه لاستعادة مكه وجعل قيادته بين الشريف راجح بن قتاده الذى استمال اليــه رؤساء مكه لتذكيرهم بمــا فعله نور الدين عمر بن رسول من أعمال حميده حينما كان واليا على مكه وحيــن أحسن طغتكين بقرب هذا الجيش وأنه لن يستطــع له دفعا ، فضل تجنب الهزيمة فترك مكه هاربا الى ينبع ودخل راجح مكه وخطب فيها لسلطان اليمن نور الدين عمر بن رسول الذى بعث له على أثر ذلك الاعطيات والخلع وجعله واليا على مكه (٢) .

أما طغتكين الأيوبى فقد أرسل مبعوثا الى مصر أبلغ السلطان الأيوبــى بما حدث له وصلت النجده فأعد السلطان جيشا كبيرا بقيادة الأمير فخر الدين

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ٢١٤ .
السباعى : تاريخ مكه جـ١ ٢٠٩ .
باقاسى : بلاد الحجاز ٧٠ .
(٢) الغسانى : العسجد المسبوك ٢٩٧ .
المقريزى : السلوك جـ١ ٣١٠ .
السباعى : تاريخ مكه جـ١ ٢٠٩ .

شيخ الشيوخ وطلب من أمير ينبع أبو سعيد ومن أمير المدينة شيحه ابن قاسم الانضمام الى الامير فخر الدين وطغتكين ومساعدتهما فى استرداد مكه وتمكن هذا الجيش الايوبى من دخول مكه ومحاصرة قوات بنى رسول فيها وأنزل بهم الهزيمة وخطب فيها للملك الكامل سنة ٦٢٧ هجريه بألقاب سلطان القبلتين وخادم الحرمين الشريفين أبو المعالى محمد الملك الكامل ناصر الدين خليل أمير المؤمنين (١) .

غير أن الحرب استمرت سجالا بين الايوبيين وبين رسول حول السيطرة على الحجاز ففى شهر ربيع الثانى سنة ٦٢٨ هجريه جهز الملك المنصور نور الدين عمر بن رسول صاحب اليمن جيشا بقيادة أبى عبد الله ومعه الأمير راجح للاستيلاء على مكه فاستطاعوا محاصرة الجيش الايوبى فيها مما أدى الى فرار قادة الجيش الايوبى الى وادى نخله فى طريق مكه الطائف ، وانتهز الامير راجح بن قتاده هذه الفرصة ودخل مكه واحتلها بالجيش

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام ج٢ ٢١٥.
السباعى : تاريخ مكه ج١ ٢١١.
السليمان : العلاقات الحجازيه ٣٤ .
ياقاسى : بلاد الحجاز ٧٠ .
عليان : الحياة السياسية ٥١ .

اليمنى وأعلن سكانها الولاء والطاعة وخطب فيها لصاحب اليمن الملك المنصور نورالدين ابن رسول للمرة الثالثة (١) .

وفى السنة التالية جهز الايوبيون جيشا فى شهر جمادى الآخره بقيادة الامير طغتكين أيضا وأستولى على مكه وفرضها الشريف راجح وأبو عبدالله قائد الجيش اليمنى وهرب باقى الجيش معهم (٢) .

وما أن بلغت أخبار هذه الهزيمة صاحب اليمن الملك المنصور حتى بادر باعداد حملة عسكرية كبرى فى نفس السنة لكنها لم تستطع مواجهة جند الايوبيين المرابطين فى مكه فعادت الى اليمن دون أن تحقق أهدافها (٣) .

---

(١) الغسانى : العسجد المسبوك ٢٩٧ .
الخزرجى : العقود اللؤلؤيه جـ١ ٥١ .
المقريزى : السلوك جـ١ ٣١٤ .
الجزيرى : درر الفوائد ٢٧٩ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ٢١٣ .
(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢٥٤ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ٢١٣ .
السباعى : تاريخ مكه جـ١ ٢١٥ .
ياقاسى : بلاد الحجاز ٧٢ .
(٣) الغسانى : العسجد المسبوك ٣٠١ .
الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ١ ٥٣ .
الجزيرى : درر الفوائد ٢٧٩ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ٢١٥ .

وبذلك عادت أمارة مكه معلنة ولاءها لطاعة الايوبيين وعاد الـــى امارتها الامير طغتكين جعلنا الخطه للسلطان الايوبي حتى ٦٣٠ هجريه (١) .

وفى السنة التالية جهز صاحب اليمن حملة عسكرية بقيادة الشـــريف راجح بـــن قتادة الذى تمكن من القضاء على الجيش الايوبي فيها وقد رأى الملك المنصور أن سيطرته على مكه لابد وأن تأخذ الصبغة الشرعية لذلك بعث فى نفس السنة الى الخليفه العباسى طالب منه أن يقلده بلاد اليمـن والحجاز ويرسل له كتاب التقليد والخلع فاستجاب الخليفه له وأرسل له تقليدا بولاية اليمن والحجاز فى العالى التالى (٢) .

وعلى أثر ذلك أخذ الملك المنصور نورالدين بن رسول صاحـــب اليمن يقوم ببعض الاعال التى تمكنه من السيطرة على مكه اذ بدأ فى ارســال

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢٥٥ .
الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقه ٣٦ .
الغسانى : العسجد المسبوك ٣٠٢ .
عليان : الحياة السياسية ٥١ .

(٢) يحيى بن الحسين : غاية الامانى جـ١ ٤٢٢ .
الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ١ ٥٢ .
ابن الربيع : قرة العيون جـ٢ ٨ .
الفاســى : العقد الثمين جـ٦ ٢٤٤ .

أعطياته الى أمير مكه راجح بن قتاده كما أرسل اليه الخلع من اليمن وأغدق فى توزيع الاموال على سكان مكة ليكسب ولاءهم له(١) .

وفى سنة ٦٣٢ هجريه أرسل الأيوبيين قوة عسكرية بقيادة خمسة من الأمراء يرأسهم القائد أسد الدين جفريل فاستطاعت هذه القوة من محاصرة الأمير راجح بن قتاده فى شهر رمضان مما جعله يترك مكه ومعه جند اليمن متجهين الى اليمن .

وتولى أمر مكه الأمير جفريل نيابة عن السلطان الأيوبى الكامل ولكن أمارة مكه لم تستقر أمورها له دون متاعب وحينما علم نورالدين صاحب اليمن استعد بقوة عسكرية لاسترداد مكه(٢) .

---

(١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ١ ٥٣ .
ابن الربيع : قرة العيون جـ٢ ١٠ .
المقريزى : السلوك جـ١ ٢٥٠ .
الفاسى : العقد الثمين جـ٦ ٢٤٥ .
عليان : الحياة السياسية ٥٦ .
(٢) المقريزى : السلوك جـ١ ٢٥٤ .
يحيى بن الحسين : غاية الأمانى جـ١ ٤٢٣ .
بهجت : الصلات السياسية ١٨١ .

وفى السنة التاليه جهز نورالدين جيشا بقيادة الشهاب بن عبدالله يرافقه الامير راجح وأرسل معهم الاموال ليستميلوا أهل مكه ضد جيش الايوبيين المرابط فى مكه ، وحينما بلغت مسامع هذا الجيش جغريل خرج لملاقاته ودارت معركة حامية الوطيس أسر فيها القائد اليمنى الشهاب ابن عبدالله وبعث به الى القاهرة وفى الامير راجح (١) .

وفى السنة التاليه عاد الملك المنصور صاحب اليمن بارسال حملة عسكرية أخرى من اليمن واستطاع جغريل أن يخرج لملاقاتها والقضاء عليها وأنزل بهم هزيمة نكراء . وحينما علم المنصور بهزيمة الجيش أعد حملة فى سنة ٦٣٥ هـ قادها بنفسه ويرافقه الامير راجح ومعهم ألف فارس واستطاع الامير راجح أن يدخل مكه وعسكر الملك المنصور نورالدين بجزء من الجيش خارج مكه فى مكان يقال له السرين (٢) . وبذلك تمكن راجح من القضاء على الامير

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب جـ٣ ٢٢٧ .
الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ١ ٥٦ .
يحيى بن الحسين : غاية الامانى جـ١ ٤٢٥ .
ابن الربيع : قرة العيون جـ٢ ١٢ .

(٢) السرين مكان يقع بين مكه واليمن ويوجد به أسواق وهى محطة من محطات طريق ركب الحاج اليمنى .
انظر ياقوت : معجم البلدان جـ٣ ١٢٠ .
ابن الربيع : قرة العيون جـ٢ ١٨ .
الخزرجى : العقود اللؤلؤيه جـ١ ٧٨ .

جفريل نائب الايوبين فى مكه وأجلى عسكر الايوبيين عن مكه (١) .

وعلى أثر هذا الخبر الذى وصل الملك المنصور وهو فى السرين دخل مكه معتمرا مع باقى فرقة جيشه المرابطة معه فى شهر رجب . أما الامير جفريل فقد فر حتى وصل المدينة المنوره واختبأ لدى أمير المدينة اذ بلغه أن السلطان الملك الكامل الايوبى قد توفى وخلفه على سلطنه مصر والشام ابنه السلطان الصالح نجم الدين أيوب الذى أمره بالبقاء عند أمير المدينة وأرسل له جيشا يتقدمه الف فارس فى سنة ٦٣٧ هجريه وعلى رأسه الامير شيحه أمير المدينة وتمكن هذا الجيش من دخول مكه بدون قتال بعد أن أخليت عن عسكر المنصور صاحب اليمن حينما رأوا قوة الجيش الايوبى وضخامة اذ خافوا من الهزيمة وخرجوا من مكه وعلى أثر ذلك خطب على منابر مكه للسلطان الملك الصالح نجم الدين ابن الملك الكامل الأيوبى (٢) .

---

(١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ١ ٥٩ .
ابن الربيع : قرة العيون جـ٢ ١٣ .
القوصى : تجارة مصر ١٦٩ .
بهجت : الصلات السياسيه ١٨٣ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ١ ١٨٩ .
ابن واصل : مفرج الكروب جـ٣ ١٠٢ .
المقريزى : الخطط جـ٢ ٨٦ .
أبو شامه : الروضتين جـ٢ ٩٥ .
السليمان : العلاقات الحجازيه ٣٥ .

وقد بلغت هذه الاخبار مسامع الملك المنصور نور الدين فغضب وقرر أن يسترد امارة مكه بقيادة الامير راجح أيضا وأن يقود الجيش بنفسه هو وحينما رأى الامير شيحه هذا الجيش والامير جغريل فروا من مكه وعادوا الى السلطان الصالح فجهزهم الملك بقوة كبيرة كثيرة العدد والعده بقيادة الامير شيحه ومعه قائدين آخرين هما علم الدين الكبيره وعلم الدين الصغير وتم ذلك سنة ٦٣٨ هجريه (١) .

ومن المفيد ذكره أن هذا الأمر لم يرض السلطان نور الدين ففي العام التالي جهز جيشا جرارا الى مكه ولما بلغت مسامع وصوله الى رجال الايوبيين في مكه أرسلوا الى سلطانهم بمصر يطلبون منه النجده فأرسل اليهم مائة وخمسين فارسا بقيادة مبارز الدين برطاس وعسكر رجال الملك المنصور في السرين وبعثوا الى الملك المنصور يخبرونه بتجهيزات الايوبيين ويطلبون منه النجده والعون فقاد الجيش الملك المنصور بنفسه حتى تمكن

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢٥٥ .
الغساني : العسجد المسبوك ٣٠٥ .
المقريزي : السلوك جـ١ ٣٠٢ .
الفاسي : العقد الثمين جـ٦ ٣٤٦ .
الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ١ ٨٠ .

من دخول مكه بقواته الضخمه ولاذ الجيش الايوبى بالفرار من مكه وعلى أثر هزيمتهم فى شهر رمضان سنة ٦٣٩ هجريه دخل الملك المنصور صاحب اليمن مكه وصام بها رمضان والغى المظالم التى انتشرت بسبب التنافس والحروب التى حدثت فى هذه السنوات بين القوتين الايوبيه والرسوليه (١).

وبهذا استطاع الملك المنصور صاحب اليمن أن يثبت حكمه فى مكه ويعلن اسمه على منابر المسجد الحرام كما أنه أصلح دار امارة مكة لأن الايوبيين قد خربوه وبنى على بئر زمزم قبه مقابلة للحجر الأسود وولى على مكه ابن المسيب (٢) .

وقد فضل الامير مبارز الدين على بن الحسين بن برطاس قائد القوات

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢٥٥.
المقريزى : السلوك جـ١ ٣١٠.
" : الذهب المسبوك ٨٠.
الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ٢١٧.
الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ١ ٨٣.

(٢) الفاسى : العقد الثمين جـ٨ ١٧٦.
" : شفاء الغرام جـ٢ ٢٢٠.
الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ١ ٨٥.
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ١١٣.

الايوبين أن يبايع الملك المنصور نور الدين لتغلبه على جيشهم فأنعم عليه الملك المنصور وعلى باقى الجيش الايوبى حتى أن باقى القوات الايوبية المرابطة فى ينبع باتعب الملك المنصور وأيضا قدم والى مدينة ينبع أبو سعد على بن قتاده ولاءه للسلطان المنصور وبهذا انتهى التنافس الايوبى فى الحجاز وأصبحت مكه وينبع تابعة لنبى رسول (١) .

وفى السنة التاليه أمر الملك المنصور بعزل ابن المسيب عن ولاية مكة وعين مملوكه الامير لخو الدين بن شلاج نائبا عنه فى مكه . أما القرى المجاورة لمكه وينبع فأسند امارتها للشريف أبى سعد على بن قتاده صاحب ينبع وعاد فى آخر هذه السنة الى اليمن (٢) .

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢٥٦ .
الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ١ ٨٥ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ٢٢١ .
ابن الربيع : قرة العيون جـ٢ ١٨ .
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ١٣٢ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢٥٧ .
الخزرجى : العقود اللؤلؤيه جـ١ ٨٦ .
ابن الربيع : قرة العيون جـ٢ ٢٠ .

وفى سنة ٦٤٦ هجريه عزل الملك المنصور الامير فخر الدين الشلاج أمير مكه وأعاد ابن المسيب أميرا عليها الذى عاهد الملك على أن يلتزم بتطبيق جميع التعليمات التى يأمربها السلطان المنصور غير أنه لم يلتزم بهذه المعاهده واستبد بالأمر واستولى على الصدقات التى كانت تصل لفقراء مكه وشيد حصنا منيعا لحماية نفسه واستطاع أن يوجد قبائل هذيل تحت لوائه كما أنه هدم الاسطوانه التى بناها الملك المنصور وكتب فيها أمره بالغاء المكوس والجبايات عن الحجاج وأعاد فرض المكوس (١) .

وقد حرك سلوك الامير ابن المسيب السخط والغضب لدى سكان مكه والحجاج فطلب سكان مكه من الامير ابى سعد على بن قتاده فأتى الى مكه واستطاع القضاء على ابن المسيب والقى القبض عليه واجتمع بأعيان مكه فقال لهم " انى قد تحققت انه يريد الهرب بمال السلطان الى العراق فالمال عند محفوظ والخيل والرجال محاصرون برجالى حتى يصل مرسوم السلطان " (٢)

---

(١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ١ ٨٧ .
يحيى بن الحسين : غاية الامانى جـ١ ٤٣١ .
المقريزى : السلوك جـ١ ٣٣٢ .

(٢) يحيى بن الحسين : غاية الامانى جـ١ ٤٣٣ .
ابن الربيع : قرة العيون جـ٢ ٢٦ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ٢ ٢١٩ .

غيرأنه بعد أيام يسيرة من هذه الاحداث وصلت الاخبار بوفاة الملك المنصور نورالدين عمربن رسول مؤسس الدولة الرسوليه فى اليمن فى قصرالجند بمدينة المنصوره ليلة التاسع من ذى الحجه سنة ٦٤٧ هجريه ونقل جثمانه ودفن بتعز (١) .

كان الملك المنصور يتمتع بصفات جمه منها الكرم والشجاعه وحزم المواقف وحسن التصرف فى أوقات الشده . وكان عظيم السياسة وقد قدر له أن يحكم مكه باسمه سبع سنوات دون منافسة واثنى عليه لكثرة صدقاته فى الحرمين الشريفين وازدهرت الاحوال الاقتصاديه فى عصره ، وشيدت القصور، وبنيت المحطات المختلفة فى أمكنة المشار ليتظلل الحجاج تحت ظلها فترة الموسم (٢) .

وتولى الملك ابنه الملك المظفر شمس الدين يوسف بن رسول فى سنة ٦٤٧ هجريه وفى عهده سقطت الدولة الايوبيه فى مصر وقامت دولة المماليك

---

(١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ١ ٨٧ .
يحيى بن الحسين : غاية الامانى جـ١ ٤٣٤ .
ابن الربيع : قرة العيون جـ٢ ٢٧ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ١ ٤٦٨ .
عليان : الحياه السياسية ١٠٧ .
السليمان : العلاقات الحجازية ٤٣ .

وقد عاصر أباه في السنوات الاخيره من حكمه، ووطد سلطانه على مكه في أول حكمه بسبب انشغال سلاطين المماليك الاوائل المعز ايبك وقطز في تثبيت دعائم دولتهم ضد الاخطار الداخليه والخارجية (١) .

ثم تلا ذلك سقوط الخلافة العباسية على المغول سنة ٦٥٦ هجرية وهي صاحبة السيادة الشرعيه على الحجاز . وخلا الجو للملك المظفر للعمل على تدعيم سيادة بني رسول على بلاد الحجاز وربما راوده أمل تولي خلافة المسلمين بعد سقوط الخلافة العباسية مستندا على ما تحقق لابيه وله من سيادة على بلاد الحجاز (٢) .

* * * *

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ج٢ ٢٢٧ .
السباعي : تاريخ مكه ج١ ٢٢٨ .
السليمان : العلاقات الحجازيه ٤٧ .
ياقاسي : بلاد الحجاز ٦٨ .

(٢) المقريزي : السلوك ج١ ٤٢٠ .
الفاسي : شفاء الغرام ج٢ ٢٣٠ .
السباعي : تاريخ مكه ج١ ٢٢٧ .
السليمان : العلاقات الحجازيه ٥٦ .
بهجت : الصلات السياسية ١٩٢ .

الفصل الثاني

إمارة الحج وخدماته

الحج

قال الله تعالى :

(واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)

فالحج هو الركن الخاص والاخير من أركان الاسلام واستلزم الأمر تنظيم أمر جماعة المسلمين المسافرين للحج بتولية أحدهم أميرا عليهم كما فعل النبى (صلى الله عليه وسلم - اذ أسند الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه أمره الحج عام ٩ هـ وتولاها هو بشخصه الكريم فى حجة الوداع عام ١٠ هـ التى ابان فيها مناسك الحج والشريعة الاسلامية والتى لايزال يتبعها المسلمون الى ماشاء الله . وسار على نهجه الخلفاء الراشدون وبعض الخلفاء الامويين والعباسيين . واذا لم يذهب الخليفة للحج فانه ينيب أو يولى رجلا من أهل بيته أو رجال دولته .(١)

ولقد كان رجال البلاط فى الخلافتين العباسية والفاطمية يتسابقون لتولى امرة الحج التى أصبحت من أهم الوظائف وأعظم الواجبات الدينية .(٢)

ومن الثابت أن هناك شروط لابد من توفرها فى أمير الحج ، كونه عالما بأمور الشريعة لارشاد الحجاج فى مشاعر الحج والعمرة . الى جانب مايتميز به من العدل والامانة والرأى والشجاعة والقدرة على تطبيق الأحكام وتوفير الخدمات للحجاج والذين فى الطريق .(٣)

---

١) المالكى : الشافى الصغير ،ص١ ، الجزيرى : درر الفوائد ،ص٨٣ .
الماوردى : الأحكام السلطانية ،ص٣٠ .
٢) الجزيرى : درر الفوائد ،ص ٨٥ . الماوردى : الاحكام ، ص٣٣ .
٣) المقريزى : الذهب المسبول ، ص٤ ، ابن جبير : الرحلة ، ص٥٤ .
البتانونى : الرحلة الحجازية ،ص٢٩ .

وظائف امارة ركبان الحج :

يوجد مع أمير كل ركب من ركبان الحجاج أشخاص يقومون بمساعدته فى تقديم الخدمات للحجاج طوال الطريق ، ولكل شخص عمل منوط به يتولى الاشراف عليه ويكون مسئولا فى حالة تقصيره ويحاقب من قبل أمير الحج (وهذا سمى فيما بعد بديوان الحج فى عهد المماليك)(١) .

وتنحصر هذه الوظائف فى مناصب مختلفة سوف نبينها فيما يلى :

أمير الركب :

يعين هذا الأمير من قبل الخليفة أو الوالى على أن يتصف بالورع والصلاح وأن يكون عالما بأمور الدين والدنيا .(٢)

ولم تكن مسئولية أمير الركب بسيطة وسهلة فالحجاز يبعد عن امهار الدول الاسلامية مسافات بعيدة ، وبعض الركبان تمر بأماكن جدباء لازرع فيها ولا ماء . لذا فقد كان عليه أن يعرف الطرق والاماكن معرفة تامة ، وأن يحوط بالعناية والرعاية عموم الركب فى سيره خشية عيث المفسدين من العربان الذين يقطنون الصحراء حتى لايتعرض الحجاج لمكروه .(٣)

كما كان يتحتم على أمير الركب أن يكون يقظا معتمدا على أهل الدراية بالطرق ليكون على بصيرة بها وأن يقوم بترتيب الركب فى المسير والنزول واعطاء كل طائفة

---

١) الجزيرى : درر الفوائد ،ص ٨٦ . الفاسى: شفاء الغرام ،جـ ٢ ،ص ٢٤٨ .
٢) ابن الفران : تاريخ ابن الفرات ،جـ ٨ ، ص ٢٢٤ . المقريزى : السلوك ، جـ ١ ص ١١٨ ، النهروالى : الاعلام ،ص ١٠٣ .
٣) ابن جبير : الرحلة ،ص ٥٧ . الفاسى: شفاء الغرام ،جـ ٢ ع ص ٢٥٠ . الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٨٩ .

من الحجاج مكانا معروفا لهم في اقامتهم حتى لايتنازعوا فيما بينهم ويقوم بالتعقيب عليهم خصوصا أن ركب الحجاج لم يكن له التنظيم مما يؤدى الى بطء السير وعدم وجود الراحة والامن فى الوقت نفسه .(١)

وعلى أمير الركب أيضا أن يسلك بالحجاج مناطق المياه واماكن وجود المراعى حيث تستوطن القبائل العربية فى هذه الاماكن .

ولابد عليه أن يكون عالما ببطون هذه القبائل لاستخدامها فى توفير هذه المياه والبحث عن وجود الماء للحجاج . وعليه أيضا أن يتولى حراسة الحجاج فى هذه الاماكن ووضع الحراس المرافقين له لصد هؤلاء الاعراب الذين يفسدون ويقطعون الطريق ، وتحتالهم فى حالة اعتدائهم على الحجاج (٢)، أو استرضاهم بما يعطونه من مال وطعام .(٣) وكان عليه أن يكون على اتصال دائم بالحجاج أنفسهم لاستماع شكواهم ومعاقبة الجانى منهم واقامة الحد الشرعى بواسطة القاضى .(٤)

هذا ولم تذكر المصادر شيئا عن جملة الاموال أو الانفاقات من قبل أمير الركب أو مايخصص له من نفقات خاصة أو عامة على الركب ، سوى ماذكر أن الوالى يقوم بتقديم هذه الاموال لامير الركب ثم يقوم هذا الامير بانفاقها حسب الحاجة .(٥)

---

١) الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امارة الحاج ،ورقة ٢٢ .
الجزيرى : درر الفوائد ص ٩٠ .
٢) ابن فهد : اتحاف الورى ،ورقة ٢٢٠ . الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٩١ .
الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ، ص ٢٥١ .
٣) الرشيدى : حسن الصفا ،ورقة ٣٢ . الجزيرى : درر الفوائد ، ص ١١١ .
الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ، ص ٢٥١ .
٤) الجزيرى : درر الفوائد ،ص ١١٢ . الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ، ص ٢٥١ .
٥) ابن الاثير ، الكامل ،ج ٨ ، ص ٧١٠ . الجزيرى : درر الفوائد ،ص ١١٢ .
الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٥٢ .

وهناك موظفون تابعون لامُير الركب من أهمهم :(١)

١) قاضى المحمل :

ظهر هذا المنصب لاول مرة فى صحبة الركب المصرى فى أواخر القرن السادس الهجرى .(٢)

ومن قبل كان أمير الركب يتولى تلك المهام ثم صار لبعض الركبان قاضيا عرف بقاض الركب الذى أفرد له مخصصات وأعطيات وأرزاق ودابة يركبها على أن يكون القاضى صاحبا ومراقبا لامُير الركب موجها له ناصحا مرشدا.(٣) ويتسلم عمله مع بداية ترك الركب فى الذهاب والعودة ويتقصر عمله على فض الخصومات واستماع الشكاوى واقامة الحدود على الجناة .

٢) مفتش الخيول والجمال :

وكان يتركز عمله فى مباشرة الخيول والجمال ويكون مسئولا

---

١) الجزيرى : درر الفوائد ص١١٢ـ١٢٣ .
على السليمان : العلاقات الحجازية ص ٨٦ ، ٨٧ .

٢) القاضى عبد الله بن علوان الاسدى تولى أمر قاضى المحمل سنة ٥٧٢ هـ ولم تذكر المصادر اسما لقاضى قبل الشيخ عبد الله تولى أمر قضاء ركب الحاج .
انظر الرشيدى حسن الصفا ورقة ٤٨ ، المقريزى ، الذهب المسبول ، ص٣٣.

٣) الجزيرى : درر الفوائد ص ١٢٥ .

حج عام	اسم القاضى	المصدر
٥٨٠ بغداد	يحيى الغيانى	الجزيرى ص ٢٦٥ .
٥٩٢ المصرى	الشريف اسماعيل بن تغلب المصرى	المصدر السابق ص ٢٦٧ .
٦٠٨ الشامى	القاضى الشجاع / على ابن سلار	المصدر السابق ص ٢٦٩

عن اطعام الخيول والجمال والاشـراف عليها فى طريقها على الا تحمل أكثر من طاقتها ويتولى هذا المنصب رجلان :

أحدهما : يقوم بالمتابعة والتفتيش والآخر : يتولى أمر العلف . (١)

ويسمى متولى العلف وكانت أعطياتهما دائما تؤخذ من الحجاج ،ويتحدد قدر هذه الاعطيات حسب قوة الأمير فان كان قويا فهو الذى يحدد الأجر وان كان ضعيفا فهما اللذان يطلبان مايريدان من أجر والا فانهما يسيئان تغذيـــة الحيوانات ، ولايتسابعان احمالهاء مما يؤدى الى موت عدد كبير منها. (٢)

٣) الطباخون والســقاة :

وهم الذين يتولون أمر الطبخ للحجاج وسقايتهم وأخذ الجلود الخاصة بالذبـائح ودبغها لعملها قربا للسقيا . (٣)

والطباخون يشرفون على الطبخ وعليهم أن يختاروا أنواع المأكولات التى تناســب الحجاج لتوفير الغذاء لهم على طول مراحل الطرق . (٤)

---

١) الجزيرى : درر الفوائد ص ١٢٧ .
٢) المصدر السابق ص ١٣٢ .
ـ ابن جيد : الوحلة ص ٨٠ . ـ الفاس : العقد الثمين ج ٢ ص ٥٨ .
ـ القلقشــندى : صبح الاعشـى ج ٥ ص ٤٥٩ .
٣) الجزيرى : درر الفوائد ص ١٣٤ـ١٣٦ . ـ القلقشندى : صبح الاعشى ج ٥ ص ٤٦٠.
٤) المصدر السابق ص ١٣٦ .
على السليمان : العلاقات الحجازية ص ٨٩ .

أما السقاة : فيشرفون على رفع الماء من الآبار وتخزينه فى القرب ولهم جمال خاصة تستخدم لنقل المياه طيلة السفر .(١) كما كانوا يـ احواضا تحمل بواسطة الجمال لسقيا الدواب .(٢)

ومما تجدر الاشارة اليه أن السقاة فى بعض السنوات كانوا يستغلون ضعف أمراء الحج فيبيعون الماء للحجاج ذلك لأن طرق الحج تفتقر الى أمكنة وجود الماء من جهة وأن الاعراب الذين يقطنون الطرق ربما يعبثون فى هذه الآبار بقذف الحنظل فى مائها حتى يؤدى الى مرارة الماء فلايستطيع الحجاج الشرب منها من جهة أخرى ، ماجعل السقاة يستغلون هذه المواقف فى رفع قيمة سعر الماء المحمول معهم .(٣)

٤) مقدم الضوئية :

عرف هذا الاسم كوظيفة ولقب فخرى على الآثار العربية ومعناه كبير القوم ، أو الطائفة أو الجماعة وهو بمثابة المرشد واقتصر عمله فى امارة الحج على عدة جمال محمول عليها الخشب والزيت والمشاعل بأنواعها ، فالخشب خاص بالطباخين للاستفادة منه كوقود للطبخ ، وأما الزيت والمشاعل فللاضاءة ليلا ليهتدى

---

١) الفاسى : شفاء الغرام ص ٢٢٣ .
٢) الجزيرى : درر الفوائد ص ١٣٧ .
٣) الفاسى : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٩ .
الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٤٧ ـ ٢٥٧ .

الركب به فى الطريق وليتعرفوا على كل مايلزمهم فى أماكن اقامتهم . (١)

ولم تقتصر وظيفته على الاضاءة فحسب ، بل ربما حمل معه السلاح لصد غارات الاعراب فى حالة خروجهم على الركبان . (٢)

لذا يتضح لنا من اللقب أنه يتولى الاضاءة للركب علاوة على حماية الركب من غارات الاعراب ويحمل معه الاعشاب والعقاقير التى يحتاجها المرضى ، وكان مسئولا أيضا عن توزيعها على الحجاج عند احتياجهم لها . (٣)

٥) الميقاتى والمؤذن :

تولى الاول التوقيت لاداء الصلوات الخمس ، ويحدد أيضا جهة القبلة .

وتولى الثانى الاذان والاقامة .

وكانا يحافظان معا على أوقات الصلاة ، واتجاه القبلة ويفطان الحجاج فى المناسك ويلقنانهم الدعاء . (٤)

---

١) ـ المصدر السابق : ص ١٣٩ .
ـ ابن جبير : الرحلة ص ٨٢ .
ـ ابن بطوطة : الرحلة ص ٤٨ .
ـ البتانونى : الرحلة الحجازية ص ٦٨ .
٢) السباعى : تاريخ مكة ص ١٨٠ .
٣) الجزيرى : درر الفوائد ص ١٤٨ .
٤) المالكى : الشافى الصغير ص ٣٨ .
الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٢٦ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ، ص ٢٨٢ .

٦) مبشـــر الحـــاج :

وكانت وظيفته التبشـير بسلامة الحاج من ناحية أمنه وعدد وفياته ، وماحـدث له أثناء الطريق فى مكة وأمكنة المشاعر ،وربما يكون عالما بأحوال الحجـــــــــاج كبيرها وصغيرها ، ويتقدم أمير الحج فى اسراعه للوصول الى الكوفة أو دمشـــــق أو القاهرة أوصنعاء ليبشـر عن أحوال الركب وماحدث له فى ذهابه وايابه (١) .

وهذا النظام كان متعارفا عليه طيلة الحقبة الزمنية التى تخص هذا البحـث ، وبعد هذه الفترة زادت هذه الوظائف وأصبح لها ديوان خاص يسمى بديـــوان امارة الحج . (٢)

ومما ساعد على ذلك سلاطين المماليك الذين وضعوا لها واجبات وزادوا الوظائف حتى أصبح عددها مايقرب من ثلاثين وظيفة يتولى أمر الاشـــراف عليها أمير المحمل ، وأصبح هذا التقليد متعارفا عليه ، زمن المماليـــــــــــــك والعثمانيـــــن " . (٣)

---

١) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .
القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨ .
أبوالمحاسن : النجوم ، ج ١٠ ، ص ١٨٠ .
٢) الجزيرى : درر الفوائد ، ص ١٦٩ .
٣) سعد عاشـور : العصر المملوكى ، ص ٤١٦ .
على السليمان : العلاقات الحجازية ص ٩٢ .

كسوتا الكعبة والحجرة الشريفة :

أول من كسا الكعبة فى الجاهلية (تبع) ملك اليمن قبل الهجرة بقرنين من الزمن ٠

وقد كساها الانطاع ،والمعاقر ، والعصب ، والمسوح ، والبرود [(١)] ،وحينما تولت قريش أمر مكة كست الكعبة بعدة كساءات وأنواع متعددة من الثياب حتى كان زمن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى فقال لقريش أنا أكسو الكعبة عاما وأنتم تكسونها عاما آخر فلقبوه بعدل قريش وسموه عدلا ٠ [(٢)]

واستمر الأمر على ذلك حتى تم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة ٠ فأمر بأن تكس الكعبة من المطارف الخز الخضر ، وشقاق الشعر ، وأكسية من أكسية الاعراب وقرار الخز ، والوصائل ، والنمارق

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٨٠ : والانطاع جمع نطع وهو بساط من الأديم أى الجلد ، المعافر : بلد باليمن فيقال برج معافرى ، أى منسوب الى معافر اليمن ٠
العصب : برود يمانيه يعصب غزلها أى يجمع ويشد ثم يصبغ بعضه وينسج من غير المصبوغ فيوءتى موشى ٠
المسوح : مسح تجمع على أمساح وهو كساء من شعر ٠
البرد : ثوب مخطط : انظر : لسان العرب لابن منظور المواد (نطع ، عفر ،عصب ، مسح ، برد) ٠

٢) الازرقى : أخبار مكة ، ج ١ ص ٢٥٣ ٠
جواد على : المفصل ، ج ٤ ، ص ١٠٢ ٠
على حسنى : تاريخ الكعبة ، ص٣٤ ٠

العراقية ، والحبرات اليمانية وأنماط أخرى من المنسوجات .

وحينما تم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة أصبحت كسوة الكعبة من اختصاصات بيت مال المسلمين [١] التى تصنع فى اليمن حتى عهد الخليفة أبى بكر الصديق .

وحينما تم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فتح مصر سنة ٢١ هجرية أمر واليه على مصر بصنع كسوة الكعبة والحجرة الشريفة من القباطى المصرية [٢] . واستمر أمر الكسوة يرسل من مصر فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه حتى عهد معاوية بن أبى سفيان اذ قام بصنع كسوة الكعبة من نوعى القباطى المصرية والديباج وكانت تكسى بالقباطى فى آخر شهر رمضان وتكسى بالديباج يوم عاشوراء واستمر الحال على ذلك طوال حكم الدولة الأموية ثم العباسية حتى عهد الخليفة المأمون اذ أخبره حجاب الكعبة وسدنتها بأن الديباج يبلى ويتمزق لأن حياكته رديئة الصنع الأمر الذى جعله يختار أجودها فكانت القباطى المصرية وأصبح دار الكسوة والحجرة الشريفة مقرها منذ ذلك الوقت مصر [٣] .

---

١) ابن هشام : السيرة ، ج ٤ ، ص ٢٥٠ .
الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ص ١٧٩ .
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ص ١١٧ .
على حسن الخربوطلى : مصر الاسلامية ، ص ٤٣ .

٢) القباطى نسبة الى المنسوجات القطنية التى يشتهر بصناعتها أقباط مصر .
انظر حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

٣) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ١٨٦ الى ١٨٩ .
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١٢٥ .

وكان الكساء توضع فوق بعضها البعض حتى أخبر الخليفة المهدى العباسى عام ١٦٠ هـ أن أكسية الكعبة قد كثرت وأصبح بناؤها ضعيفا يخشى عليه السقوط فأمرهم بتجريد الكعبة وألا يبقى عليها سوى كساء واحد .(١)

وبهذا أصبح تجريد الكعبة كل عام مرتين وبعد وضع الكسوة الجديدة عليها.

وفى عهد الخليفة المتوكل على الله زيد ازاران آخران لكسوة الكعبة حتى لاينتابها البلاء اذا تمسح وتبرك الحجاج بها (٢) ولما انتقلت الخلافة الفاطمية الى مصر ظهر التنافس بين الخلافتين واضحا فكان له أثره على كسوة فتارة تأتى من مصر وتارة أخرى تأتى من بغداد . (٣)

وفى بعض السنوات أحضرت الكسوة من كلتا الخلافتين . (٤)

= الفاكهى : اتحاف الورى ص ٤٨ . النهروالى : الاعلام ص ٧٩
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١١٣ .
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٥٠ ، الى ص ٥٣ .
ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ،جـ ٥ ، ص ١٣٠ .
الطبرى : القرى لقاض أم القرى ص ١١٥ .
المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٠٣ .
محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية ص ٦٠ ، ٦١ .
على حسن الخربوطلى : مصر الاسلامية ، ص ٦٨ .

(١) الازرقى : جـ ١ ، ص ٢٥٤ .
(٢) المرجع السابق : جـ ١ ، ص ٢٥٥ .
الفاكهى : المنتقى ص ٤٥ .
(٣) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ١٢٧ .
النهروالى : الاعلام ، ص ٧٩ .
(٤) الجزيرى : درر الفوائد ،ص ١٧٩ .
ابن الفرات : تاريخ الفرات ،جـ ٥ ، ص ١٣٠ .

وفى سنة ٤٥٥ هـ أسر الخليفة الفاطمى واليه على اليمن على بن محمد الصليحى بأن يكسو الكعبة الشريفة ثيابا بيضاء من الحرير ، وقام بتوزيع الاعطيات على سدنة الكعبة ،وسبب عدم ارسال الكسوة من مصر هذا العام انشغال مقر الخلافة فى مصر بالفتن الداخلية بالبلاد . (١)

وكان للكسوة ركب خاص بها تعداده ثمانية جمال تحمل على ظهرها كسوة الكعبة الشريفة والحجرة النبوية من مقر صنعها حتى مكانها ، ويتقدم هذا الركب أمير الحج الذى يحيط به الحراس لحماية ركب الكسوة ، وتسلم هذه الكسوة لسدنة البيت من بنى شيبة فى مكة المكرمة. (٢)

ومن الثابت أن عدد ركب الكسوة بدأ يزداد عاما بعد عام حتى أصبح عدد جماله فى أواخر هذه الحقبة من هذا البحث مايقرب من عشرين جملا ، وأصبح هذا التقليد متعارفا حتى زمن سلاطين المماليك . (٣)

---

١) محمد أمين صالح : العلاقة بين دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية ص ٦١-٦٢.
٢) الرشيدى : حسن الصفا ورقة ٢٠ .
ابن مهند : اتحاف الورى رقم ١٨٩ .
الفاس : شفاء الغرام ج ١ ص ١٧٠ .
٣) الفاس: شفاء الغرام ج ١ص ١٧٠ .
النهروالى : الاعلام ص٨٢ .
السخاوى : التحفة اللطيفة ج ١ص ٤٠ .
البتانونى : الرحلة الحجازية ص ١٣٠ .

نفقـات الكسـوة :

من المعلوم أن نفقات الكسوة مصدرها الرئيسى ببيت مال المسلمين ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بكسائها من بيت مال المسلمين وسار على نهجه الخليفة أبوبكر الصديق رضى الله عنه وباقى الخلفاء من بعده (١)، وتميزت مصر بصنع كسوة الكعبة لشهرة المنسوجات المصرية . وأوضحت الآثار والمصادر أماكن صنع الكسوة فى دور الطراز بسطاونونه فى جزر بحيرة المنزلة ، يشير ذلك النص التالى :

" بسم الله بركة من الله لعبد الله هارون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه . مما أمر به الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين بصنعته فى طراز شطا (٢) كسوة الكعبة سنة ١٩١ هـ " . (٣)

---

١) الازرقى : أخبار مكة ج ١ ص ٧٩ .
الفاكهى : المنتقى ص ٨٥ .
ابن جبير : الجامع اللطيف ص ٥٤ .
محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية ص ٦٠ .

٢) شطا مدينة تقع عند تنيس ودمياط ، وتنسب اليها الثياب الشطوية ، وأما تونه فهى قرية من أعمال تنيس ، انظر ياقوت ج ٢ ، ص ٥٢ ، حتى ص ٥٩ .
المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٩٣ .
محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية ص ٦١ .
على حسن الخربوطلى : تاريخ الكعبة ، ص ٣٨ .

٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٧٥ .
النهروالى : الاعلام ص ١٣٧ .
زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر ج ١ ص ٨٦ .
محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية ص ٦١ .

ويذكر لنا المقريزى أن مكان صناعة الكسوة انتقل الى ثغر تنيس بمصر مع بداية القرن الرابع الهجرى لشهرتها العظيمة فى صناعة المنسوجات . اذ أنشأ الخليفة المعز لدين الله الفاطمى دار الكسوة بها حتى أواخر الحقبة الزمنية لهذا البحث . (١)

ثم أنشأ بتورسول ببلاد اليمن فى مدينة صنعاء دار لصناعة الكسوة استمرت فترة وجيزة من الزمن حتى استطاع السلطان الظاهر بيبرس من اعادة ارسال كسوتى الكعبة والحجرة الشريفة من مصر . (٢)

ويذكر لنا الصباغ(٣) أن أول من أوقف أوقافا على كسوة الكعبة يصرف ريعها على دار صناعة الكسوة هو السلطان الناصر محمد قلاوون .

أما ماذكره السخاوى(٤) فى كتابه التحفة اللطيفة بأن أول من أوقف أوقافا على كسوة الكعبة هو صلاح الدين فهو غير ثابت وهنا التباس فى الاسمين من الصالح ، وصلاح الدين ، وخلاصة القول : أن أول من أوقف على كسوة الكعبة أوقافا هو الناصر محمد قلاون ، أما صلاح الدين فانه أوقف أوقافا على خدم الحرمين الشريفين .

---

١) المقريزى : الخطط جـ ١ ، ص ١٨٥ .
النهروالى : الاعلام ص ١٣٩ . الصباغ : تحصيل المرام ورقة ٣٦ .
أحمد عبد الغفور عطار : الكعبة والكسوة ص ١٣٨ .
٢) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ١٠٧ .
ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٦٢ .
المقريزى : السلوك ، جـ ١ ص ٤٦٨ . ابن خلدون ، العبر ، جـ ٥ ص ٤٨٩ .
السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٩ .
٣) تحصيل المرام : ورقة ٢١٠ .
٤) السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ ١ ، ص ٩٨ .

وجملة هذه الاوقاف تتركز بصعيد مصر ومحافظة القليوبية غير أن صلاح الدين أوقف قرية نفاده [١] فى صعيد مصر وثلث قرية بيسوس [٢] بالقليوبية وأن ريع هاتين القريتين يصرف على خدم الحرمين الشريفين . [٣]

ومن الواضح أن الملك الناصر محمد قلاون أوقف مدينتى بيسوس وسند بيس على أن يصرف ريعها على دار كسوة الكعبة . ويحدد لنا الفاس [٤] فى كتابه أن قرية سند بيس تقع بظاهر القاهرة طرف القليوبية ويؤكد لنا أيضا أن ريع هذه القرية يصرف على دار كسوة الكعبة .

ويضيف لنا [٥] صاحب كتاب مرآة الحرمين قرية ثالثة وهى أبو الغيط ويذكر بأن ريع هذه القرية يصرف على دار الكسوة ويؤكد هذا القول النهروالى [٦] فى كتابه الاعلام ، والفاس [٧] فى كتابه تحفة الكرام فيقولان انهما من ضواحى القاهرة ويحدد لنا القلقشندى [٨] والبتانونى [٩] فيقول ان بيسوس وسند بيس وأبو الغيط من قرى القليوبية أوقفت ليكون ريعها مصروفا على دار الكسوة للكعبة

---

١) نفادة تقع بصعيد مصر ، انظر ياقوت ج ٥ ، ص ٢٩٥ .
٢) تقع هذه القرية فى محافظة القليوبية ، انظر ياقوت ، ج ١ ، ص ٥٢٧ .
٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٣٣ .
الطبرى : الارج المسكى ، ورقة ٢٤٦ .
ابن الجوزى : مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٤٨ .
ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .
أبو شامه : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٣٨ .
٤) الفاس : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٣٠٦ .
الفاس : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٦٩ .
٥) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ١٨٤
٦) النهروالى : الاعلام ، ص ٢٤١ .
٧) الفاس : تحفة الكرام ، ورقة ٢٧ .
٨) القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٥٧ .
٩) البتانونى : الرحلة الحجازية ص ١٢٦ .

والحجرة الشريفة وأن واقفها هو الملك الصالح دين الناصر المملوكى . (١)

أنـواع الكسـوة

للكعبة كسوتان : خارجية وداخلية ، فالخارجية تجدد كل عام مرتين ولونها أسود وتصنع من الحرير الاسود وبطانتها من الكتان ومكتوب عليها اسـم الملك أو السلطان ،وكانت تحلى بالقصب المطلى بالذهب ، وتكتب عليهـا آيات قرآنية ، فالجزء الأمامى وهو الذى يسمى بالبرقع مكتوب عليه الآيـة القرآنية الكريمة : " ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا " (٢) وعلى الجزء الجنوبـى مكتوب بعد البسملة : " جعل الله الكعبة البيت الحرام مثابة للناس وأمنـا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيـتى للطائفين والعاكفين والركع السجود " . (٢)

وفى الركن الشرقى : " وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق " (٣) وبين الركن الغربى والشامى مكتوب بعد البسملة " واذ يرفع ابراهيم القواعد الى قوله التواب الرحيم " (٤) .

---

١) الفاسى العقد الثمين ،ج ١ ص ٥٩ .
النهروالى : الاعلام ص ١٤٤ .
السخاوى : التحفة اللطيفة ،ج ١ ،ص ٣٠٥ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ،ص ١٨٦ .

٢) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ٣٧ . القلقشندى : صبح الاعشى ج ٤ ،ص ٥٧ .
ابن بطوطه : الرحلة ص ١٠٦ . البتانونى : الرحلة الحجازية ص ١٣٨ .

٣) الصباغ : تحصيل المرام ،ورقة ٣٨ . الرشيدى : حسن الصفا ورقة ٢٧ .
ابراهيم رفعت : مرآةالحرمين ،ج ١ ص ٢٩١ .

٤) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ٣٩ . ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ١٠٣ .

وأما الكسوة الداخلية فانها لاتجدد كل عام وغالبا تجدد بعد أن تبلى ثم تصنع من الحرير الأحمر الموشى بالذهب ومكتوب عليها كلمة " لا اله الا الله محمد رسول الله " وفى حواشيها آيات قرآنية أخرى وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم . (١)

ومما تجدر الاشارة اليه أن الكسوة كان لها طابع دينى وسياسى اذ تعتبر علامة هامة من علامات الفترة السياسية للدولة ، فالخليفة التى تصل كسوته قبل الآخر يعتبر هو الفائز فترة الصراع السياسى الذى تم بين الخلافتين العباسية والفاطمية . (٢)

لذا فان الفاطميين كانوا حريصين على ارسال كسوة الكعبة قبل العباسيين وان اضطرهم الأمر فى بعض السنوات بتكليف الصليحيين حكام اليمن لارسال الكسوة للسيطرة على الموقف السياسى (٣) وبعد سقوط الخلافة الفاطمية وسيطرة الأيوبيين

---

١) الصباغ : تحصيل المرام ورقة ٤٠ .
ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ١٠٤ .
الرشيدى : حسن الصفا ، ورقة ٣٠ .
القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٥٩ .
حسين باسلامه : عمارة المسجد الحرام ، ص ١٢٨ .
٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ١٠٥ .
الطبرى : الأرج المسكى ، ورقة ٣٢ . الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ١٠٧ .
٣) ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٣٠ . الخزرجى : اللؤلؤية ، ج ١ ص ١٣٢ .
الغسانى : العسجد المسبوك ص ٤١٠ . يحيى بن الحسين : غاية الامانى ج ١ ، ص ٤٣٠ . ابن الديبع : قرة العيون ج ١ ص ٢٤٧ .

على اليمن أصبح أمر الكسوة يغد من مصر باسم الخليفة العباس والسلطان الايوبى (١)

وعند ما انتقل بنورسول باليمن بدأ الشـامى مع الايوبين فتأتى كسوتان احداهما

من مصر والثانية من اليمن . ويتوقف الاخذ باحدى الكسوتين حسب أسبقية وصول

وحسب اتجاه

لأى من السلطتين (٢)

وبذلك سيطر المماليك على بلاد الحجاز وظل التنافس فى أمر الكسوة

بين المماليك والرسوليين فى المراحل الاولى من بداية حكم المماليك حتى تم

لهم السيطرة على الحرمين الشريفين . (٣)

طـرق الحج :

استجابة لدعوة أبو الانبياء ابراهيم عليه السلام (وأذن فى الناس بالحج

يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم

ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام

فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا

بالبيت العتيق) . (٤)

---

١) المقريزى : الذهب المسبوك ، ص ٧٦ .
الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٧٣ .
محمد عبد العال : الايوبيون فى اليمن ص ١٠٨ .

٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٩ .
الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ، ورقة ٢٣ .
المقريزى : الذهب المسبوك ص ٧٩ .
عليان : الحياة السياسية ص ٩٧ .

٣) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٥٠ . المقريزى : السلوك جـ ١ ص ١٨٠ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ص ٢٩٧ . السليمان : العلاقات الحجازية ص ١٠٧ .
عليان : الحياة السياسية ص ٩٨ .

٤) القرآن الكريم : سورة الحج ، آية رقم ٢٧ .

وتلبية لهذا النداء يخرج عشرات الالوف من جميع أمصار العالم الاسلامى فى أشهر معلومة من السنة الهجرية ملبين ومتجهين الى مهوى فؤاد كل مسلم الى مكة المكرمة ليؤدوا الركن الخامس من أركان الاسلام مهللين مكبرين لله الواحد القهار. (١)

ومن المعلوم أن هذه الطرق الرئيسية هى أربع :

طريق ركب الحاج العراقى ، المصرى ، الشامى ، اليمنى . (٢) وتتجمع هذه الركبان من المدن المختلفة لكل اقليم يجمعهم أمير واحد حتى يدخلوا مكة . ثم يتولى امارتهم فى مكة لقضاء مناسكهم أمير مكة من الاشراف الحسينيين . (٣)

١) طريق ركب الحاج العراقى :

هذا الطريق يخرج منه الحاج العراقى من بغداد الى صرصر فى مرحلة واحدة . ثم الى فراشه فى مرحلتين ، ثم الى الكوفة فى ثلاث مراحل ، اذ تتجمع فيها ركبان الحجاج من خراسان والديلم ، وبخارى ، وسمرقند فرادى وجماعات يتحدون تحت أمير الحج المعين من بغداد (٤) ، فمنهم من ينزل مشهد

---

١) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١٨٤ .
الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٤٤٨ .
٢) الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٤٦٥ .
٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٥٣ .
الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٤٦٣ .
البتانونى : الرحلة الحجازية ، ص ٧٩ .
٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٣٦ .
الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٤٦٥ .

الامام على رضى الله عنه ثم يرتحل من الكوفة الى القادسية فى مرحلة كاملة ويقيم فيها يوما كاملا ،ثم الى العذيب ،ومساحتها مرحلة كاملة . وهى أول المنازل البرية ،فيردون ماءها بعد أن يتزودوا منه ويرحلون الى الرحبة التى تبعد بمرحلتين ،ثم يردون ماءها ويرتحلون الى سلمى فى أربع مراحل . ثم واقعه التى تبعد بأربع مراحل ، وبها آبار وبرك ، فيتزودون منها بالماء ويرتحلون الى خاديت ،وهى تبعد بأربع مراحل .

ثم يرحلون الى زرود بعد ست مراحل ويتزودون منها بالماء ثم يرحلون الى مرشيت بست مراحل ثم الى فتن وهى تبعد بأربع مراحل وبها أسواق وماء يردها الحجاج ، ويقيمون فيها يوما كاملا ،ثم يرحلون الى تخت سليمان فى أربع مراحل ،ثم الى حاج فى أربع مراحل أيضا ليتزودوا منها بالماء ، ثم الى بويرات فى ثمانى مراحل ليتزودوا منها بالماء ثم يرحلون الى ذات عرق فى ست مراحل ويقيمون فيها مدة يوم كامل ، اذ تعتبر ميقات أهل العراق فمنها يحرم الحجاج معلنين التلبية مرتحلين منها الى وادى نخلة ثم يدخلون مكة المعظمة (١) فى مرحلة واحدة وفى عودتهم يسلكون طريق ركب الحاج الشامى والمصرى ليذهبوا الى المدينة لزيارة المسجد النبوى الشريف . (٢)

---

١) المالكى : الشافى الصغير ،ص ٨٠ .
ياقوت : معجم البلدان ،ج ٣ ص ١٣٩ .
الجزيرى : درر الفوائد ،ص ٤٦٦ .
جواد على : المفصل فى تاريخ العرب ،ج ٤ ص ٣١٦ .
ابن جيد : الرحلة ،ص ٤٩ .
٢) ابن جيد : الرحلة ،ص ٥١ .

خدمــات الطريــق :

من الواضح أن طريق ركب الحجاج العراقى كان الطريق الذى يهتم بـه خلفاء البيت العباسى منذ تأسيس دولتهم . اذ أن الخلفاء الاوائل وفى مقدمتهم أبو جعفر المنصور الذى قام بانشاء محطات البريد ، ورصف الطريق ، وبناء بعض القصور فى هذا الطريق ثم سار على نهجه الخلفاء الاوائل من دولته . (١)

واهتمت بهذا الطريق السيدة زبيده زوج هارون الرشيد ، فقد قامت بزيارة عدد الآبار . كما قامت ببناء البرك التى نشرتها طوال هذا الطريق . حتى أصبح متعارفا فيما بعد باسم درب زبيده بدلا من طريق ركب الحاج العراقى . (٢)

وهناك وصف لاحدى هذه البرك التى بنتها السيده زبيده وتقع هذه البركة جنوب جبل الماوان .

وهى تقع بين الماويه والريده ذكرها ابن خرداذبه (٣) وابن رسته . (٤)

---

١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ص ٣٥٢ .
ابن الاثير : الكامل ، ج ٥ ص ٤٥٨ .
المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢١٠ .
٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ص ٥٦ .
المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٤٩ .
الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٢٢٣ .
القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٢ ص ٢٧٣ .
دحلان : خلاصة الكلام ، ص ٤٨ .
٣) ابن خرداذبه : المسالك ، ص ١٢٧ .
٤) ابن رسته : الاعلام النفيسة ، ص ١٧٥ .

فابن رسته يقول بأن هذه البركة تقع بين الماوان والربذه ، أما ابن خرداذبه فقد ذكر أن اسمها أورعه ، اذ أصبح هذا الاسم يعرف فيما بعد باسم " أديمـــه "

وذكر ياقوت : [١] فقال ان أديمه جبل بين قلهى بالحجاز وتقع هـــذه البركة فى ثلثى طريق الكوفة مكة ٠

وتبلغ مساحتها ٣٠×٤٠ مترا وقد بنيت من الحجارة المنقوشة وفـــى داخل البركة اكتاف نصف دائرية فى كل ركن من أركانها ٠ ويبلغ سمكا جـــدار البركة $1\frac{1}{2}$ متر ،ولها مصب لمجرى السيل من جهتها الجنوبية الغربيـــة ، وعمقها غير معروف وسبب ذلك كثرة الرمال التى غطت كل البركة ٠

وهذا ماحدث لكل البرك التى بنتها السيدة زبيده على طول هذا الطريق ٠ [٢]

وخلاصة القول أن ماقامت به السيده زبيدة من اهتمامها فى طريـــق ركب الحجاج العراقيين لم يقم به باقى الخلفاء سوى اصلاح لهذا الطريـــق أو ترميم للآبار ،وظلت أعمالها جليلة خالدة لم تقتصر على ركب الحاج العراقى ٠ بل أوصلت المياه الى مكه والى أمكنة المشاعر وعملها باق للوقت الحاضـــر [٣]

---

١) ياقوت ، معجم البلدان ،ج ١ ص ١٢٧ ٠

٢) حمد الجاسر ، مجلة العرب (تحديد موقع الربذه) ج ١ ٠
شهدى رجب وشعبان سنة ١٣٩٥ هـ ص ٦ ٠
Arashid's A.A. Cirtical Stuc'y of the pilgrimi Road bet ween kuba and Mecca " Darb Zupaydah " with that aid ab ficld work P.H.D. thesis University of leeds 1977. pp.170-179.

٣) المسعودى : مرجوج الذهب ،ج ٢ ص ٢١٦ ٠
ابن الاثير : الكامل ،ج ٥ ص ٥١٠ ٠
الفاسى : شفاء الغرام ،ج ١ ص ٨٥ ٠
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ،ص ١٠٤ ٠
السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ص ١٤٥ ٠

وفى سنة ٣٦٦ هـ حجت جميلة بنت الملك ناصر الدولة بن حمدان صاحب الموصل وقامت بأفعال جليلة فى طريق ركب الحاج العراقى . كما أنها أصلحت الطريق وزادت من عدد الآبار فى الأماكن التى لايوجد بها سوى بئر واحد ، وأنفقت أموالا كثيرة على العريان الذين يقطنون الطريق .

وبعد أن قضت الموسم رجعت الى بغداد . (١)

ومن الملاحظ أنه منذ سنة ٣٦٧ حتى سنة ٤١٢ هـ لم يخرج الركب العراقى لأداء فريضة الحج ويعود السبب فى ذلك الى أن الأعراب الذين يقطنون الطريق قد أصبحوا بحاجة الى المال والطعام لقلة الأعطيات ولانشغال بنى بويه بالحروب والفتن الداخلية التى عمت العراق . (٢)

---

١) وبعد قضاء الموسم ووصولها الى بغداد يقال بأن عضد الدولة بن بويه صادر مابقى معها من أموال لانه هزم والدها ناصر الدولة الملقب بابن تغلب بن حمدان والى الموصل لخروجه على طاعة عضد الدولة ابن بويه وحينما عادت صادر مابقى معها من أموال وأراد أسرها الا أنها ألقت بنفسها فى نهر دجلة تخلصا من الأسر .

انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ص ٥١٠ .

ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٠١ .

المقريزى : اتعاظ الحنفا : ج ٢ ص ١٤٥ .

الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ص ٢٢٢ .

السباعى : تاريخ ج ١ ص ١٥٤ .

٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ص ٥١٢ .

الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٢٤٦ .

وفى سنة ٤١٣ هـ أمر الخليفة العباسى القادر بأمر الله باصلاح طريق ركب الحاج العراقى . كما أرسل الاعطيات الى سكان الطرق لتوزيعها عليهم وليتمكن الصناع والعمال من اصلاح الطريق ، وازالة ما أحدثه الاعراب من خراب فيه . (١)

واستمر هذا العمل حتى سنة ٤٣٣ هـ . ومع استمرار ارسال هذه الاعطيات لسكان الطرق . ثم تعطل الطريق بعد ذلك حتى سنة ٤٦٢ هـ حين أمر الخليفة القائم بأمر الله والسلطان الب أرسلان السلجوقى سنة ٤٨٥ هـ باصلاح طريق ركب الحاج العراقى واستمرار ارسال الاعطيات لسكان الطريق . (٢)

وفى سنة ٥٥٤ هـ أمر الخليفة المستنجد بالله العباس بزيادة حفر الآبار فى طريق ركب الحاج العراقى واصلاح بعض الآبار التى طمرت معالمها من قبل الاعراب الذين يقطنون هذا الطريق ، كما أنه أرسل المهندسين والصناع والعمال لاصلاحه وأرسل معهم أعطيات ليقوموا بتوزيعها على الاعراب (٣). ومن المفيد أن نذكر أن هذه الفترة الذى تولى حكمها سلاطين السلاجقة قد بذلوا اهتماما بالغا فى اصلاح طريق

---

١) المصدر السابق ، ص ٢٤٨ .
٢) المصدر السابق ص ٢٥٣ .
٣) المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

كما أغدوا الاعطيات على سكان الطريق واستطاعوا تأمين الطريق .[1]

ولم تذكر لنا المصادر التاريخية ماقدم من اصلاحات لهذا الطريق بعد هذه السنة الا فى أواخر خلافة الخليفة الناصر لدين الله العباسى سنة ٦٠٦ هـ اذ أمر باصلاح الابار التى تعطلت فى هذا الطريق .

ثم لم تتحدث المصادر التاريخية عن اصلاحات طرأت فى هذا الطريق حتى نهاية الحقبة الزمنية لهذا البحث .

ب ـ الاعراب وقطع الطريق :

اعتاد الاعراب منذ بداية القرن الرابع الهجرى قطع طريق ركب الحاج العراقى بسبب الفتن التى ظهرت على الخلافة العباسية مثل : ثورة الزنج ، وظهور حركة القرامطة وتحالفهم مع الاعراب الذين انتهزوا هذه الفرصة واتحدوا مع القرامطة لنهب الحجاج والاعتداء عليهم مابين عام ٣١٠ حتى ٣٣٩ هـ .[2]

وبعد هذه الفترة لم تعيد القرامطة علىالحجاج لاختلافهم مع أعراب بنى هلال الذين يقطنون هذا الطريق وارسال الاعطيات، من قبل الخلفاء العباسيين للاعراب ، الامر الذى توقفت فيه

---

١) المصدر السابق، ص ٤٥٦ .

٢) ابن الاثير ، الكامل ،ج ٨ ،ص ١٤٤ـ٢٥٣ .

اعتداءاتهم حتى سنة ٣٦٠ هـ[1].

وفى السنة التالية خرج بنو هلال على حجاج ركب الحاج العراقى ونهبوا أموالهم وفرقوا جمعهم أشتاتا مما اضطر أمير الركب أن يعود بما تبقى معه من الحجاج الى الكوفة[2] مرة أخرى ولم يحج فى هذه السنة الحجاج العراقيون . ويذكر لنا الجزيرى[3] فى كتابه أن فرقة بسيطة بقيادة أبى أحمد الموسوى والد الشريف الرضى لكونه عالما بمسالك الطرق أخذ هذه الفرقة سالكا بهم طريق المدينة وأكمل مناسكهم وفى سنة ٣٧٨ هـ خرج على حجاج ركب الحاج العراقى مفرج بن دغفل بن الجراح من قبيلة بنى طىء مطالبا اياهم بدفع المكوس ولم يتم الافراج عنهم الا بعد أن دفعوا له أموالا كثيرة[4].

وتذكر لنا المصادر أن الخليفة العباسى حينما علم باعتداء القبائل على ركب الحجاج أرسل أموالا كثيرة وأمر بتوزيعها على الأعراب الذين يقطنون طريق ركب الحاج العراقى حتى لايعتدى على الحجاج مرة أخرى .

واستمرت هذه الأعطيات ترسل الى سكان الطرق حتى سنة ٤٠٠ هـ[5].

---

١) ابن الاثير ، الجامل ، ج ٨ ص ٣٥٧ .
الجزيرى ، درر الفوائد ، ص ٣٤٥ .
٢) الجزيرى ، درر الفوائد ، ص ٣٤٥ .
٣) المصدر السابق ، ص ٣٤٧ .
٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ص ٦٠ .
الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٣٤٨ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٥٦ .
٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ص ٧٥ . الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٣٤٩ .

ومنذ هذه السنة حتى سنة ٦٥٦ هـ ، أصبح الخليفة العباسى يرسل مـــع ركب الحجاج جاليات عسكرية وسقاه ليتمكنوا من صد الاعتداءات التى تكـــررت من القبائل وليتمكن السقاه من توفير الماء للحجاج واستمرت أعطيات الخلفــاء ترسل الى هذه القبائل ليأمنوا شـــرهم وطمأنة لحياتهم .(١)

---

١) ابن الاثير ، الكامل ج ٩ ص ٢١٣ .
الجزيرى ، درر الفوائد ص ٣٥٤ .

طريق ركب الحـــاج الشـــــامى

أ - وصف الطريـــق :

يبدأ هذا الطريق من مكان يسمى الكسوة تتجمع فيه قوافل الحج من جميع المدن الشامية يقودهم أمير الركب بعد أن يتزودوا من مائها . ثم يرحلـــون الى مكان يسمى الصنمين الذى يقع بطرف حوران ثم يرحلون الى مكـــان يسمى درعا التى تشتهر بعذوبة مائها ويقيمون بها ثم يرحلون الى بصـــرى التى تشتهر بكثرة أسواقها فيقيمون بها ثلاثة أيام ثم يرحلون الى الزرقاء. ثـم يتجهون الى زيزاء التى تشتهر أيضا بأسواقها وبوفرة مائها وبارتفاع مكانهـــا والذى يتميز ببركة عظيمة لشـرب الدواب منها .

ومن المعلوم أن هذه المدينة يفدها الحجاج ليقيموا فيها ثلاثة أيـــام ثم يرحلون الى الكرك ثم الى الحسا وهى قرية تقع بين الكرك ومعـــــان وبعدها يرحلون الى معان . (١)

ومن الواضح أن معان هذه تقع فى طرف بادية الشـــام فيتـــزود الحجاج منها المـــاء ثم يرحلون الى العقبـة التى لايستطيعـــون الاقامة فيهـــا لوقوعهـــــا بجوار بحر القلـــزم فيرحلـــون

---

١) ابن الاثير : الكامل ،ج ٢ ، ص٤٠٧ .
ياقوت : معجم البلـدان ،ج ٤ ص ٢٠٦ .
الجزيرى : درر الفوائد ، ص٤٥٤ .

الى ذات حج ليتزودوا منها مايحتاجونه من ماء .

وبعد ذلك يستعدون للرحيل الى تبوك ثم الى العلا ليمكثوا فيها يومين لما يتوفر فيها من كثرة محاصيلها الزراعية . ثم يأخذوا طريقهم بعد ذلك الى هديه ومنها الى عيون حمزه حيث يأخذ الحجاج استعدادهم لدخول المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام (١) فيمكثون فيها عشرة أيام ، ثم يرحلون الى الابواء ثم الى بدر ثم الى رابغ ثم الى ذى الحليفة وهى ميقات أهل الشام ثم الى خليص ثم الى عسفان ثم الى وادى مر ، وأخيرا يدخلون مكة مهللين مكبرين لاداء مناسك العمرة . (٢)

ب - خدمات الطريق :

تفتقر المصادر التاريخية الى معلومات كافية عن الخدمات التى قدمت فى هذا الطريق ماعدا الخدمات التى قدمها خلفاء الدولة العباسية الاوائل من اصلاحات للطريق وحفر للآبار وتشييد للقصور وبناء محطات للبريد (٣)

---

١) الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٤٥٥ .

٢) المصدر السابق : ص ٤٥٦ .

٣) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ص ٣٥٢ .

حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٢ ص ٨٢ .

ولم يكتفوا بذلك بل طالبوا بدفع ضريبة سنتين مقدما .[١] وبعد أن أصبحت بلاد الشام تابعة للخلافة الفاطمية .

حرص خلفاء البيت الفاطمي على حماية هذا الطريق بارسال أعطياتهم لسكانه من الاعراب مع أمير ركب كل عام .[٢]

ولما توقف دفع الاعطيات . خرجت قبائل حرب في سنة ٤١٧ هـ وقطعوا الطريق على ركب الحاج الشامي ، وقاموا بحصر الآبار ومنعهم من شرب الماء، وطالبوهم بدفع المكوس .[٣]

ويقول الجزيري :[٤] ان الحجاج دفعوا كل مايملكونه من مال لهذه القبائل للسماح لهم بالتزود بالماء والمرور الى مكة .

ثم استمر اعتداء القبائل بعد هذه السنة يزداد خطرا وأصبحت المكوس تطلب من الحجاج . ولم تقدم أعطيات الخلفاء لسكان هذا الطريق حتى سنة ٥٧٢ هـ حينما أمر صلاح الدين بدفع الاعطيات التى طالب بها القبائل .

واستمر الامر على هذا النحو حتى سنة ٥٨٣ هـ وبدأ سلاطين الدولة الايوبية بارسال حاميات عسكرية لامن وسلامة الحجاج وأغدقوا أعطياتهم على

---

١) الجزيري : درر الفوائد ، ص ٢٤٩ .
٢) المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .
٣) المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .
٤) المصدر السابق ص ٢٦١ .

سكان هذا الطريق . (١)

ولعل قسوة الحياة فى هذا الطريق ، وعدم وجود فتوحات وحاصلات زراعية فيه جعل هذه القبائل تركز فى المطالبة بالأعطيات التى تساعدها فى استمرار حياتها . (٢)

طريق ركب الحاج المصرى :

أ - وصف الطريق :

تتجمع وفود حجاج شمال أفريقيا والأندلس فى مدينة القاهرة ويخرج الركب من هذه المدينة باسم ركب الحاج المصرى ، والمغربى متجهين نحو قرية البركه ، ومنها الى السويس على ثلاث مراحل : يخترق صحراء سيناء مارا بنخل ووادى سدر ، وعيون موسى . حيث يوجد بها آبار وأسواق قديمة .

ثم يرحلون منها الى ايله ، ومنها الى حقل حيث تقع على بحر القلزم ثم الى مدين ، ومنها الى عيون القصب حيث تكثر بها العيون والمزارع وبعدها الى الازلم ثم الى الوجه ثم الى اكدا ثم الى الحوراء ثم الى ينبع

---

١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٨-٣٠ .
الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٢٦٢ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٦٩ .
٢) الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٢٦٤ .

ب - الخدمـــــــــــات

ومما لاريب فيه أن خدمات هذا الطريق قدمت بصفة مستمرة مـــن ولاة مصر من منتصف القرن الثالث الهجرى .

اذ اهتم أحمد بن طولون والى مصر باصلاح الطريق على فتـــرات متتالية من الزمن . ثم واصل هذا الجهد محمد بن طغج الاخشيدى. (١)

ومما لاشـك فيه أن خلفاء الدولة الفاطمية قد اهتموا باصـــلاح هذا الطريق منذ أن بسطوا سيادتهم على بلاد الحجاز. (٢)

وفى سنة ٣٦٣ هـ أمر الخليفة المعز لدين الله الفاطمى باصـــلاح طريق ركب الحاج المصرى حينما تعطل الطريق بسبب هطول الأمطار التى غيرت معالم هذا الطريق . كما أمر باصلاح الآبار وتجديد بنائها. (٣)

وفى سنة ٤١٠هـ أمر الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى باصلاح الطريق وزيادة حفر الآبـار (٤) وحينما تحول الطريق بحرا . أمر الخليفة الفاطمـى

---

١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٨٥ .
ابن خلكان : وفيات الأعيان ،ج ١ ص ٦٩ .
الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٢٤٦ .

٢) المقريزى : اتعاظ الحـ ، ج ١ ص ٧٥ .
الجزيرى : درر الفوائد ،ص ٢٤٧ .
البتانونى : الرحلة الحجازية ،ص ٣١ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ص ٦٩ .

٣) الجزيرى : درر الفوائد ،ص ٢٤٧ .

٤) المصدر السابق ،ص ٢٥١ .

بحفر الآبـــار مابين مكة وجده . ليستطيع الحجاج الحصول على الماء فى طريقهـم الى مكـــة . (١)

وفى سنة ٥٧٢ هـ أمر السلطان صلاح الدين بتجديد بناء هذه الابـــــار التى تقع بين مكة وحيره . وأمر بالغاء المكوس التى تؤخذ من الحجاج . (٢)

وفى سنة ٦٤٥ هـ أرادت شجرة الدر الذهاب لأداء الحج وفضلت أن تسلك الطريق البرى فأمرت باصلاح هذا الطريق الذى تعطل مايقرب من مائتى عـــام ، وأمرت بحفر الآبار وبناء البرك على طول الطريق ، حيث تعطل الطريق مـــرة ثانية .

وأصبح الطريق البحرى مسلك الحجاج حتى سنة ٦٦٦ هـ الذى أحياه السلطان الظاهر بيبرس . (٣)

---

١) المصدر السابق ص ٢٥٢ .
أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ص ٤٢ .
٢) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، ص ١١٢ .
ابن جبير : الرحلة : ص ٣١ .
الغسانى : العسجد المسبوك ، ص ١٦٢ .
محمد عبد العال أحمد : الايوبيون فى اليمن ، ص ٧٢ .
٣) المقريزى : السلوك ، ج ١ ص ٧٦ .
البتانونى : الرحلة الحجازية : ص ٣٧ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٧٢ .
السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٦٣ .

جـ ـ الاعراب وقطـــع الطريـــــق

لم يشهد هذا الطريق اعتداءات من القبائل الا عندما ضعفت الخلافـــة الفاطمية ، وخـلال سنوات الشـدة العظمى التى شهدتها مصر فى عهــــد المستنصر بالله الفاطمى . (١)

ومنذ سنة ٥١٢ هـ بدأت تنقص أعطيات خلفاء الدولة الفاطمية ممـــا أدى الى أن الاعراب قاموا بفرض المكوس على الحجاج بأخذ أموال باهظـــة أجورا لمراكبهم البحرية .

فيصف لنا ابن جبير هذه الافعال حينما حج سنة ٥٧٩ هـ مع كـــب الحاج المصرى عن طريق ميناء عيذاب فقال :

ان الحجاج يلاقون أخطارا وأهوالا بسبب قطع الطريق من قبل الاعراب من جده الى مكة . وفى الطريق من قوص الى عيذاب(٢) كما أنه يصف الطـريق البحرى فيقول : لقد عانى الحجاج من أهلها الامرين .

ولاهل عيذاب أحكام الطواغيت ، وذلك لانهم يشحنون بهم الجـــلاب حتى يجلس الحجاج بعضهم على بعض . ويستوفى صاحب الجلبة ثمنها فى طريق واحد . (٣)

---

١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ،ص ١١٨ .
الجزيرى : درر الفوائد ،ص ٢٥٩ .
٢) ابن جبير : الرحلة ،ص ٤١ .
المقريزى ،الخطط ،ج ١ ،ص ٢٠٣ .
٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٣٧ .

والركوب من جده اليها آفة الحجاج لان الرياح هى التى تتحكم فى سير الجلاب وذلك لانهم غالبا مايمارسون على شواطئ بعيدة عن الموانئ ". (١)

وازداد تعسف الاعراب على أثر سقوط الخلافة الفاطمية حتى سنة ٥٨٢ هـ اذ أمر صلاح الدين أهالى عيذاب الذين تحكموا فى نقل الحجاج بتحديد أسعار ايجار الجلاب ، وقام بتوزيع الاعطيات لهم ، ووزع الاعطيات على الاعراب الذين يسكنون جدة ، وطريق جده مكه ، ورفع المكوس عن الحجاج وأمرهم برفع المظالم ، وحدد لهم الاعداء التى يمكن للجلاب أن يحملها ، كما أنه أوقف الاعراب الذين يسكنون جده ويتحكمون فى سعر نقل الحجاج الى مكة بواسطة دوابهم . (٢) وخلاصة القول أن ضعف سلطة الخلافة أو الامراء أو السلاطين يؤدى الى استغلال الاعراب للحجاج .

---

١) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٤٤-٤٧ .

المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٢٦٥ .

طريق ركب الحاج اليمنـــــى

أ - وصف الطريق :

يتجمع الحجاج فى تعز حيث يبدأ هذا الطريق منها ثم يرحلـــــــون الى وادى الحناء ، ويتزودون منها الماء ثم الى وادى الموز حيث تكثـــــــر زراعة الموز فيه ثم يرحلون الى زبيد وبها تتجمع ركبان باقى المدن . اذ ينطلـــق الركب من زبيد متجها الى المعاذ به فى أربع مراحل ويتزودون منها بالمـــــاء ويقيمون فيها يوما كاملا ثم يرحلون منها الى القحمه فى أربع مراحل ثم يرحلون الى جيزان ثم يرحلون الى بياضة فى أربع مراحل الى أن يستعدون للرحيل الى حرض ومنها الى المحالب فى ست مراحل ثم الى ملتقى الواديين فى أربع مراحل ، ثم يرحلون الى يلـمـلـم وهى ميقات أهل اليمن ويدخلون أخيرا مكة مهللين مكبرين لأداء مناسك العمرة والحج معا . (١)

هذا هو طريق الأودية والجبال .

أما طريق الساحل ويسمى طريق تهامة فيبدأ من المخنق التى تقـع قرب عدن ثم الى العاره ثم الى عبره ، ثم يرحلون الى السقيا وبها سـوق ،

---

١) عمارة اليمنى ،تاريخ اليمن ،ص ٧٧-٧٩ .
الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ،ج ١ ،ص ١٦٩ .
الغسانى ،العسجد المسبوك ، ص ١٩٨ .
الجزيرى ،درر الفوائد ، ص ٤٧٠ .
يحيى بن الحسين ،غاية الأمانى ،ج ١ ،ص ٣٨٣ .

وآبار يتزودون منها الماء ثم الى السحاره ثم الى الخوهه ثم الى الاهواب ثم الى السرين ثم جده ومنها يسلكون الطريق مع ركب الحاج المصرى الى مكه .

وهذا هو طريق ركب الحاج اليمنى الذى يمر بساحل البحر الاحمر .

ب _ الخدمات :

من الثابت أن هذا الطريق هو الذى كان متعارفا لدى التجار ، اذ يعتبر طريق القوافل التجارية ومن أصعب الطرق مسلكا اذ يمر بمناطق جبلية وأودية لهذا كان أخطر الطرق التى يمر بها ركب الحجاج . (١)

ومن الجدير بالذكر أن المصادر التاريخية لم تذكر لنا أية اصلاحات ، أو خدمات قدمت لهذا الطريق سوى ماقام به بعض أمراء اليمن فى الفترة الاخيرة لهذا البحث .

وفى سنة ٤٥٥ هـ اهتم على بن محمد الصليحى باصلاح الطريق وبناء القصور فيه ، كما أمرت زوجته السيدة الحره الصليحية ببناء بعض المساجد وأصلحت الابار فيه وأقامت السبل . (٢)

---

١) المسعودى : مروج الذهب ،ج ٤ ،ص ٢٤٩ .
عمارة اليمن : تاريخ اليمن ،ص ٨٠ .
الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٤٥٥ .
٢) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ،ص ٩٢ .
ابن الديبع : قرة العيون ،ج ١ ،ص ٢٤٥_٢٤٦ .
الخزرجى : العقود اللؤلؤية ،ج ١ ،ص ١٧٢ .
يحيى بن الحسين : غاية الامانى ،ج ١ ، ص ٢٥٤ .

وفى سنة ٤٥٨ هـ استعد الصليحى بالذهاب الى مكة لاداء مناسك الحج حاملا دنانير الذهب والفضة لاقامة بعض المنشآت فى هذا الطريق ولكن تعطل سيره بسبب اعتداء بنى نجاح عليه فى الطريق والقضاء عليه مما أدى الى توقف هـــذه المنشآت(١) حتى سنة ٦٢٦ هـ.

اذ أمر نور الدين عمر بن رسول باصلاحه وزيادة حفر الآبـــار فيه . (٢)

وفى سنة ٦٤٧ هـ أمر بتجديد بناء المساجد التى تقع فى هذا الطريق وانشاء محطات بريد . (٣)

ولم تذكر لنا المصادر التاريخية أى اصلاحات حدثت فى هذا الطريـــق بعد هذه السنة .

أما عن اعتداءات القبائل فان المصادر التاريخية لم تذكر لنا أى اعتـــداء حدث للحجاج سوى ماحدث سنة ٦٥٥ هـ وحينما علم المظفر يوسف بن رســول قاد حملة بنفسه لردع وصد هذه القبائل التى تقطن هذا الطريق . (٤)

* * *

---

١) عمارة اليمن : تاريخ اليمن ، ص ٩٨ .
يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ج ١ ص ٢٥٧ .
محمد أمين صالح : دولة الخوارج فى اليمن ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .
المجلة التاريخية المصرية ١٩٧٨ .

٢) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ١٨٤ .
ابن الديبع : قرة العيون ، ج ١ ص ٤١٦ .

٣) ابن الديبع : قرة العيون ، ج ٢ ص ١٨ .
الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٢٥٦ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٨٣ .

٤) ابن الديبع : قرة العيون ، ج ٢ ص ١٩ .
الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ١٨٥ .

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية في بلاد الحجاز

الحياة الاقتصادية فى بلاد الحجاز

أ _ النشـــاط التجـــارى :

كان لموقع بلاد الحجاز أهمية بالغة بالنسبة للنشـاط التجارى داخـل شبه الجزيرة العربية وخارجها ، فبلاد الحجاز تقع فى غربى شبه الجزيرة العربية ، وهى تمتد مسافة طويلة على ساحل البحر الأحمر ، كما أنهـا تتصل شمالا ببلاد الشـام ، وتتصل جنوبا ببلاد اليمن • وكذلك تتصل بمصر برا وبحرا • وساعد هذا الموقع الممتاز على ازدهار النشـاط التجـارى لبلاد الحجاز منذ أقدم العصور• (١) فقد أخذت القوافل التجارية القادمة من اليمن تسير عبر أراضى الحجاز فى طريقها شمالا الى بلاد الشـام وتمر القوافل التجارية فى طريقها بمدن هامة جدا كصنعاء ومأرب ومكة المكرمة والمدينة المنورة ومنهـا الى مدائن صالح ثم غزة وجنوبى الشـام وبعضها يسير الى مصر • وكانت هذه القوافل التجارية والمراكب تحمـل فى ذهابها وايابها مختلف البضائع المطلوبة آنذاك • (٢)

---

١) على السليمان : النشـاط التجارى ، ص ٨٣ •
٢) السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٩٠ •
على السليمان : النشـاط التجارى ، ص ٨٦ •

أما عن الطريق البحرى لبلاد الحجاز فقد كانت المراكب التجارية تسير الى مصر واليمن عبر ثغور الحجاز على البحر الأحمر وفى نفس الوقت كانت هذه الثغور الحجازية على البحر الأحمر تستقبل سفنا تجارية من الحبشة والهند والصين ومصر فضـــلا عن اليمن .(١)

وتعتبر مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف من أهم المدن التجارية ببـــلاد الحجاز وكذلك ميناء جده الذى كان له شهرة تجارية فائقة فى الحياة الاقتصادية لبلاد الحجاز . وترجع أهمية مكة المكرمة الى عاملين :

أولهما : هو موقعها الممتاز على طريق القوافل التجارية القادمة اليها مـــن بلاد الشـــام الى اليمن أو العكس ،وبذلك غدت مكة المكرمة محطة تجارية هامة تتوقف فيها القوافل للراحة والبيع والشـــراء من ناحية ،وكى تتزود بالماء والمؤن من مـــن ناحية أخرى ، لتستأنف رحلتها .(٢)

والعامل الثانى الذى لعب دورا هاما فى تاريخ مكة الاقتصادية هو وجـــود الكعبـــة الشريفة فيها حيث يقصدها ألوف عديدة من المسلمين كل عـــام

---

١) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ،ج ٧ ،ص ١٤٠ .
نعيم زكى ،طرق التجارة ،ص ١٣٨ .
٢) ابن جبير ،الرحلة ١٣٨ .
ابن بطوطه ،الرحلة ١٢٥ .
أحمد الشريف ،مكة والمدينة ،ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

فى موسم الحج (١). مما يؤدى الى نشاط البيع والشراء بين الحجاج القادمين اليها بمختلف البضائع من كافة أنحاء العالم الاسلامى ، كذلك مما زاد فى أهمية مكة التجارى هو قربها من ميناء جدة الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، فالمسافة بينهما لاتزيد على أربعين ميلا . (٢)

وعلى هذا فلم تكن مكة المكرمة محطة تجارية فقط بل اشتهر أهلها بالتجارة والوساطة التجارية بين البلاد الاسلامية داخل الجزيرة العربية وخارجها .

ويذكر الرحالة ابن جبير (٣) أن مكة كانت ملتقى الصادر والوارد بالقوافل المحملة بمختلف البضائع ، وهى موسم اجتماع الحجيج القادمين اليها من أنحاء العالم الاسلامى بمختلف النعم والفواكه والثمرات والمنسوجات والبضائع مما يؤدى الى قيام أسواق عامة فى مواسم الحج ، وهذه الأسواق تقام فى أيام معلومة وفى أماكن مستقرة فاصبحت تقليدا من تقاليد الحج . (٤)

---

١) عبد العزيز الأزهرى ، قصص عكاظ ، ص ٤٤_٥٠ .

٢) على السليمان ، النشاط التجارى ، ص ١٠ .

٣) ابن جبير ، الرحله ، ص ٨٢ .

٤) حسنين ربيع : وثائق الجميزه ، ص ١١ .
أحمد الشريف : مكة والمدينة ، ص ١٨٢ .

فى عام ٢٦ هـ / ٦٤٦ م أمر الخليفة عثمان بن عفان بنقل مرفأ مكة القديم من الشعيبة الى جدة لقربها من مكة (الفاكهى : المنتقى ٤٦) وأخذت جدة من ذلك التاريخ تتطور حتى صارت أهم ثغور الحجاز على الساحل الشرقى للبحر الأحمر اليه ترد شتى المراكب القادمة من مختلف البلاد مما جعل أسواقها مكدسة بأنواع البضائع والمنتجات .

وما أن تصل المتاجر الى ميناء جدة حتى تنقلها القوافل التجارية الحجازية برا من ميناء جدة الى مكة المكرمة كذلك كانت الحال بالبضائع الواردة الى مينائى الجار وينبع فهما يعتبران منفذا المدينة المنورة على البحر الأحمر.(١)

وقد زادت أهمية ميناء جدة من الناحية التجارية فلم تعد مرفأ مكة التجارى بل غدت مرفأ الحجاز بأسره (٢)،ومما ساعدها على ذلك أنها أكثر اتساعا من ميناء ينبع وغيره من الثغور الحجازية ،كما كانت ترتبط بعدة طرق تجارية مع بعض البلدان الاخرى مثل الطريق الذى يربطها بمكة المكرمة شرقا وبلاد الحجاز والشام شمالا وأيضا ببلاد اليمن جنوبا ،وكل هذا جعل ميناء جده أهم الموانى الحجازية وأنشطها تجاريا عبر العصور الاسلامية . (٣)

١) حسنين ربيع ،وثائق الجنيزه ،ص ١١ .
٢) الشافى : الجواهر المعده فى فضائل جده ،ورقة ٧ .
الفاسى : شفاء الغرام ،ج ١ ص ٨٨ .
على السليمان : العلاقات الحجازية ،ص ١٦٨ .
٣) الشافى : الجواهر المعده ، ورقة ٨.
ابن جبير : الرحلة ،ص ٤٨ .
السليمان : النشاط التجارى ،ص ٩٧ .

وذكر الرحالة " ابن جبير " أن مدينة جدة كانت تتبع أمير مكة المكرمة [١]، وكان أمير مكة يحصل المكوس في جدة من الحجاج القادمين اليها ، وحين غدا صلاح الدين الايوبي سلطانا على مصر والشام أمر باسقاط المكوس في جدة من الحجاج ، ثم لما أدرك أن موارد مكة لا تفي باحتياجات أهلها دفع لامير مكة مالا عوضا عن هذه المكوس [٢] .

أخذت جدة تزدهر اقتصاديا نظرا لازدياد مواردها المالية نتيجة تضاعف عدد الحجاج والتجار القادمين اليها من شتى أنحاء العالم الاسلامي .

وورد في وثائق الجنيزة أن تجارا من المغرب الاسلامي والاندلس اعتادوا بيع بضائعهم من الحرير والنحاس وغيرهما من منتجات بلادهم في مدن مصر والشام ، ولكن اذا حدث ولم يصادف هؤلاء التجار نجاحا أو سوقا رائجة لبضائعهم في بلاد الشام ومصر فانهم يتجهون ببضائعهم

---

١) ابن جبير : الرحلة ،ص ٤٨ .

٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٠ .

ابن جبير : الرحلة ،ص ٤٩ .

أبو المحاسن : النجوم ، ج ٦ ،ص ٧٩ .

المقريزي : السلوك ،ج ١ ،ص ٦٤ .

فورا الى ميناء جدة حيث يجدون فيها أسواقا رائجة لبضائعهم .(١)

أما الجار فكانت مدينة وثغرا عامرا الى أن أصاب بلاد الحجاز بعض الفتن والاضطرابات منذ القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى عندما اقتحم الاعراب وقطاع الطرق ميناء الجار وفاجأوا أهله بالقتل والسلب والنهب . ورغم عدم استقرار أحوال ميناء الجار فانه ظل يستقبل المراكب الواردة من الديار المصرية وبقى الحال على ذلك حتى أواخر القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى .(٢) فمنذ ذلك التاريخ أخذت أهمية ميناء الجار تضعف بينما أخذت تزداد أهمية ميناء ينبع وغدا ميناء ينبع يتمتع بالازدهار والنشاط التجارى منذ سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م حين جعله الايوبيون فى مصر ميناء رئيسيا للمدينة المنورة ويأتى فى المرتبة الثانية بعد ميناء جدة بالنسبة لبلاد الحجاز كافة . فأصبحت أغلب الغلال والمؤن التى تصل المدينة المنورة من مصر تصلها عن طريق ميناء ينبع الواقع على الساحل الشرقى للبحر الأحمر ، وغدا ثغرا رئيسيا للمدينة المنورة .

---

١) حسنين ربيع ، وثائق الجنيزه ، ص ١٥ـ٢٠ .
على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ١٩٣ .

٢) نعيم زكى : طرق التجارة ، ص ١٤٠ .
على السليمان : النشاط التجارى ، ص ٩٢ .

وقد أسهم هذا الميناء فى ازدهار المدينة المنورة تجاريا منذ بداية القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى . (١)

وتنقسم مدينة ينبع الى قسمين ، ينبع النخل ، وينبع البحر ، وعندما يطلق المؤرخون المسلمون اسم ينبع فانهم يقصدون بها ينبع النخل ، لأن ينبع البحر كانت قليلة الشهرة فى بادئ الأمر ، ثم صارت ميناء للمدينة المنورة ، ومنفذا لها على ساحل البحر الأحمر . (٢)

ولقد لعب ميناء " عيذاب " الواقع على الساحل المواجه لميناء جده دورا هاما فى تجارة بلاد الحجاز واليمن . (٣) وكانت عيذاب فى العصور الوسطى الاسلامية تعتبر من أعظم وأهم مراسى العالم فقد كان يصلها أعداد كبيرة من مراكب المسلمين بالهند وغيرها وترسو بها فضلا عن أنها كانت الميناء الذى تنتهى اليه قوافل الحجاج الذين يعبرون البحر الأحمر الى جده . (٣)

وكانت عيذاب بالنسبة لهؤلاء الحجاج تمثل مركز تجمع لهم ولتجار الشرق القادمين اليها بسلع وبضائع ا من الحبشة واليمن (٤) . وكان البحارة والتجار يفضلون الرسو فيها عند قدومهم اليها أو عند رحيلهم عنها ، وذلك لعمق وغزارة الماء فى ميناء عيذاب وخلوه من الشعاب المرجانية التى تعيق الملاحة فى بعض شواطئ البحر الأحمر . (٥)

---

١) نعيم زكى : طرق التجارة ، ص ١٤٢ .
على السليمان : النشاط التجارى ، ص ٩٥ .

٢) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١١٠ .
محمد الجاسر : بلاد ينبع ، من ص ٨ ـ ١٢ .
على السليمان : النشاط التجارى ، ص ٩٢ .

٣) أحمد دراج : عيذاب ، مقال ، ص ٥٥ ، حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ، ص ٢٢ ،
عطيه القوصى : تجارة مصر ، ص ١٢٣ .

٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ٤٣ . حسنين ربيع : البحر الأحمر ، ص ١٧ .

٥) حسنين ربيع : المرجع السابق ، ص ١٧ .

وقد ذكر ابن جبير فى رحلته الى الأراضى الحجازية سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م بأن عيذاب كانت (من أحفل مراسى الدنيا لأنّ مراكب الهند واليمن تحط فيها وتقلع منها على الدوام) بالاضافة الى مراكب الحجاج التى تقصدها دائما فى مواسم الحج (١) .

واعتمادا على ماجاء فى كتاب " قوانين الدواوين " لابن مماتى يتبين لنا أن الزكاة والجزية هى الضريبتان اللتان تتم جبايتهما من التجار فى ميناء عيذاب ومما يؤيد هذا ان التجار المسلمين والتجار من أهل الذمة القادمين من البلاد الاسلامية هم فقط الذين كانوا يعملون فى تجارة البحر الأحمر فى العصر الأيوبى ولم يكن مسموحا لأى تاجر من المدن الايطالية أو من الهند أو الصين أن يسير من عدن فى البحر الأحمر شمالا (٢) .

وقد لعب تجار الكارمية دورا هاما فى تجارة بلاد الحجاز خلال العصر الأيوبى وتجار الكارميه هؤلاء هم فئة من كبار التجار المسلمين احتكروا تجارة الهند والشرق الأقصى فى التوابل وغيرها من السلع . وقد كان مركز نشاطهم

---

١) ابن الجبير : الرحلة ،ص ٤٣ .
ربيع : وثائق الجنيزه ،ص ٢٢ .

٢) Hassaneen Rabia: The financial Sustem, of Egypt , A H. 564 -741, p. 166.

الاول فى المحيط الهندى ،واتخذوا قواعد لهم فى موانى ساحل الهند الغربـــــى وفى موانىء الخليج العربى ،وعند مدخل البحر الاحمر . (١)

ان أول اشـارة وردت فى المصادر المتداولة عن طائفة تجار الكارمية الذين لعبوا دورا هاما فى تجارة البحر الاحمر ترجع الى سنة ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣ م وذلك حيـن اشار ابن ايبك الدواداری الى تأخر التجار وانقطاع الكارم فى عهد الخليفة المستنصر الفاطمى ، بسبب حوادث الشدة المستنصريه ،وهذا دليل واضح على أن نشـاط تجار الكارميه بدأ منذ العصر الفاطمى ،ان لم يكن قبل ذلك ،واستمر طوال العصـر الايوبى وشطرا من عصر سلاطين المماليك . (٢)

وقد زادت أهمية هؤلاء التجار المسلمين عندما نجح الايوبيون فى اقرار نفوذهـم فى البحر الاحمر وفى تنظيم شئون التجار فى اليمن . وقد سبق أن رأينا نشاط هؤلاء التجار قد تعرض للخطر بسبب امتداد نفوذ الصليبيين الى ميناء البحر الاحمر . كما رأينا كيف نجح صلاح الدين الايوبى فى احباط محاولات البرنس العدائية فى البحر الاحمر لغزو بلاد الحجاز. (٣)

---

١) ابن جبير : الرحلة ،ص ١٢-١٣ .
حسنين ربيع : البحر الاحمر ،ص ١٧ .

٢) ابن ايبك : الدرة المضيئة ،ج ٦ ،ص ٣٨٠ ، تحقيق صلاح الدين المنجـد، ١٩٦١ ، حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ،ص ٢٣ .

٣) وقد سبق التحدث عن محاولات اعتداء الصليبيين على الاراضى المقدسة فـى الفصل الاول من هذه الرسالة .
انظر حسنين ربيع : البحر الاحمر ،ص ١٤ .

وقد احتكر تجار الكارميه تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندى خاصة تجـــارة التوابل وغيرها من البضائع الشـرقية التى كانوا يجلبونها عن طريق عدن الى مصر حيث يبيعونها الى تجار المدن الايطالية وغيرهم . (١)

ولقد قام الأيوبيون بمثل ماقام به الفاطميون من العمل على صد خطر القراصنـــة فى ميناء البحر الأحمر فرصدوا سفنا من أساطيلهم من أجل هذا الغرض بشـــكل خاص . (٢)

ب - أنواع السلع الواردة والصادرة :

كان يرد بلاد الحجاز أنواع عديدة من مختلف السلع والمنتجات . وتعتبر التوابل خاصة الفلفل من أهم هذه السلع لضرورة استخدامه فى الطعام . وجرت العـــادة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادى عشـر والثانى عشر الميلاديين ان يباع حمل الفلفل فى تجارة البحر الأحمر بمبلغ يتراوح بين خمسين دينارا ومائـــة وخمسين وعشرين دينارا . (٣)

وكانت الدارحينى (القرفه) من أهم السلع التى لعبت دورا هاما فى تجارة

---

١) حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ،ص ٢٤ .
القوصى : تجارة مصر ،ص ١٧٦ .
٢) ربيع : النظم المالية ،ص ١٦ .
ربيع : وثائق الجنيزه ،ص ٢٥ . السليمان : النشاط التجارى ،ص ٨ .
نعيم زكى : طرق التجارة ،ص ١٩٢ .
٣) حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ،ص ٢٣ . القوصى : تجارة مصر ،ص ٢١٦ .

بلاد الحجاز . وكان سعرها يعادل سعر الفلفل أو أغلى منه قليلا . لذلك اعتبرت من السلع المربحه . أما القرنفل فقد بلغ ثمنه ضعف ثمن الفلفل وقد جلبه العرب وجلبوا معه أيضا الخليخان وهو نوع من البهار من الشرق عبر الخليج الفارسى ثم بواسطة القوافل البرية أو عبر البحر فورا مرورا بالبحر الأحمر. (١)

كذلك كان الزنجبيل من أكثر التوابل شيوعا واستعمالا فى بلاد الحجاز كافة ، فهو لايقل أهمية وطلبا عن الفلفل والبهار والقرنفل . ومن هذه السلع الرئيسية أيضا الراوند والكافور والعود الهندى والزعفران والكركم والهال (الحبهان) وجوزة الطيب التى استعملت فى أنواع كثيرة من الطعام كما استخدمت فى الطب وتحضير بعض الأدوية لعلاج بعض الأمراض. (٢)

ولم يكن النشاط التجارى فى بلاد الحجاز مقصورا على تجارة التوابل ، بل شملت أيضا العطور والبخور وهى ذات أنواع كثيرة منها عود الند والمسك وخشب الصندل والعنبر واللادن والمصطكى وجميع هذه السلع كانت ترد الى بلاد الحجاز من بلاد الشرق الأقصى وفارس ، والى جانب هذه السلع اشتمل النشاط التجارى على الذخائر النفيسة كالجواهر والياقوت وسائر الأحجار الكريمة . (٣)

---

١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٧ . حسنين ربيع : البحر الأحمر ، ص ١٤ . القوصى : تجارة مصر ، ص ٢١٨ . نعيم زكى : طرق التجاره ، ص ٢١٩ .

٢) القوصى : تجارة مصر ، ص ٢٢٠ . ربيع : البحر الأحمر ، ص ١٤ .

٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٦ . ربيع : البحر الاحمر ، ص ١٥ . نعيم زكى : طرق التجارة ، ص ٢٢٦ .

وكان يأتى الى بلاد الحجاز قوم من اليمن بقصد التجارة يعرفون باسم السرو فيجلبون معهم نوعا من الزبيب الاسود والأحمر . كذلك كانوا يجلبون معهم كميات كبيرة من اللوز ،علاوة على الحنطة وبقية أنواع الحبوب بالاضافة الى قصب السكر والسمن والعسل . (١)

وكانت القوافل التجارية تأتى من اليمن الى أسواق مكة وهى محملة بمنتجات أخرى لليمن مثل الجلود والثياب والبخور ،وبمنتجات افريقية نفسها ، من الصمغ والعاج والدقيق والتمر . كما كانت القوافل تأتى مكة أيضا محملة بمنتجات الشام ومصر كالزيتون والغلال . (٢)

وهكذا كان يجتمع فى أسواق مكة المكرمة منتجات كل من الهند والحبشة والعراق واليمن وخراسان وبلاد المغرب . (٣)

وكانت بلاد الحجاز بلد مصدرا لحاصلات بلاد العرب فتحمل القوافل التجارية فى ايابها الزيت والبلح والقرظ والصوف والوبر والشعر والجلد والسمن . وكانت مصر تستورد من بلاد الحجاز الخيول والجمال والجلود المدبوغة . (٤)

---

١) ابن جبير : الرحلة ،ص ٨٨ .
٢) على السليمان : النشاط التجارى ،ص ١٥١ .
٣) ابن جبير : الرحلة ،ص ٨٧ .
٤) ابن جبير ،الرحلة ،ص ٩٨ .
حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ،ص ٢٥ .

وقد اعتادت بعض قبائل اليمن التى تعرف بالسرو ألا يبيعوا مايجلبونه الى مكة من الزبيب واللوز والسكر والبقول والسمن والعسل بالدنانير والدراهم ، وانما كانوا يرغبون فى مبادلة بضائعهم تلك بما يجدونه فى أسواق مكة من الخرق والعباءات والاقنعة والملاحف المتان ،وغير ذلك من ملابس الاعراب وثيابهم • وقد اثارت طريقة المبادلة هذه دهشة بعض المؤرخين والجغرافيين العرب • (١)

جـ ـ الضرائب والمكوس وطرق جبايتها :

فرض أمراء بلاد الحجاز بعض المكوس والضرائب على البضائع الواردة الى بلاد الحجاز • وكانت حكمة مكس تطلق على الجباية ، كما كانت تطلق على كل مايأخذه العشار (الماكس) • وهذه المكوس ليس لها سند شرعى وانما توارث الحكام فرضها وجبايتها من العصور السابقة • (٢)

وذكر ابن جبير أنه قبل عصر صلاح الدين كان المكس يجبى من الحجاج والتجار فى ميناء عيذاب واذا لم يجب منهم فى عيذاب جبى منهم فى جده• (٣) وأضاف الرحالة المسلم ابن جبير (٤) مقدار المكس الذى كان مفروضا على الحاج الواحد فى

١) المقدسى : أحسن التقاسيم ،ص ٤٨ • ابن جبير : الرحلة ،ص ٩٩ •
ابن بطوطه : الرحله ،ص ١٠٨ • ابن الديبع : غرة العيون ،ج ٢ ،ص ٧٨ •

٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ،ص ٦٩ • على السليمان : العلاقات الحجازية ،ص ١٦٢ •

٣) ابن جبير : الرحلة ،ص ٢٩ •

٤) ابن جبير : الرحلة ،ص ٢٩ • حسنين ربيع : النظم المالية ،ص ٥٠ •
القوصى : تجارة مصر ، ص ٢٣٢ • السليمان : العلاقات الحجازية ،ص ١٦٢ •

واذا امتنع الحاج عن دفع هذا المبلغ فكان يمنع من الحج والتجارة ويعذب شتى أنواع العذاب.

وألغى صلاح الدين الايوبى نائب السلطان نور الدين محمود فى مصر فى سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م معظم المكوس الفاطمية التى كانت تجبى فى الديار المصرية حتى يدرك المسلمون انتهاء العمل بمذهب الشيعة ،والعودة الى مذهب السنة . وقد بلغ عدد المكوس التى ألغاها صلاح الدين الايوبى ثمانية وثمانين مكسا . كما بلغت جملة حصيلتها فى السنة الواحدة مائة ألف دينار وبذلك لم يبق من المكوس الفاطمية سوى مكس الحاج الذى ألغاه أيضا صلاح الدين الايوبى فى سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م . (١)

أما سبب الغاء مكس الحاج هذا فهو أن الشيخ علوان الاسدى الحلبى ، أراد فى نفس العام المذكور ٥٧٢ هـ/ ١١٧٦ م أن يؤدى فريضة الحج وكان على صلة طيبة بصلاح الدين فلما طلب منه متولى جباية المكس بجده دفع مكس الحج رفض وهم بالعودة من حيث أتى دون أن يؤدى فريضة الحج فخشى الاشراف عاقبة الامر ، لذلك أخذوا فى ملاطفته وارضائه وبعثوا الى مكثر بن عيسى

---

١) أبو شامة : الروضتين ،ج ٢ ،ص ٢٥ . ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٦٦ . الباز العرينى : مصر فى عصر الايوبيين ،ص ٢١٥ . أحمد دراج : عيذاب ،ص ٦٠ ربيع : النظم المالية ،ص ٥٠ .

يخبرونه بأمر الشيخ علوان ، فأمرهم باطلاق سراحه واعفائه من المكس ،والسماح له بالتوجه الى مكة المكرمة . (١)

فلما بلغ الشيخ علوان مكة المكرمة ، اجتمع به الأمير مكثر بن عيسى فشكا اليه قائلا : " بأن دخل مكة لايفى بمصالح أهلها ، وهذا مايضطره الى أخذ المكوس " فكتب الشيخ علوان بذلك الى صلاح الدين الأيوبى .

وكانت العادة قد جرت أن يأخذ شريف مكة من كل حاج سبعة دنانير ونصف ولايسمح لأحد من الحجاج بدخول مكة دون دفع هذا المكس ويحبس ولايطلق سراحه حتى يفوته الوقوف بعرفة . (٢)

وعلى اثر ذلك خصص صلاح الدين الأيوبى جراية سنوية لأمير مكة مكثر بن عيسى فجعل له فى كل سنة مبلغ ألفى دينار وألف أردب قمحا ، فضلا عن عدة اقطاعات فى صعيد مصر واليمن ، يبلغ مجموعها ثمانية آلاف أردب قمح تحمل اليه كل سنة حتى جدة لتعويضه عن تلك المكوس التى الغاها . (٣)

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٠ . ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٦٩ . الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٢٦٦ . السليمان : العلاقات الحجازية ص ١٦٠ .

٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ص ٢٠٩ . ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٨ . القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٧ ، ص ١٠٩ . السباعى : تاريخ مكة ، ص ١٧٩ .

٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٠ . ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ص ٢١٤ المقريزى : الخطط ، ج ٢ ص ٢٣٣ . أبو المحاسن : النجوم ، ج ٦ ، ص ٧٩ . أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ص ٢٠٦ ، على السليمان : النشاط التجارى ص ١٠٤ .

استمر الغاء المكوس هذه طوال عهد السلطان صلاح الدين الايوبي ولكنها عادت بعد وفاته ومما يدل على ذلك أن الملك العادل الثاني سيف الدين بكر بن الملك الكامل أعاد فرضها في سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧م ، يضاف الى ذلك أن خلفاء صلاح الدين الايوبي أهملوا ارسال ماالتزم به صلاح الدين الايوبي نحو البيت الحرام ، مما دفع شريف مكة الى تحصيل المكوس من الحجاج والتجار. (١)

وعندما امتد نفوذ بني رسول من اليمن الى الحجاز قام الملك المنصور عمر بن رسول صاحب اليمن سنة ٦٣٩ هـ/ ١٢٤١م بالغاء مكس الحاج والتجار وكتب بهذا الالغاء رقعة جعلها قبالة الحجر الاسود ،على بئر زمزم . وبقيت تلك الرقعة حتى سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م حيث نزعها محمد بن أحمد بن المسيب اليمني . (٢)

وكانت تلك المكوس التي يدفعها التجار بجدة ،تؤمن لهم الطريق الى مكة وتحقق لهم الحماية والامان سواء ظلوا بجدة ،أم أقاموا بمكة المكرمة . وكانت المكوس تؤخذ في جدة من الحجاج الواردين بطريق البحر.

ونظرا لان جدة تابعة لامير مكة ،فان تلك المكوس والعشور ، يقوم بجبايتها وتحصيلها في ميناء جدة مشرف من قبل أمير مكة . وكان المشرف الى جانب

---

١) القوصي : تجارة مصر ،ص ٢٢٧ .
٢) ابن فهد : اتحاف الورى ،ورقة ٢٥٥ ، ٢٥٧ .
المقريزي : السلوك جـ ١ ص ٢٣٢ . يحيى بن الحسين : غاية الاماني ،جـ ١ ص ٤٣١ . ابن الديبع : قرة العيون ،جـ ٢ ،ص ٣٢ .

ذلك يحرس عمالة جدة ، ويقبض لوازمها ، وصدقاتها ، ومكوسها وعشورها . (١)

الحرف والصناعات :

كانت الزراعة فى بلاد الحجاز تعتمد بصفة عامة على المطر وعلى مياه العيون . ومن أهم الحاصلات الزراعية : القمح والشعير والذرة والفواكه والرطب والعنب والموز . ومن المعروف أن مكة المكرمة ليست بلدا زراعيا ، فهى منطقة مجدبة جرداء ، لاتصلح للزراعة كما أنها تتميز بالجفاف ،وارتفاع درجة الحرارة . لذلك لاينبت فيها زرع سوى شجر البادية . (٢)

وعلى خلاف الحال بمكة المكرمة كانت بعض المناطق المجاورة لها ، وبخاصة منطقة الطائف ،والوديان الموجودة بين مكة وجدة ينبت فيها مختلف الحاصلات الزراعية . وبالتالى تمد مكة المكرمة بما تحتاجه من المنتجات الزراعية . ومما يجدر ذكره أن أهل مكة كانوا يمتلكون بعض المزارع والحدائق والبساتين فى منطقة الطائف بالاضافة الى مايملكونه فى مكة ،من ابل وبقر وغنم ،ومالديهم من خبرة فى ترتيبها وانتاجها ورعايتها فى الوديان والشعاب المجاورة . (٣)

---

١) حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ،ص ٢٤ـ٢٥ .
٢) القلقشندى : صبح الاعشى ،ج ٤ ص ٢٤٧ .
على السليمان : النشاط التجارى ،ص ٨٣ .
٣) ابن حوقل : صورة الارض ،ص ٣٧ . ابن جبير : الرحلة ،ص ١٠٢ .
ابن بطوطة : الرحلة ،ص ١٠٠ . احمد الشريف : مكة والمدينة ،ص ٢١٨ .

أما المدينة المنورة ، فكانت على العكس من مكة المكرمة ، فهى تقع فى منطقة خصبة ، لذلك عمل أهلها بالزراعة وقد ساعدهم على ذلك ماتوفر فيها من العيون والآبار فكثرت حولها حدائق النخيل ، مما جعل التمر من أهم حاصلاتها الزراعية ، بل هو المحصول الرئيسى فيها . وهو على أنواع متميزة من حيث الجودة . ويعتبر أهم المحاصيل التى تصدر من المدينة المنورة . (١)

ويعمل كثير من أهل المدينة المنورة بالزراعة ، لأنها توفر لهم معظم احتياجاتهم الغذائية . وما فاض عن حاجتهم من الثمار والخضار يقومون بتصديره ، أو مبادلته مع مدن الحجاز الأخرى بما يفتقرون اليه من منتجات ، وبالاضافة الى ذلك كان أهل المدينة المنورة يتعاملون تجاريا مع الحجاج والتجار الذين يفدون اليها من مكة وهم فى طريقهم الى بلادهم ، أو لزيارة قبر ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام . (٢)

لذلك كانت تجرى فى أسواق المدينة عمليات البيع والشراء فيباع فى أسواقها الحطب الذى يجلبه الحطابون من الأشجار . ويأتى من بيع التمر عوائد اقتصادية مربحه لأهل المدينة المنورة ، كما أنهم يستخدمون النوى علفا لابلهم ، وهذا

---

١) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٨٠ . السمهودى : وفاء الوفا ، ج ١ ، ص ٦٨ . القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٨٩ . على السليمان : النشاط التجارى ص ٩١ ، حمد الجاسر : رسائل فى تاريخ المدينة ، ص ٣٥ .

٢) الفيروزابادى : المغانم المطابه ، ص ١٥ـ٢٠ ، تحقيق حمد الجاسر . السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ١٨٠ .

مايميز ابل المدينة عن غيرها من الابل كما استخدم أهل المدينة جريد النخل فـــى سقف المنازل أو صنعوا من خوصها المكات لوالقفف والمكانس والحصير والاطبـــاق والمراوح . كذلك استخدموا جذوعها أعمدة لبيوتهم لتستند عليها السقوف . ولذلــك اعتبر أهل المدينة النخيل من أكرم الاشجار بالنسبة لهم . (١)

ومما يجدر ذكره أن أشجار النخيل فى المدينة المنورة تزرع متفرقة تاركة بينهـــا مساحات خالية مما يتيح الفرصة لقيام زراعات محصولية أخرى فى هذه المساحات الخالية وان أهم ماكان يزرع فى تلك المساحات هو الشعير ، فعليه كان يعتمد أهل المدينـة بعد التمر ، لأن محصوله يسد جانبا كبيرا من احتياجاتهم الغذائية ، والى جانب هاتين الغلتين الرئيسيتين كان يتوفر فى المدينة المنورة محاصيل أخرى ، لكنهـــــا كانت أقل كمية منها ، ومن تلك المحاصيل القمح والكروم والقثاء والبقول ، وكذلــك بعض أنواع الفواكه مثل الرمان والليمون وغيرهما . (٢)

واذا ماانتقلنا الى أنواع الصناعات التى كانت موجودة فى بلاد الحجاز ، فاننـــا نلاحظ أن المعلومات التى وصلتنا عنها قليلة جدا ، ومتناثرة بين سطور معـــدودة

---

١) الفيروزابادى : المغانم المطابه ، ص ٣٠ . حمد الجاسر : رسائل فى تاريـــخ المدينة ، ص ٦٣ . أحمد الشريف : مكة والمدينة ، ص ٣٥٧ . السليمان : العلاقات الحجازية ص ١٦٧ .

٢) السمهودى : وفاء الوفا ، ج ١ ، ص ٧٨ . الفيروزابادى : المغانم المطابه ، ص ١٠٩ . ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٣٨ .

فى بعض المصادر . ومن البديهى أن العمران يتطلب قيام صناعات تتعلق بالبناء من نحت ونجارة وصناعة أبواب وماشابه ذلك ، كذلك عرفت صناعات أخرى مثل صناعة الفؤوس والمحاريث والمساحى والمناجل وغيرها من الآلات الزراعية التى يحتاجونها فى أعمالهم الزراعية . وبما أن المدينة المنورة اشتهرت بوفرة النخيل فيها فقد قامت فيها صناعات تعتمد على سعف النخيل مثل الزنابيل ، والحبال وماشابه ذلك من مشتقات النخيل .(١)

ومن الصناعات الخامة التى ورد ذكرها فى وثائق الجنيزه ، صناعات الحصير الذى كان شائع الاستخدام فى المنازل والمحلات والمساجد وغيرها ، ومن حسن الحظ أن وثائق الجنيزه تمدنا ببعض المعلومات عن صناعة الحصير وصفاته وانواعه واسعاره . كذلك عرفت آنذاك صناعة النجارة اللازمة للبيوت من أبواب ونوافذ ومختلف أنواع الاثاث ، ومما ساعد على قيام الصناعات الخشبية توفر شجر والطرفاء بكثرة فى منطقة الغابة الواقعة فى شمالى غربى المدينة المنورة . كذلك اشتهرت المدينة المنورة منذ العصر الجاهلى وحتى العصر الذى ندرسه

---

١) الفيروزابادى : المغانم المطابة ،ص ١٣٠ .
السمهودى : وفاء الوفا ،ج ١ ،ص ٨٦ .
ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٣٨ .
المراغى : تحقيق النصره ،ص ٦٩ .
حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ،ص ٢٥ .

بصناعة الفخار من أوان وأباريق وأكواب وجرار وحلل وغيرها من اللوازم . (١)

وكان مما شاهده ابن جبير خلال رحلته الى بلاد الحجاز بعض أنواع متعددة من اللبن فى مكة المكرمة . كما تحدث فى رحلته عن صناعة السمن وصناعة بعض أنواع الحلوى فى مكة المكرمة . وهذه الحلوى كانت تصنع من جميع الفواكه الرطب منها واليابس مضافا اليها العسل والسكر المعقود . (٢)

ولايغيب عن البال أن نذكر صناعات بعض الحلى التى اشتهرت بها بلاد الحجاز ، منذ العصور الاسلامية الاولى ، واستمرت خلال العصر الذى نحن بصدد دراسته . وتتمثل أهم صناعات تلك الحلى فى صناعة الخواتم والخلاخيل والعقود وكان يستخدم فى صناعتها الذهب والجوهرات والاحجار الكريمة ، ثم يأتى بعد ذلك فى الاهمية صناعة الاسلحة من سيوف ونبال ودروع وصناعة أدوات والات الصيد كالفخاخ والشباك وماشابه ذلك وكان معظم ذلك النوع من الصناعات يتم تصنيعه فى المدينة المنورة . (٣)

---

١) حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ،ص ٢٦ .

٢) ابن جبير ، الرحلة ،ص ٨٨ . ابن بطوطه : الرحلة ،ص ١١٨ .
الجزيرى : درر الفوائد المنظمه ،ص ٢٧١ .

٣) الفيروز ابادى : المغانم المطابه ،ص ٢٠٦-٢١٠ .
المراغى : تحقيق النصره ،ص ١٠٥ . السمهودى : وفاء الوفا ،ج ٢ ،ص ٤٨ .
حمد الجاسر : رسائل فى تاريخ المدينة ،ص ٨١ ، أحمد شريف : مكة والمدينة ،ص ٣٧٨ .

هـ ـ النقود ودار الضرب بمكة المكرمة :

أمر صلاح الدين الايوبى ببناء دار فى مكة المكرمة لضرب النقود باسمه [١] وذكر القلقشندى فى كتابه " صبح الاعشى " ان المعاملات النقدية المتعامل بها فى الحجاز خلال عصر الايوبيين كانت كالمعاملات النقدية المتعامل بها فى الديار المصرية والديار الشامية ، وذلك من حيث التعامل بالدنانير والدراهم النقره . [٢] وبالتالى كانت الدراهم الناصريه التى سكها صلاح الدين وكذلك الدراهم الكامليه التى أمر السلطان الكامل الايوبى سنة ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥م بضربها وهى دراهم مستديرة متعامل بها فى بلاد الحجاز . [٣]

والى جانب ذلك كان هناك دراهم أخرى جرى التعامل بها فى مكة المكرمة سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م وكانت تضرب مربعة الشكل من معدن الفضة الخالصة ، زنتها نحو النصف ثم انخفض فيما بعد الى السدس ، وهذه الدراهم تنسب الى الملك المسعود صاحب اليمن لذلك سميت بالدراهم المسعودية نسبة الى صاحب اليمن الملك المسعود نور الدين عمر بن رسول . [٤]

---

١) حسنين ربيع : النظم المالية ، ص ٩٩ .
٢) القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٢٧٥ . ربيع : النظم المالية ، ص ١٠٠
عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ، ص ٧٣ . السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٠٢
٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٥٣ . القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٢٧٦
٤) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ص ١٦٨ . الغسانى : العسجد المسبوك ، ص ١٣٨ . ابن الديبع : قرة العيون ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

أعطيات الخلفاء لولاة مكة المكرمة :

ان توفير الطعام للحجاج فى مشاعر الحج مرتبط بالاستقرار السياسى والادارى فى كل موسم ومدى امكانيات السلطان فى توفيرهما للحجاج . (١)

وقد استمر الاستقرار طول عصر الخلفاء الراشدين فالأمويين ، وفترة طويلة من عصر الخلفاء العباسيين . ولكن فى سنة ٣١٧ هجرية تعرض الحجاج لكثير من أنواع الضيق والتعذيب والفزع سواء داخل مكة أو خلال الطريق ويعود ذلك الى أن القرامطة أغاروا فى تلك السنة على مكة المكرمة ونزعوا الحجر الاسود وانتهكوا حرمات البيت الحرام . (٢)

ثم انحسر نفوذ القرامطة وأعيدت الخطبة فى مكة والمدينة الى الخليفة العباسى الراضى سنة ٣٢٧ هجرية ، وأعدبت ولابنهما الى محمد بن طغج الاخشيدى حاكم مصر ، فكان الاخشيديون يغدقون الاعطيات على سكان

---

١) الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٠ .
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ٦٨ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١١٩ .
٢) النهروالى : الاعلام ، ص ٥٨ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

الحرمين الشريفين وبالتالى يذكر اسمهم فى الخطبة والدعاء لهم على المنابر الى جانب اسم الخليفة العباسى (١) ، ومنذ انتقال الخلافة الفاطمية الى مصر تنافس الخلفاء العباسيون والفاطميون فى السيطرة على الحجاز والدعاء لهما على المنابر ، لذلك أصبح للاعطيات دور كبير فى رواج موسم الحج ، وأخذت تتأرجح قلة وكثرة حسب الموقف السياسى والاقتصادى من ناحية وحسب قوة وضعف الخلافتين من ناحية أخرى . (٢)

وقد أخذت أعطيات الخليفة الفاطمى تصل مكة المكرمة منذ سنة ٣٥٩ هـ لأن أميرها الشريف الحسن بن جعفر الحسنى اعلن قيام حكم الاشراف فى العام السابق وبادر بالدعوة للخليفة الفاطمى المعز لدين الله . وحذف اسم الخليفة العباسى فبعث المعز الفاطمى من افريقية الى مكة المكرمة عسكرا وأحمال مال عدتها عشرون حملا للحرمين وعدة أحمال

---

١) ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ١٠٠ ، سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ١٥٣ . د . سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ٢٠ .
٢) السباعى : تاريخ مكة جـ ١ ص ١٢١ .

متاع ".(١) فظل يرسل تلك الاعطيات بعد انتقاله الى القاهرة وحتى نهاية عهده .

وبقيت أعطيات الخليفة الفاطمى المعز لدين الله تصل بلاد الحجاز ويذكر اسمه فى الخطبة من فوق المنابر ، ولكن حين توفى سنة ٣٦٥ هـ وتولى الخلافة من بعده ابنه العزيز بالله قطعت الخطبة له مدة عامين ودعى خلالهما للخليفة العباسى .(٢)

وفى موسم حج عام ٣٣٦ هـ حجت جميلة بنت ناصر الدولة الحمدانى صاحب الموصل فأغدقت الاعطيات على الحجاج وعلى سكان مكة المكرمة ، كما نثرت الذهب فى جبل عرفات وفى حجرة العقبة الكبرى بمنى ، ونظرا لشدة الحرارة فانها أسقت الناس الماء المثلج فى مشاعر الحج .(٣)

---

١) السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ،ص ١٧٣ .
سرور : سياسة الفاطميين ،ص ٢٦ .
٢) الجزيرى : درر الفوائد ،ص ٢٤٦ .
سرور : سياسة الفاطميين ،ص ٢٦ .
٣) الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٢٢ .
الجزيرى : درر الفوائد ،ص ٢٤٧ .

ومنذ سنة ٣٦٧ هـ ،وحتى سنة ٤٠٣ هـ أصبحت الاعطيات تأتى لبلاد الحجاز من الخلفاء الفاطميين ،أو من الخلفاء العباسيين تبعا لميل الاشراف الى أحـد الطرفين والدعاء له ، على منابر الحرمين فى الخطبة والاعياد . وقد تخلل تلك الفترة بضع سنوات ، انقطعت خلالها الاعطيات عن بلاد الحجاز ، لأن شريف مكه أبا الفتوح دعا لنفسه واتخذ ألقاب الخلافة . (١)

لكن الأمير أبا الفتوح ندم على ماأقدم عليه فعاد يخطب للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى ، ويعلن الولاء والطاعة له . وبالتالى عادت الاعطيات تصرف عن جانب الخلفاء الفاطميين الى بلاد الحجاز ، واستمرت الحال على هذا المنوال حتى توفى أمير مكة شكر بن أبى الفتوح سنة ٤٥٣هـ. (٢)

ففى سنة ٤٥٤ هـ تولى امارة مكة أبو هاشم محمد بن جعفر وخطب للخليفة المستنصر الفاطمى ،ولكن عاد وقطع الخطبة للخليفة الفاطمى بسبب قلة الاعطيات وفى نفس الوقت أغدق الخليفة العباسى القائم بأمر الله الاعطيات لأمير مكة فأقيمت الخطبة له بدلا من الخليفة الفاطمى . (٣)

---

١) وقد سبق التحدث عن ذلك تفصيلا فى الفصل الأول .
السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ،ص ١٧٣ . سرور : سياسة الفاطميين ،ص ٢٦ .

٢) الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ١٧٩ . السباعى :تاريخ مكة ،ج ١ ، ص ١٧٤ .

٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ،ص ١٩٦ . سرور : سياسة الفاطميين ،ص ٢٨ .

ونظرا لهذه التقلبات السياسية من جانب ولاة مكة الاشراف فى الولاء والطاعة لاحدى الخلافتين تبعا لكثرة أو قلة الأعطياء الواردة اليهم فان الأعطيات زادت لهم وأغدقت عليهم ليقيموا الدعوة لهذه الخلافة أو تلك ، ومن أمثلة ذلك أنه فى سنة ٤٥٥ هـ أمر الخليفة المستنصر الفاطمى داعيه على اليمن محمد الصليحى بالقضاء على الدعوة للعباسيين فى مكة واعادة الدعوة للفاطميين فكان من بين الاجراءات التى اتخذها الصليحى فى سبيل ذلك ، أنه اغدق الأعطيات على ولاة مكة الاشراف وأحسن معاملتهم وكسا الكعبة ثيابا بيضا . (١)

وفى سنة ٤٦١ هـ انقطعت الأعطيات من بلاد الحجاز التى كان يرسلها الخلفاء الفاطميون الاشراف مكة وذلك بسبب الشدة العظمى التى أصابت مصر فى عهد الخليفة المستنصر الفاطمى ، مما دفع أمير مكة محمد بن جعفر الى أخذ قناديل الكعبة واستارها وصفائح بابها . كما صادر أموال التجار بمكة لينفق منها على شئون امارته . وأمر بحذف اسم الخليفة الفاطمى من الخطبة والدعاء للخليفة العباسى القائم بأمر الله . (٢)

نال ذلك العمل رضى الخليفة العباسى والسلطان ألب أرسلان السلجوقى الذى

---

١) المقريزى : الذهب المسبوك ، ص ٦٦ .
سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٢٨ .
ابن الديبع : قرة العيون ، ج ١ ، ص ٢١٠ .
٢) سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٢٩ .

أرسل الى أمير مكة محمد بن جعفر خلعا ومبلغ قدره ثلاثون ألف دينار ، وطلب منه أن يمنع من الاذان " حى على خير العمل ". (١)

ثم انقطعت الاعطيات لشريف مكة حين توفى الخليفة القائم بأمر الله العباسى سنة ٤٦٧ هـ ،لذلك قطع شريف مكة الخطبة للعباسيين وأعادها للخليفة المستنصر بالله الفاطمى ،الذى استأنف ارسال الاعطيات لبلاد الحجاز ، ولهذا يمكن القول ،أن أعطيات العباسيين والفاطميين هى التى كانت تدفع أشراف مكة الى الولاء والطاعة لهؤلاء الخلفاء أو أولئك . كما أن هذه الاعطيات كان لها أثرها على الحياة الاقتصادية فى الحجاز فى العصر الفاطمى . (٢)

وعلى الرغم من أن سيل الاعطيات كان ينهال على شريف مكة محمد بن جعفر فترة حكمه من الخليفة العباسى ومن الخليفة الفاطمى الا أن الحجاج فى نهاية عهده ، كانوا غير آمنين على أنفسهم . (٣) ويعود سبب ذلك الى أن سيرة شريف مكة محمد بن جعفر لم تكن طيبة . ولم يستطع فرض الامن والاستقرار فى طريق الحجاج . ومن أمثلة ذلك أنه فى سنة ٤٨٠ هـ قام الاعراب بنهب الحجاج ، فلم

---

١)الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ١٩٨ .
السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ،ص ١٨٦ .
٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ،ج ٥ ،ص ١١٠ .
المقريزى : اتعاظ الحنفا ،ج ١ ،ص ٦٨ .
٣) ابن الاثير ؛ الكامل ،ج ٩ ،ص ٥٣ .

يحاول التصدى للأعراب ولم يحاول حتى منعهم من نصب الاعراب ،كذلك لم يعمل على تنظيم الأمور الادارية والاقتصادية فى مكة واقرار الأمن فيها[١].

واستمرت أعطيات الخلفاء العباسيين تصل كل عام بلاد الحجاز لأن شريف مكة قاسم الذى ولى الامارة بعد وفاة والده محمد بن جعفر سنة ٤٨٧ هـ كان يخطب للخلفاء العباسيين ،ولم يكتف الخليفة المستظهر العباسى بارسال الأعطيات لشريف مكة الجديد ، بل أرسل له الأموال والخلع أيضا . كذلك عمل ابنه الخليفة المسترشد العباسى فسار على سياسة أبيه ، وفى ارسال الأعطيات والخلع والأموال لشريف مكة[٢].

كذلك استمرت الأعطيات تأتى من الخلفاء العباسيين لبلاد الحجاز طوال عهد الأمير فليته الذى ولى حكم مكة بعد وفاة والده قاسم بن محمد بن جعفر سنة ٥١٨ هـ . لذلك قام شريف مكة الجديد الأمير فليته بمواصلة الخطبة للعباسيين ،كما نجح فى فرض الأمن والاستقرار فى مكة وطرق الحجاج ، مما كان له أكبر الأثر الطيب فى نفوس الحجاج وسكان مكة التجار معا . وبقيت أعطيات العباسيين تصل كل عام وبقى هو على ولائه للعباسيين والدعاء لهم حتى وفاته سنة ٥٢٧ هـ .[٣] ثم انقطعت أعطيات العباسيين ، واستؤنفت

---

١) الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ، ص ١٩٩ . سرور : سياسة الفاطميين ص٣١ .
٢) السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ،ص ١٨٧ . باقاسى : بلاد الحجاز ،ص ٨٥ .
٣) الجزيرى : درر الفوائد ،ص ٢٥٧ . باقاسى : بلاد الحجاز ،ص ٨٦ .

أعطيات الفاطميين لأن شريف مكة الجديد أعاد الخطبة للفاطميين . (١)

وهكذا نجد أن الأعطيات هى التى كانت تحدد علاقة اشراف مكة باحدى الخلافتين الفاطمية والعباسية . وقد حرص حكام مكة على ابقاء جعل المودة موصولا مع الخلفاء الفاطميين ، رغم الدعاء للعباسيين وذلك حتى تصلهم باستمرار اغراق الأعطيات من الفاطميين . (٢)

ومن مظاهر بقاء حبل المودة موصولا مع الخلفاء الفاطميين هو السفارة التى قام بها الشاعر عمارة اليمنى بين أمير مكة والخليفة الفاطمى سنة ٥٥٠هـ. (٣)

ان كل هذه المعلومات المفصلة ،توضح لنا أثر الأعطيات وانعكاسها على العلاقات السياسية بين أشراف مكة ،وكل من الخلفاء العباسيين والفاطميين ، كما توضح أن هذه الأعطياء كانت تتأثر بالأحوال الاقتصادية فى كل من الدولتين العباسية والفاطمية . (٤)

ورغم أن أعطيات الفاطميين لأشراف مكة كانت تتوقف فى بعض

---

١) سرور : سياسة الفاطميين ،ص ٣٢ .
٢) المرجع السابق ،ص ٣٢ .
٣) وقد سبق التحدث عن ذلك تفصيلا فى الفصل الأول من هذه الرسالة . انظر المرجع السابق ، ص ٣٣ .
٤) الفاسى : شفاء الغرام ،جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .
السباعى : تاريخ مكة ،جـ ١ ،ص ١٩٠ .

السنوات بسبب ظروف مصر الاقتصادية ، الا أن الخلفاء الفاطميين حرصوا على علاقاتهم الطيبة مع حكام بلاد الحجاز ، كذلك حرص أشراف مكة على علاقاتهم الطيبة مع الفاطميين وذلك بمواصلتهم الأذان "بحى على خير العمل" مما جعل الخلفاء الفاطميون رغم سوء أحوالهم الاقتصادية فى بعض الأحيان يحرصون على اغداق الاعطيات على أشراف مكة وارسال الحبوب والأموال الى فقراء الحرمين الشريفين فى مكة والمدينة . (١)

ورغم ذلك التنافس بين خلفاء الفاطميين ،وخلفاء العباسيين الا أن هذا التنافس لم يتخذ طابع العنف فى بسط سيادتها على الأراضى المقدسة . وذلك رغبة من الخلافتين فى أن تظل الأراضى المقدسة فى الحجاز بعيدة عن المعارك الحربية. (٢)

ورغم وفرة الاعطيات التى كانت تصل الحجاز من الخلافتين العباسية والفاطمية الا أن أشراف مكة والمدينة لم يقوموا باصلاحات تذكر فى بلاد الحجاز لأنهم كانوا يؤثرون مصلحتهم الذاتية ويقدمونها فوق كل مصلحة ولم يقيموا الخطبة للخلافة العباسية أو للخلافة الفاطمية الا من أجل اشباع مطامعهم ، حتى يواصل هؤلاء الخلفاء أو أولئك امدادهم بالأموال مما أدى الى اضعاف بلاد الحجاز

---

١) الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٠٠ .
حسن ابراهيم حسن : الفاطميون فى مصر ،ص ١٧٤ .
٢) السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ،ص ٢٠١ .

وتأخيرها علميا وماديا [١] . ومن مظاهر ذلك أن المقدسي الجغرافي قد وصف بلاد الحجاز في القرن الرابع الهجري بالفقر وقلة التعليم . [٢]

ثم انقطع رافد هام من روافد تلك الأعطيات وذلك حين سقطت الخلافة الفاطمية سنة ٥٦٨هـ وفي الوقت نفسه قلت أعطيات الخلافة العباسية . [٣] وقد دفعت الضائقة الاقتصادية بأمراء ركبان الحجاج الى اطعام حجاج ركبهم بأنفسهم وذلك بتقديم الأطعمة لهم في مشاعر الحج . وقد استمرت تلك الحال على هذا المنوال حتى سنة ٥٧٠ هـ وهو العام الذي بدأ فيه صلاح الدين الأيوبي بارسال الأعطيات الى مكة المكرمة . [٤]

وحسب أقوال بعض الرحالة والمؤرخين مثل ابن جبير والفاسي نرى أن المكوس التي كانت تؤخذ من الحجاج تعتبر المورد الأساسي لامارة مكة ولذلك لم يجد اشراف مكة بدا من تحصيلها ولو بالعنف ، وهكذا لم يقبل أمراء مكة المكرمة التنازل عن تحصيل تلك المكوس الا بعد أن ضمن صلاح الدين تعويضهم عنها بالأموال والسلع. [٥]

١) سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٣٤ .
٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٠٣ .
٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ .
٤) نفس المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ . الغساني ، العسجد المسبوك ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ . ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٥ .
٥) أبو شامه : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٢٣ . ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٠ . ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ٣٦٩ . الغساني : العسجد المسبوك ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ . السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٨ .

وبعد عصر صلاح الدين أخذ مكثر امير مكة يشعر بحاجته الضرورية الى تثبيت وتقوية مركزه أمام رغبة الخلافة العباسية ، فى الاستبداد بالحكم ومن ثم أخذ يعمل على تكوين جيش نظامى له ، ويبنى القلاع كى يتحصن بها عند الضرورة . الا أنه لم يخرج حتى هذه اللحظة عن طاعة العباسيين والايوبيين . (١)

ثم انقطعت الاعطيات عن بلاد الحجاز كافة بسبب الفتنة التى قامت بين الاشراف من ناحية وبين رغبة كل من الايوبيين وبنى رسول اصحاب اليمن فى السيطرة على بلاد الحجاز ، ومحاولة كل من الفريقين مساعدة الطرف الموالى له من الاشراف . ونتيجة لتلك المعارك الحربية فان مكة المكرمة حسب قول صاحب كتاب " شفاء الغرام " قد قاست فى هذه الفترة من الاهوال والمصائب مالا يوفى حصره وعانت من غلاء المعيشة وقلة الارزاق مما لايطاق . (٢)

ولم تتعرض مكة خلال هذه الفترة المضطربة لقطع الاعطيات عنها ، بل انه فى سنة ٦٣٧هـ و ٦٣٩ هـ أحرق الملك المنصور بن رسول دار الامارة بمكة بما حوته من عتاد وسلاح وظفر باجلاء الايوبيين عن مكة . ولما استقر له الامر ألغى المكوس

---

١) ابن الاثير : الكامل ،ج ١٠ ،ص ٥٧٨ . أبو شامة : الروضتين ،ج ٢ ،ص ١٢٤ . الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢١٤ . السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ص ٢٠٥ .

٢) ابن خلدون : العبر ،ج ٥ ، ص ٢١٢ .
ابن واصل : مفرج الكروب ،ج ٤ ، ص ١٢٢ .
الغسانى : العسجد المسبوك ،ج ٢ ، ص ٤٣٨ ، الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ،ص ٢٣٧ .

والجبايات ثم ولى على مكة المكرمة الحسن بن على بن قتادة الذى اعترف بالطاعة والولاء لصاحب اليمن .(١)

ويبدو أن الاعطيات قد توقفت عن أمير مكة ، لاننا نقرأ فى سنة ٦٤٨هـ يمنع الناس من الخروج بعد أن أغلق أبوابها ولم يسمح لأحد بالخروج منها الا لمن وزن دينارا عن نفسه وعن كل حمل لديه فاعطاه الناس ماطلب . ويقال : ان أمير مكة هذا كان يميل للمذهب الزيدى اذ عين مؤذنا للزيدية واماما خامسا فى الحرم يؤم الزيديه وجعل مقامه أمام الركن اليمانى . وما أقدم على أفعاله تلك الا ليتقرب من امام الزيديه باليمن آنذاك وهو الامام المهدى لدين الله أحمد بن الحسين العلوى .(٢)

ويبدو أن قطع الاعطيات استمر خلال سنة ٦٤٩ هـ أيضا لانه ذكر أن الغلاء فى هذه السنة قد عظم أمره وارتفعت أسعار الخبز والحفظة والماء والتمر والعسل والدهن .(٣)

---

١) وقد سبق التحدث عن ذلك تفصيلا فى الفصل الاول من هذه الرسالة .
انظر ابن الديبع ،قرة العيون ،ج ٢ ، ص ٣٨ .
الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ، ص ٢٣٨ . السباعى : تاريخ مكة ،ج ١، ص ٢١٥ .
٢) الغسانى : العسجد المسبوك ،ج ٢ ، ص ٥٧٩ .
ابن الديبع : قرة العيون ،ج ٢ ، ص ٣٣ . الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ، ص ٢٣٨ .
٣) السمهودى : وفاء الوفا ، ج ١ ،ص ١٣٨ . ابن الديبع : قرة العيون ، ج ٢ ، ص ٣٤ . الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٣٩ .

ولعل هذه الأمور مجتمعة قد دفعت سلطان بنى رسول فى اليمن الى ارسال الأعطيات الى مكة فيقال ان أعطياته تلك شملت كل بيت فى مكة المكرمة وانه اطعم الحجاج فى يوم عرفة ، كما أنه أرسل الغلمان من اليمن الى مكة المكرمة ليقوموا بسقايه الحجاج فى مشاعر الحج وبذلك تكون قد انتهت أعطيات الأيوبيين والعباسيين لبلاد الحجاز . (١)

وهكذا بدأت فترة جديدة من تاريخ بلاد الحجاز حيث سيطر بنى رسول على مقاليد الأمور بها وكان لها أثرها الواضح على الحياة الاقتصادية .

* * *

---

١) المقريزى : الذهب المسبوك ، ص ٦٧ .
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .
دحلان : خلاصة الكلام ، ص ٣٣ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية والعمرانية

طبقات المجتمع الحجازى

يضم المجتمع الحجازى شتاتا من مختلف بلاد العالم الاسلامى لأهميته الدينية عند المسلمين وبالتزاوج فيما بينهم لذا ذاب السكان الأصليون مع هؤلاء المجاورين الذين يفدون اليهم كل عام ، واتصف بقاؤهم بأعمال رئيسية أهمها التجارة وبعضهم جاور من أجل طلب العلم الأمر الذى أدى الى زيادة عدد الغرباء الوافدين زيادة كبيرة وقل عدد سكانها الأصليين تبعا لتضخم المدينة من المجاورين بأعدادهم الكبيرة ويظهر ذلك جليا فى طبقات المجتمع الحجازى آنذاك والتى نوجزها فيما يلى :

١) الأمراء : كان أمراء مكة من أسرة الأشراف الحسنيين من أبناء محمد بن جعفر الحسنى محمد بن سليمان (١) واستمرت هذه الأسرة حتى استطاع أبو هاشم محمد بن جعفر سنة ٤٥٥ هـ أن ينتزع امارتها واستمر حتى سنة ٥٩٧ هـ . وفى تلك

---

١) تتمثل أسرات الأشراف فى بنى سليمان أبناء الحسن بن جعفر الحسنى تولى أمر مكة سنة ٣٥٨ هـ ثم أسرة الهواشم ٤٥٥ هـ وأخيراء أبناء قتادة بن ادريس سنة ٥٩٧ هـ .

انظر : البرادى ، الدرة السنية ص ٢٢ .

مساعد بن منصور ، جدول أمراء مكة ، ص ١٨ .

السنة استطاع أبو عزيز قتادة بن ادريس فعلنا قيام الأسرة الثالثة من أسرات الأشراف . (١)

ولقد اتصف الأشراف بحسن معاملة الأسر المقيمة فى مكة . كما أنهم كانوا يهتمون بسكان البوادى من القبائل ، مما أدى الى استمرارهم فترة طويلة فى الحكم ، فقد كانوا يقومون بزيارة مرضاهم ، والذهاب الى جنائزهم لمشاركتهم فى أحزانهم ، كما كانوا أيضا حريصين وحذرين فى مسائل الخصومات . (٢) فعملوا على تجنب الأحكام القاسية . وكانوا يميلون دائما الى طرق الصلح فى فض المنازعات . ووضعت القوانين لهذا الغرض ، ومما يؤكد ذلك مانلاحظه فى الوثيقة التى وضعها الشريف أبو نمى الأول سنة ٨٥١ هـ ، وتسمى بقانون أبى نمى . (٣)

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٣٦ .
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .
الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٦٧ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٧٠ .

٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .
الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٢٦٢ .
البتانونى : الرحلة الحجازية ، ص ٦٥ .
على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢٠٧ .

٣) الطبرى : الأرج المسكى ، ورقة ٨٥ .
ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٥ .
الفاسى : تحصيل المرام ، ورقة ٨٥ .
الفاسى : العقد الثمين ، ج ٧ ، ص ٤٠ .

٢) سكان مكة الاصليين :

ومن الجدير بالذكر أن سكان مكة الاصليين من قريش ، وبعض القبائل التى استقرت فى مكة نالت من قريش حسن الجوار أما القرشيون الاوائل فقد خرجوا من مكة مع الفتح الاسلامى الى الشام والعراق ،واستقروا فى هذه الامصار ولم يبق من القرشيين الاصليين فى مكة الا العدد القليل أضف الى ذلك بعض العائلات القرشية التى سكنت بوادى مكة والطائف حيث كانوا يشتغلون بالزراعة وخاصة فى وادى الوهط فى الطائف .(١)

٣) المجاورون بمكة :

وهم الذين يأتون مكة من مختلف أقطار العالم الاسلامى مع ركبان الحج فى كل عام وجاوروا البيت الحرام ، ومنهم التجار والعلماء وطلبة العلم ومالبثوا أن استقروا والتحموا بالمجتمع عن طريق المصاهرة واصبحوا يشكلون جزءا منه .(٢)

---

١) الطبرى : الارج المسكى ، ورقة ٩٠ .
ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٦ .
البرادعى : الدرة السنية ،ص ٣٣ .
على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢٠٨ .
باقاسى : بلاد الحجاز ،ص ١١٠ .
٢) الفاسى : شفاء الغرام ،ج ١ ص ٩٨ .
النهروالى : الاعلام باعلام بيت الله الحرام ،ص ٨١ .
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ،ص ١٨ .

ومن المفيد أن نذكر أن المدن فى الحجاز منذ القرن الرابع الهجرى وفـــد اليها تجار مسلمون من بلاد بعيدة مثل الهند والمغرب والاندلس ، واستقروا فى هذه المدن ناقلين اليها منتجاتهم فى أوطانهم . (١) ويؤكد هذا القول وثائق الجنيزه (٢) وما نذكره لنا من كثرة هؤلاء التجار فى هذه الفترة الزمنية . ويؤكد هـــذا القول صاحب كتاب شفاء الغرام (٣) ، حيث يقول :(ان هؤلاء التجار بنـــوا فى مكة أربطة كثيرة أوقفت على سكان هذه الاقاليم وجزء منها خصص لســـكن هؤلاء الحجاج فى أيام الحج) .

٤) أغـاوات الحرميـــن : (٤)

قام هؤلاء الاغاوات بخدمة الحرمين والحجرة الشريفة منذ عهد السلطـــان

---

١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٠٠ .
التبانونى : الرحلة الحجازية ، ص ٥٤ .
حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ٢٠ .
على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢٠٨ .

٢) ربيع : وثائق الجنيزة ص ٢٥ .
باقاس : بلاد الحجاز ص ١١١ .

٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٥_١٠٢ .

٤) الاغاوات : جمع أغا والمقصود بها خدم بيت الله الحرام وخدم الحرم النبـوى الشريف وهم غالبا مايكونوا من الافارقة خصصوا ليكونوا خدما للحرمين .
انظر : الانصارى : تحفة المحبين ص ٥٣ .

صلاح الدين يوسف بن أيوب [١] ومن قبل ذلك أن أمراء مكة والمدينة وولاتهمـــا ومن جاور من الحجاج يقومون بالخدمة فى المسجدين الحرام والنبوى الشــريف ، وهم المسئولون عن النظافة فيهما وأمر الخدمات [٢] حتى تولى السلطان صــلاح الدين أمر بلاد الحجاز سنة ٥٦٨ هـ فأرسل فتيانا من الاحابيش والصقاليـــه وكساهم بملابس بيضاء وعلق عليها اشــارات الخاصة بهم فكان أول سلطان وضـــع قاعدة الخدام فى الحرمين الشــريفين وأوقفت لهم الاوقاف [٣] ، وأهم الوظائــف التى أسندت اليهم المحافظة على المسجد النبوى نهارا وقفل أبوابه وحراستـــه ليلا وكذلك تنظيف القناديل ومسحها وتنظيف المسجد وفرش البساط الخـــاص بالامراء وايقاد البخور للمسجدين وتطييب الكعبة بالعطور. [٤]

---

١) الفاسى : شـفاء الغرام ، ج ١ ص ١١٣ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٣ .
٢) الفاسى : شـفاء الغرام ، ج ١ ص ١٢٣ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٤ .
باقاس : بلاد الحجاز ص ١١٤ .
٣) الانصارى : تحفة المحبين ، ص ٥٤ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٥ .
٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٣ .
السخاوى : التحفة اللطيفة ج ١ ص ٥٠ .
على السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٠٩ .
باقاس : بلاد الحجاز ص ١١٣ .

ويشبه التكوين الاجتماعى بالمدينة نظيره فى مكة من حيث طبقة الاشراف من بنى الحسين بن على علاوة على سكانها الاصليين من الاوس والخزرج ثم قلة من مهاجرى قريش وكذلك المجاورين الذين استوطنوا دار الهجرة واندمجوا مع السكان الاصليين عن طريق النسب يشكلون أكبر نسبة فى عدد السكان . ومن أشهر هذه العائلات بنى مهنى ، وآل الوفاعى ، وآل سفر ، وآل الطيار . ومن هذه الأسر التجار والصناع وطلبة العلم والعلماء الذين جاوروا فى المدينة المنورة .

* *

---

١) السمهودى : وفاء الوفا ،ج ٢ ، ص ٧١١ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ص ٢٠٢ .
التبانونى : الرحلة الحجازية ، ص ٥٤ .

العادات الاجتماعيـــة والدينيـــة

لاهل مكة عادات وتقاليد خاصة بهم فى حالات الوفاة والزواج والـولادة .

ففى الزواج مثلا ، اذا رغب فتى الزواج من فتاة ، يتفق أهله مع أهلهـا على مراسيم الزواج وتقام الولائم للرجال والنساء ليلة الزفاف وكذلك تقـام الافراح والولائم يومين قبلها ويوما بعدها .(١) وفى الوفاة يقيم أهل المتوفى عزاءهم ثلاثة أيام بعد صلاة المغرب يستقبلون المعزين فيها .(٢) أما فـى حالة الولادة فان المولود يغسل بعد ولادته بأربعين يوما ، اذا ينظفونـه ويلبسونه ملابس جديدة بيضاء ولكنها تكون مزركشة بالقصب ويذهبون بـه ويضعونه عند باب الكعبة فى مكة . ثم يذهبون به الى المدينة المنـورة ويدخلونه الحجرة الشريف ويغطونه بستارتها ويدعون له بالخير .(٣)

---

١) أبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٤٤ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٦ .
العياشى : المدينة بين الماضى والحاضر ، ص ١٨٥ .
٢) السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٦ .
٣) ابراهيم رفعت : مراة الحرمين ، ج ١ ص ٢٤٥ .
التبانونى : الرحلة ، ص ١٦١ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٧ .
العياشى : المدينة بين الماضى والحاضر ، ص ١٨٧ .

وكان من عاداتهم أن يقدم كل واحد منهم كل سنة كمية من الحنطـــــة كهدية الى الحجرة الشريفة بعد أن تغسل جيدا ثم يضعها فى كيس جديـــد من القماش ، فاذا وصل الباب المؤدى الى الحجرة الشريفة استغـــاث برسول الله واضعا الكيس بكل أدب . وهذه الاكياس يأخذها خدم الحجرة ، ويقومون بتقديمها الى علماء المسلمين فى فترة الموسم تبركا . (١)

ولأهل المدينة أوقاتهم التى يروحون فيها عن أنفسهم ، فيخرجون للتنـزه فى يومى الثلاثاء والجمعة بعد صلاة العصر ، فيذهبون فرادى وجماعـــات ، ويعودون فى المساء . وبعضهم يخرج من أول النهار حاملا زاده معـــه وهذه النزهة تسمى مقيالا (٢) . بينما يحب المكيون الذهاب الى الطائـــف لطيب هوائها وكثرة مائها ومزارعها (٣) .

---

١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٥٠ .
التبانونى : الرحلة الحجازية ، ص ١٦٧ .
العياش : المدينة بين الماضى والحاضر ، ص ٢٠١ .
السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١١ .

٢) العياش : المدينة بين الماضى والحاضر ، ص ٢٤١ .

٣) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٠٤ .
التبانونى : الرحلة ، ص ٢٦٤ .
السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١١ .

ولقد سبق لنا القول بأن المكيين اشتهروا بتأنقهم فى الملبس وكثرت فـــى ملابسهم الألوان الزاهية • أما الأمراء فكانوا يرتدون ملابس مصنوعة مـــــن الحرير وموشاه بالذهب والفضة (١) ومن المفيد أن تذكر بأن هذه الملابس التى كان يرتديها أمراء مكة هى الخلع المرسلة من الخلفاء الفاطميين لهم ثم صار باقى الأمراء يرتدون هذه الملابس الدالة على الأبهة والعظمة • (٢)

أما طبقة العلماء والمجاورين وطلبة العلم فكانوا يرتدون الملابس المصنوعة من الكتان ويضعون على رؤسهم العمائم ويرتدون الجبة التى تختلف مـــــن شـــخص لآخر حسب ماوصل اليه من درجة علمية • (٣)

ولقد تمتع أهل مكة بفضائل جمة وأفعال جميلة ومكارم وأخلاق حسنـــة وايثار للضعفاء والمنقطعين وحسن الجوار للغرباء فمن مكارمهم أنه متى صنع

---

١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ص ٢٠٣ •
البتانونى : الرحلة ،ص ٢٦٤ •
السليمان : العلاقات الحجازية ،ص ٢١٢ •
٢) المقريزى : الخطط ،ج ٢ ص ٢٨٤ •
ماجد : نظم الفاطميين ،ص ٩٢ـ٩٦ •
السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ص ٢٢٧ •
باقاس : بلاد الحجاز ص ١٢٢ •
٣) البتانونى : الرحلة ،ص ٢٦٥ •
السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ص ٢٢٧ •
السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢١٣ •

أحدهم وليمة يبدأ أولا باطعام الفقراء والمنقطعين المجاورين فيستدعيهم بلطفه ثم يطعمهم (١) وأكثر المساكين يتجمعون بالافران حيث يصنع الناس خبزهم فاذا حمل الواحد خبزه تبعه المساكين فيعطى كل واحد ماقسم له حتى لو كان لديه رغيف واحد فانه يعطى ثلثه أو نصفه لطالبه ،ولايرده خائبا حتى تطيب نفسه من غير ضجر ولاسخط. (٢)

ومن عاداتهم أيضا استعمال الطيب والاكتحال واستعمال السواك بعيدا من الاراك الاخضر. (٣)

* *

---

١) ابن جبير : الرحلة ،ص ٦٧ .
ابن بطوطة : الرحلة ،ص ١٥٧ .
العمرى : مسالك الابصار ،ج ١ ،ص ١٠٠ .
السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ص ٢٢٦ .
٢) ابن بطوطه : الرحلة ،ص ١٥٨ .
ابن جبير : الرحلة ،ص ٦٩ .
السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ص ٢٢٨ .
٣) ابن بطوطه : الرحلة ،ص ١٤٣ .
البتانونى : الرحلة ،ص ٢٦٧ .
السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ص ٢٢٨ .
باتاس: بلاد الحجاز ،ص ١٢٣ .

الاعياد والاحتفالات الدينيـــــــة

لم يعرف المجتمع الحجازى سوى الاعياد الرسمية الدينية التى تمثلت فى عيـــدى الفطر والاضحـى فقد اتسم الاول فى مكة بتزاور أهلها نهارا ولهوهم ليلا وذلـــك بألعاب الشـطرنج وسباق الخيل ومارسوا العابا أخرى على أصوات المزامير وانشادهم أشعارا فى المدح والغزل والهجاء. (١)

أما النساء فيمارسن العابهن فى فترة عيد الاضحى المبارك وفى يوم عرفـــات وأيام التشريق لخلو المدن من الرجال فى هذه الايام ولانشغالهم فى خدمة حجـــاج بيت الله الحرام . (٢) وفى عيد الفطر يحتفلن فى بيوتهن وخاصة فى اليوم الرابـــع منه الذى يعتبر عيد النساء (٣) فيتزاورون ويقدمن الحلوى المصنوعة بأيديهن الـــى بعضهن . (٤)

---

١) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٤ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٤٧ .
البتانونى : الرحلة ، ص ٢٦٨ .
السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٣ .
باقاس : بلاد الحجاز ، ص ١٢٣ .
٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٤٥ .
البتانونى : الرحلة ، ص ٢٦٨ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٨ .
السليمان : العلاقات ، ص ٢١٣ .
باقاس : بلاد الحجاز ص ١١٣ .
٣) السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٨ . السليمان : العلاقات ، ص ٢١٣ .
٤) العياش : المدينة بين الماضى والحاضر ، ص ٢١٧ .

وغدت مكة فى عهد الفاطميين تمارس أعيادا مختلفة اذ اهتم الفاطميون بعيد المولد النبوى الشريف ولقد انتشر الاحتفال بهذا اليوم فى الحجاز كما انتشر عيد مولد السيدة فاطمة رضى الله عنها ومولد السيده خديجة والسيدة آمنة رضى الله عنهما • ولقد احتفلوا بمولد الامام على كرم الله وجهه ومولد ابنيه الحسن والحسين ـ رضى الله عنهما ـ واحتفلوا بيوم عاشوراء واخر أربعاء من شهر صفر • (١)

ومن الواضح أن هذه الاعياد مارسها أبناء خلفاء البيت الفاطمى فى مصر وانتقلت الى بلاد الحجاز الذين مارسوها • ويعود سبب ذلك الى أن الحجاز كان خاضعا لسيطرة الفاطميين فى هذه الآونة ومع كل فلم يكن أهل الحجاز من الشيعة لذلك لم يحتفلوا بأعيادهم مثل عيد الغدير وعيد النيروز وبعض الاعياد التى كانت موضع اهتمام الشيعة • (٢)

---

١) ان ممارسة الحجازيين لمثل هذه الاعياد انتهى بانتهاء العصر الفاطمى ولم يبق منها سوى الاحتفال بعيد المولد النبوى الشريف الذى يتدارسون فيه السيرة النبوية ومناقب الرسول عليه الصلاة والسلام أما باقى أعياد الشيعة فلم تمارس فى مكة بالرغم من السيطرة السياسية عليها من قبل خلفاء الدولة الفاطمية •

انظر: الفاسى : شفاء الغرام ، جـ ١ ص ٨٥ ـ ٩٠ •
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ١٣ ـ ٢٨ •
النهروالى : الاعلام باعلام بيت الله الحرام ، ص ٢٢ •
ماجد : ظهور الفاطميين فى مصر ، ص ٣٢٥ ـ ٣٣٠ •

٢) ماجد : ظهور الفاطميين ، ص ٣٣١ •

ومن المحتمل أن تكون هذه الاعياد ممارسة من قبل الشيعة القاطنين ببلاد الحجاز فيما بينهم ، ولم تنتشر فى بلاد الحجاز انتشارا عاما . وسبب انتشار هذه الاعياد أن أمراء الحجاز هم من أبناء الحسن والحسين لذا فقد ساعدوا على رواج هذه الاعياد .(١)

كما أن هناك أعيادا احتفل بها أمراء مكة والمدينة وهو الاحتفال بأول يوم من الشهر . اذ يخرج أمير مكة مع كبار رجال الدولة يرتدون الملابس البيضاء ثم يصلون عند مقام ابراهيم ركعتين ثم بعد ذلك يقومون بتقبيل الحجر الاسود ثم الطواف بالبيت سبعا ثم يرتفع صوت رئيس المؤذنين بأعلى قبة زمزم مرددا عبارات الدعاء للأمير مهنئا اياه بدخول الشهر ثم يرفع صوته بالدعاء مبتدئا بقوله " صبح الله مولانا الأمير بسعادة دائمة ونعمة شاملة " ثم يتابع الدعاء بتبريك الشهر بعبارات مسجوعة مكللة بالدعاء والثناء مختتما قوله بأبيات فى مدح الأمير(٢) . كما يحتفل فى الحجاز بظهور هلال شهر

---

١) السخاوى : التحفة اللطيفة ،ج ١ ص٥٣ . ابن جبير : الرحلة ، ص ٧١ .
ابن بطوطه : الرحلة ،ص ١٥٣ . السليمان : العلاقات الحجازية ،ص ٢١٣ .

٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٣ . ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٤ .
الانصارى : تحفة المحبين ص ٥٨ . السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢١٤ .
البتانونى : الرحلة الحجازية ، ص ٥٣ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ص ٢٤٢ .

رجب لأن الحجازيين يعتبرونه من الشهور المباركة وهو أحد الأشهر الحرم .(١)

ويؤكد لنا ابن جبير(٢) أن أهل مكة يعتبرون العمرة في شهر رجب تساوي الوقوف بعرفة لذا فانهم يحتفلون بهذا الشهر احتفالا عظيما ويصف موقف المكيين حينما يدخل عليهم شهر رجب فيقول : كان ذلك في ليلة الخميس ، فخرج أهل مكة في تلك الليلة الى التنعيم ميقات المعتمرين وكل يتأنق ويحتفل قدر استطاعته وترى الهوادج تنتشر في بطاح مكة وشعابها وتحتها الابل قد زينت بأبهى أنواع الزينة وبعد قضاء العمرة يذهب أهل مكة للسعي بين الصفا والمروة ، فيزدحم المسعى بالساعيات على هوادجهن والساعين وفي ذلك يتلألأ المسجد الحرام بالأنوار .
وعند ثبوت رؤية الهلال لدى الأمير يأمر بضرب

---

١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٨ .
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٥ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .
البتانوني : الرحلة ، ص ٢٦٧ .
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .
٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٠ .

الطبول والربادج والأبواق اشعارا بأنها ليلة الموسم (١) وبعد أن ينهوا مشاعر العمرة يخرج أهل مكة فى نهار اليوم من شهر رجب يخرج جميعهم حسب مراتبهم حاملين أسلحتهم ممتطين خيولهم ومنهم من يلعب بالأسلحة فيمضون ذلك اليوم فرحا ولعبا ويظهرون فنونا من ألوان الحرب والدفاع عن النفس ولاتزال هذه الألعاب متداولة حتى يخرج الأمير اليهم فيستمرون فى اللعب معه ويستمرون فى السير معه بالركبان حتى يصلوا الى المسجد الحرام فيطوف الأمير بالكعبة ثم يصلى عند الملتزم ويخرج من باب الصفا الى المسعى ومن المتعارف أن عمرة رجب يمارسها سكان الحجاز عامتهم طوال شهر رجب وتستمر الاحتفالات فى مكة بالعمرة فى الليل والنهار فى هذا الشهر. (٢)

وفى اليوم السابع والعشرين من شهر رجب يحتفل أهل الحجاز

---

١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٢ .
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٧ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ص ٢٤٩ .
البتانونى : الرحلة ، ص ٢٧٠ .
السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ص ٢٢٩ .
٢) ابن جبير : الرحلة ،ص ١٠٢ .
ابن بطوطة : الرحلة ،ص ١٦٠ .

احتفالا عظيما • ويعتمرون فى هذه الليلة ، ويسمون العمرة فيها عمرة الاكمة (١) لانهم يحرمون فيها من أكمة مسجد عائشة رضى الله عنها والاصل فى هذه العمرة أنهم يحتفلون ببناء البيت زمن عبد الله بن الزبير • (٢)

ويقال بأن هذه الليلة ليلة الاسراء والمعراج ، وبقيت هذه العمرة سنة متبعة عند أهل مكة • وبعض المكيين يذهبون الى المدينة وبعض المدنيين يذهبون الى مكة

ويحتفلون ليلة السابع والعشرين من شهر رجب يفتح بيت الله الحرام للنساء خاصة فتحتفل نساء مكة فى هذا اليوم ويسمون ذلك اليوم يوم الزينة المشهور عند نساء مكة (٣)

وتعتبر ليلة النصف من شهر شعبان المبارك من الليالى التى يحتفل فيها

---

١) الاصل فى هذه العمرة نسبة الى أن ابن الزبير أكمل بناء الكعبة فى هذه الليلة وخرج ماشيا حافيا معتمرا حتى وصل الى الاكمه والاكمة هى ثنيته الحجون الذى دخل منه الرسول صلى الله عليه وسلم حينما فتح مكة كما أن هذه الليلة هى ليلة الاسراء والمعراج لذا فهم يحتفلون بها •
انظر : الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٨٧ •
النهروالى : الاعلام ، ص ٨٣ •
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ٧٠ •

٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٣ •
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦١ •
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٣٠ •

٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٤ •
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٧٠ •
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٧٤ •
البتانونى : الرحلة ، ص ٢٦٩ •
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٣٢ •

أهل الحجاز فيتسابقون فى هذه الليلة الى أعمال البر والخير كما أن بعض المكيين يذهبون للاعتمار فى هذه الليلة ، وبعضهم يتجمع فى المسجد الحرام لقراءة القرآن الكريم والطوف والصلاة جماعات وفرادى وفى هذه الليلة يقرأون سورة يس (١) .

ولقد استمرت هذه العادة الدينية حتى زمن سلاطين المماليك ويذكر لنا ابن بطوطة (٢) أن هذه الليلة من الليالى العظيمة عند أهل مكة اذ يبادرون فيها الى أعمال البر من الطواف والصلاة والاعتمار ويجتمعون فى المسجد الحرام على شكل جماعات لكل جماعة امام . ويوقدون السرج والمصابيح والمشاعل . ويقابل ذلك ضوء القمر يتلألأ فى الأرض والسماء ويصلون مائة ركعة يقرأون فى كل ركعة أم القرآن . وسورة الاخلاص يكررونها عشرا وبعض الناس يصلون فى الحجر منفردين وبعضهم يطوف بالبيت الشريف وبعضهم يخرج للاعتمار .

---

١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٤ .
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٥ .
العمرى : مسالك الابصار ، ج ١ ص ٨٨ .

٢) ابن بطوطة : الرحلة ص ١٦٦ .

ومن المعلوم أن سكان الحجاز يحتفلون بهلال شهر رمضان المبارك فيضربون الطبول عند باب أمير مكة ويبدأ الاستعداد للاحتفال فى البيت الحرام فتجدد فيه الحصر ويكثرون من ايقاد الشمع والمشاعل حتى يتلألأ المسجد الحرام نورا وتقام فيه صلاة التراويح ومن عاداتهم الافطار فى الحرم المكى فى شهر رمضان .(١)

ويحسن بنا القول أن نذكر بأنه فى مطلع القرن السادس الهجرى أقيم فى الحرم المكى المقامات الاربعة : الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى ، واتخذ كل مذهب من المذاهب ناحية من نواحى المسجد الحرام فالشافعية اتخذت لها الناحية الشرقية من المسجد والاحناف والحنابلة الناحيتين الغربية والشمالية أما المالكية فقد اتخذت الركن اليمانى مقرا لها . وبعد ذلك انشىء مقام الزيدية وجعل الركنين ويقوم كل امام فى صلاته بجماعته المعتنقين مذهبه .(٢)

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٦ .
القاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٢٤١ .
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٧ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .
٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٦ .
الفاسى : تحصيل المرام ، ورقة ٨٦ .
الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٢٧٨ .
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٢٤٣ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٣٢ .

ويذكر لنا ابن جبير (١) أن عامة الناس بمكة كانوا يعتنقون المذهب الشافعي أما الأمراء فغالبا اعتنقوا المذهب الحنفي • وكثيرا ماكان يحدث الخلط بينهم فرفع أصوات الأئمة يؤدى الى عدم سماعهم من قبل المصلين وربما يحدث الخلط بين المصلين فيركع المالكى بركوع الشافعى ويسجد الحنفى بسجود الحنبلى وظل الحال على هذا المنوال الى أن صدر أمر السلطان الناصر فرج المملوكى سنة ٨١١ هـ بأن يصلى الشافعى بالجميع • (٢)

ومن المعلوم أن العشر الأواخر من رمضان أن يحيا كل وتر منها كل ليلة ففى الليلة الحادية والعشرين يختم أبناء مكة القرآن ويحضر هذه الليلة القاضى وجماعة من العلماء وبعد أن يفرغ الصبية من القراءة يقوم بعضهم لالقاء خطبة فى الجالسين وعلى والد الصبى أن يقوم بعمل وليمة لهؤلاء الحضور فى منزله (٣) وفى الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان يختم القران أيضا

---

١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٤ : ١٠٧ •

٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٧٠ •

٣) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٧١ •

من قبل هؤلاء الغلمان ويختار من بينهم غلام ويقوم والده بالاحتفال بالجلوس ويحضر لهم جميع الفواكه الموجودة فى البلد رطبة أو مجففة مع القيام بعمل الحلوى المصنوعة بأيديهم ويوقد الشمع ويؤم الطفل المصلين فى صلاة التراويح مرتديا أفخر ثيابه مكتحل العينين مخضوب الكفين الى الزندين ويعمل له منبر من الخشب يصعده لتلاوة القران ويقوم المدرس بالقاء خطبة يلهب بها أفئدة السامعين لتذكيرهم وحثهم ثم يسكت الخطيب حتى يفرغ الغلام من قراءة القران ثم يختتم الخطيب خطبته ذاكرا فيها البيت العتيق مذكرا الناس بمآثر البيت مشيرا الى توديع الشهر المبارك والدعاء للخليفة وللأمير.(١) وفى الليلة الخامسة والعشرين يحضرون غلاما يقارب الغلام الاول سنا ويحضرون الشموع والفواكه الموجودة آنذاك ويزينون الحطيم بقناديل الشمع

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ،ورقة ٢٥٦ .
القاسى : تحصيل المرام ، ورقة ٩٠.
ابن جبير : الرحلة ،ص١٠٨.
ابن بطوطة : الرحلة ،ص ١٦٣ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ص ٢٩٨ .
البتانونى : الرحلة ،ص ٤٢ .

المختلفة ويعمل محراب ومنبر من الخشب يحيطونه بالشمع ويحتفل الناس بشهادة هذا المنبر ويعتبر هذا الاحتفال الثالث من العشر الأواخر ويصلى بهم الصبى صلاة التراويح ثم يخرج من محرابه الى المنبر مرتديا أفخر الثياب ويسلم على الحضور ويخطب فى الناس بسكينة ووقار خطبة أبلغ من خطبة سابقة وبعد الانتهاء منها توزع الأطعمة على الحضور أو يذهبون الى منزل والد الغلام لتناول الطعام .(١)

ومن أعظم ليالى الوتر عند المالكيين ليلة السابع والعشرين من رمضان اذ يحتفلون بهذه الليلة أكثر من احتفالهم بالليالى السابقة اذ يختتم فيها القرآن الكريم ويقام الاحتفال قرب مقام الشافعية وينصب فيه الخشب حتى الحطيم وتبسط الأطباق الصفراء حيث تعلق فى الهواء

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ،ورقة ٢٥٧ .
الطبرى : الأرج المسكى ، ورقة ٨٠ .
الفاسى : شفاء الغرام ،ج ١ ، ص ٢٤٢ .
ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٩ .
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٧٤ .

بواسطة سلاسل مربوطة بنصب الخشب وتوقد الشموع وتشعل المصابيح وقناديل الزجاج فيبدو المنظر وكأنه موائد ذات أرجل مشتعلة بالأنوار ويوقدون الشموع أيضا أعلى قبة زمزم (١) ويضعون صبيان مكة على شرفات الحرم . ويضعون في هذه الشرفات المشاعل ويتبارى الأطفال في سرعة ايقاد هذه المشاعل فيتبادر للناظر أن النار تشب من شرفة الى شرفة لاختفائهم وراء الأضواء ويرفع الأطفال أصواتهم قائلين : يارب يارب بصوت واحد (٢) فيتقدم القاضي فيصلي بالناس صلاة العشاء قارئا سورة القدر ويكون باقي الأئمة قد ختموا القرآن في الليلة السابقة وتقام الصلاة خلف امام واحد ثم يدعو بهم دعاء ختم القرآن ثم يخطب فيهم خطبة يذكرهم فيها بأهمية ليلة القدر ثم يختم خطبته بالدعاء للخليفة والأمير ويسلم

---

١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٤ .
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٧ .
السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ١ ص ٦٣ .

٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٩ .
السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٥٨ .
الانصارى : تحفة المحبين ، ص ٦٠ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .
التبانونى : الرحلة الحجازية ، ص ٢٦١ .
على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢٢١ .

عليهم ويحتفلون بليلـــة التاســع والعشــرين من رمضان بايقاد الشــموع والمشــاعل ويكثر اشعال الشــمع فى هذه الليلة ثم يجتمع الائمة الخمسـة يتدارسون علوم القرآن ومعهم الصبية يستمعون الى هذه المناظرة. (١)

وماكان يحدث فى مكة كان يحدث فى المدينة المنورة وفى الطائـــف ونلاحظ أن الحجاز يختلف عن باقى أمصار الدولة الاسلامية فـــى احتفالاته واحيائه وقراءة قرآنه. (٢)

ومما يجدر ذكره فى هذا المجال أن شـهر شوال يعتبر عند أهـــل مكه هو أول أشهـــر الـحج المعلومات فيحتفلون بعيد الفطر المبارك. ومن المعروف أن أيام العيد هى أربعة أيام ثلاثة منها للرجال ويـــوم للنساء ثم بعدهـــا يستعد سكان مكه لاعمال الحج ومايقدمونـــه

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى، ورقة ٢٥٨ .
الطبرى : الأرج المسكى ، ورقة ٨١ .
ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٩ .
ابن بطوطة : الرحلة، ص ١٧٤ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ،ص ٢٠٢ .
البتانونى : الرحلة ، ص ٥٨ .
السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ، ص ٢٣٤ .
٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ، ص ٢٠٣ .
العياشى : المدينة بين الماضى والحاضر ، ص ١٥٤ .

من خدمات للحجاج في أشهر الحج وأمكنة المشاعر وتوفير السكن للحجاج في مكة المكرمة لاستقبال أعظم عيد عند المسلمين وهو عيد الأضحى المبارك الذى يسبقه يوم عرفه فيفد الى مكة لأداء النسك وفود الحجاج من جميع أمصار الدولة الاسلامية لأداء الركن الخامس من أركان الاسلام .(١)

* * *

١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٦٩ .
الطبرى : الأرج المسكى ، ورقة ٧٨ .
الطبرى : القرى لقاصد أم القرى ، ص ٢٣ .
ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٧٥ .
الجزيرى : درر الفوائد ،ص ٢٨٦ .
ياقاس : بلاد الحجاز ،ص ١١٨ .

الملابس والاطعمة والاشـــــربة

لقد عرف الحجاز فى هذه الحقبة الزمنية لهذا البحث الوانا مختلفة مـــــن الالبسـة فقد صنعت ثياب من الحرير والكتان وانواع أخرى من الثياب تتــلالأ اذا انعكست عليها أشعة الشمس وأنواع أخرى من العمائم المزركشة بما يشـــبه القصب وانتشر لباس الجبة ٠ (١)

ومن المفيد ذكره أن سيطرة الفاطميين على الحجاز أدى الى انتشـــــارها وأن خلع الفاطميين التى كان يمنحها الخلفاء للوزراء كانت ترسل من مصـــر لامراء مكة والمدينة فى الاعياد والمناسبات وهذه الخلع كانت تطعم بالذهب والفضة وكثرة ألوانها الزاهية ٠ كما أن هذه الثياب الموشاة بالطرز الفاطميـــــة انتشـرت بين سكان مكة والمدينة ٠ (٢)

---

١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤٩ ٠
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١١٤ ٠
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ، ص ٢٠٦ ٠
البتانونى : الرحلة ، ص ٢٩ ٠
السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٥ ٠
٢) ماجد : نظم الفاطميين ،ج ١ ، ص ١١١ ٠

ولقد طورها التجار من المكيين بسبب اختلاطهم بتجار الهند فان الطرز أصبحت تختلف عن طراز الفاطميين بما أدخلوه من تغيير من الطرز الهندية . واستمرت هذه الثياب الموشاة طيلة العصر الايوبى .(١) أما العلماء وطلبة العلم والمجاورون فقد كانوا يرتدون ثيابا وجببا مصنوعة من الكتان وغالبا ماكانوا يرتدون عمائم سوداء .(٢)

ومن عاداتهم فى الطعام والشراب فان الحجازيين يقومون بتقديم الشاى تحية للقادمين عليهم . كما أنهم يقيمون الحفلات ويتفاخرون بتقديم أصناف الطعام المختلفة فى شكلها وطعمها ولقد تنوعت الاطعمة فى الحجاز فمنها الهندى والشامى والمصرى والخراسانى وتقدم هذه الاطعمة فى الولائم على سحط تمر على الارض .(٣)

---

١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ص ٢٠٥ .
التبانونى : الرحلة ، ص ٥٠ .
السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ص ٢٣٤ .
السليمان : العلاقات الحجازية ،ص ٢١٤ .
باقاس : بلاد الحجاز ،ص ١٢٣ .

٢) البتانونى : الرحلة ،ص ٥١ .
السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ص ٢٣٥ .
باقاس : بلاد الحجاز ،ص ١٢٤ .

٣) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٠٦ .
البتانونى : الرحلة ،ص ٥٢ .
السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ص ٢٣٥ .
السليمان : العلاقات الحجازية ،ص ٢١٥ .
باقاس : بلاد الحجاز ،ص ١٢٤ .

المنشآت الاجتماعية بمكة والمدينة

أ - المنشآت الاجتماعية بمكة :

تتمثل هذه المنشآت في حفر الآبار وبناء العيون والاربطة واقامة السبل وانشاء البرك وهذه المنشآت هي :

الآبار :

بئر زمزم : كان العرب في الجاهلية يتبركون بمياه زمزم واستمر ذلك على مر العصور منذ زمن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، ولاريب في ذلك فماء زمزم من المياه المباركة المفيدة للانسان الدواء الشافي لما يشكون منه من أمراض[١] ولقد قام بأمر سقاية الحجاج من مياه زمزم في العصر الجاهلي العباس ابن عبد المطلب ثم أقر هذا العمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة وقد استمر عمل السقاية في البيت العباسي حتى زوال الخلافة

---

١) الازرقي : أخبار مكة ، ج ٢ ص ٥٣ .
الطبري : القرى لقاصد أم القرى ، ص٤٤٣ .
الفاسي : شفاء الغرام ،ج ١ ص٥٨ .

الأموية ثم استمرت بعد ذلك فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور سنة ١٣٨ هـ الى آل الزبير بن العوام (١) واستمر أمر السقاية حتى الوقت الحاضر على أيدى هذه الأسرة التى لم تهمل خدمتها بل قامت بخدمات كثيرة اذ أمر الخليفة أبو العباس السفاح ببناء حجرة بجوار زمزم لمن يتولى أمر السقاية منها (٢) ولقد أقيمت على بئر زمزم قبة عام ١٣٨ هـ مع زيادة عدد البرك داخل الحرم وذلك تسهيلا لسقاية الحجاج وتجنبا لازدحامهم على حوض واحد وفى سنة ١٧٣ هـ أقيمة مظلة المؤذنين فوق بئر زمزم بجوار القبة التى شيدت سابقا وزيد عدد البرك أيضا وذلك فى عهد هارون الرشيد من أجل السقاية واحضر خمسين من الغلمان الخراسانيين فى نفس السنة لسقاية الحجاج من ماء زمزم فيما بين الصفا والمروة (٣)

---

١) تولت أسرة الزبير بن العوام أمر السقاية بأمر من الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور وكانوا يتولون أمر التوقيت للأذان فى مكة ، لذا أطلق اليهم بيت الريس نسبة الى رئاستهم للتوقيت .

انظر : الازرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ص ٥٥ .

الفاكهى : المنتقى ، ص ٨٣ .

ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٤٣ .

٢) الازرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ص ١٠٧ .

٣) المصدر السابق : ج ٢ ص ١١٠ .

كذلك بنيت قنوات بأمر الخليفة المعتصم عام ٢٢٠ هـ وذلك لايصال مـــاء زمزم بالبرك الكائنة بالمسجد ولقد هفت نفسه الى نقش جدران حجـــرة السقاية بالفسيفساء ووضع الرخام فى أرض زمزم والشباك الحديدى فوقهـا ثم أصلحت البرك التى تصدعت داخل الحرم فى عهد الخليفة المتوكـــل على الله وذلك فى عام ٢٤٠ هـ وجددت مظلة المؤذنين فوقها . (١)

وفى عهد المهتدى بالله جدد بناء البرك داخل الحرم وبنى بـــاب حديدى على زمزم يغلق ليلا بعد صلاة العشاء ويفتح مع صلاة الفجر وتم هذا فى عام ٢٥٦ هـ . (٢)

وبعد هذه الفترة الزمنية لم تذكر لنا المصادر التاريخية خدمـــات أو اصلاحات سوى ماقدمه الخلفـاء والامراء من أعطيات لمن يتولـى السقايه بمكة المكرمة .

---

١) الازرقى : أخبار مكة ،ج ٢ ص ١١٢ .
الفاسى : العقد الثمين ،ج ١ ص ١٧٠ .
٢) الفاسى : العقد الثمين ،ج ١ ص ١٧٣ .

الآبــار فى مكــة :

١) بئر العجـــول :

حفرها كلاب بن مرة وجعلها لسقاية الناس وتقع هذه البئر عند باب الوداع فى دار أم هانىء ولهذه البئر أهميتها بالنسبة للحجاج حيث يتزودون منها الماء حينما يدخلون مكة .(١)

٢) بئر بنــر:

تقع فى أعلى مكة حفرها قصى بن كلاب وجدد بناءها جبير بن مطعم بـــن عدى بعد أن طمرت وهذه البئر ظل يستقى الناس منها حتى زمن المماليك .(٢)

٣) بئر بــذر:

حفرها هاشم بن عبد مناف واختلف المؤرخون حول من قام بحفرها فيقــول ياقوت ان الذى حفرها هو عبد الدار (٣) ويروى البلاذرى أن الذى حفرها هو قصى ابن كلاب (٤) بينما يذكر الازرقى أن الذى حفرها عبد المطلب بن هاشم وهو

---

١) الازرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ص ٢١٥ .
٢) الازرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .
الفاسى : شــفاء الغرام ، ج ١ ص ١٦٨ .
البلاذرى : فتوح البلدان ، ج ١ ص ٥٧ .
٣) ياقوت : المعجم ، ج ٣ ص ٣١٨ .
٤) البلاذرى : فتوح البلدان ، ج ١ ص ٥٨ .

أرجح الآراء وأصلح على تسميتها أخيرا باسم بئر الحمام .(١)

٤) بئر سجلة أو بئر بنى نوفل :

وتقع بين الصفا والمروة وقد أعطاهما عبد المطلب لمطعم بن عدى لانشغاله بسقاية الحجاج من بئر زمزم .(٢)

٥) بئر طـوى :

تشتهر بعذوبة مائها وخصصت لسقاية الحجاج وسكان مكة لوقوعها في مدخلها وقد حفرها عبد شمس بن عبد مناف .(٣)

٦) بئر خم ورم :

حفرتا أيضا بواسطة عبد شمس وجعلها لسقيا أهل مكة والحجاج وحفرهما بعد أن انتاب مكة عصر الجفاف .(٤)

---

١) الازرقى : أخبار مكة ،ج ٢ ص ٢١٧ .
٢) الازرقى : أخبار مكة ،ج ٢ ص ٢١٧ .
القاسى : شفاء الغرام ،ج ١ ص ١٦٨ .
٣) هذه البئر موجودة حتى الوقت الحاضر يقصدها الحجاج ويتوضأون بمائها من أجل التبرك بها وهى ضمن أوقاف عائلة السيد فضل عقيل وهم من أبناء الحسين بن على رضى الله عنه .
انظر البلاذرى : فتوح البلدان ،ج ١ ص ٥٨ .
٤) الازرقى : أخبار مكة ،ج ٢ ص ٢١٩ .

٧) بئر الجفر:

حفرها أمية بن عبد شمس لسقاية أهل مكة وتقع بطرف أجياد قرب البيمارستان المستنصرى وحينما تعطلت هذه البئر سنة ٦٢٣ هـ أمر الخليفة العباسى باصلاحها. (١)

٨) بئر السنبلة :

تشتهر بعذوبة مائها وتقع بأسفل مكة وسميت ببئر النبى - صلى الله عليه وسلم - وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم - بصق فيها حتى اصطلح على تسميتها أخيرا ببئر التفلة. (٢)

٩) بئر السيرة :

كان يشرب منها سكان مكة لغزارة مائها بعد سقوط الأمطار. (٣)

ومن المفيد أن نذكر أن هذه الآبار قد حفرت فى العصر الجاهلى ولما تم للرسول - صلى الله عليه وسلم - فتح مكة اصلح هذه الآبار وجدد

---

١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٧٤ .
٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ج ١ ص ٥٩ .
٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٧٤ .

بعضها واشرف على اصلاحها عتاب بن اسيد والى مكة . واهتم الخلفاء الراشدون والأمويون الذين ساروا على نهجهم بتوفير المياه واصلاح هذه الآبار. (١)

ومع بداية مطلع القرن الخامس الهجرى نشطت بناء الأربطة فى مكة بواسطة التجار والأمراء الذين اهتموا ببنائها وحفر الآبار بداخلها لتوفير المياه لسكانها حتى أننا نجد فى شرط الوقفية ذكر لكلمة سبل التى يذكرها المؤرخون فى شرط وقفية الرباط أو المدرسة . وفى هذا دلالة واضحة على استمرار حفر الآبار فى بعض هذه الأربطة .

* *

---

١) السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ص٥٣ .

العيـــــــــو ن

عين شــعب الاريْن : أُمر الخليفة معاوية بن أبى سفيان واليه على مكـــة عام ٤٣ هـ باجراء عين تستمد ماء ها من عين قديمة بشعب الاريْن ومد قنـــوات منها لايصال مائها الى المساكن المجاورة للحرم حتى لايعانى الحجاج صعوبـة فى حصولهم على الماء . (١)

ويعتبر هذا الصنيع من حسنات معاوية التى قدمها لسكان قلة .

عـين الرشــــا :

أجريت فى عهد هــارون الرشـــيد وتقع فى أعلى مكة داخل شـــعب الخرمانية . وقد أمر الخليفة بايصال قنوات من هذه العين الى قنـــــوا ت معاوية . (٢)

وقد استفاد سكان مكة والحجاج معا من هذه العيون ، ومما تجدر الاشـــارة اليه أن الخليفة هارون الرشـيد قد دفع أموالا لاصْحاب عين الرشا لشرائهـا

---

١) الازْرقى : أخبار مكة ،ج ١ ص ٢٢٥ .
الفاكهى : المنتقى ،ص ٦٠ .
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٢٤٦ .
٢) الفاسى : شـفاء الغرام ،ج ١ ص ٢٤٧ .

منهم ليستفيد أهل مكة وحجاجها من مائها [١]، ويعتبر هذا من أهم الخدمات التى قدمها الرشيد لسكان مكة والوافدين اليها.

عين حنين :

بعد أن تعرضت الآبار المحيطة بمكة لموسم الجفاف استغل أهل مكة الموقف لصالحهم وبدأوا فى احضار المياه من خارج مكة وبيعها للحجاج حتى بيعت الراوية بعشرة دراهم [٢]، وفى هذه السنة ١٩٣ هـ حجت السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد وشاهدت معاناة الحجاج فى الحصول على الماء فأمرت والى مكة بدراسة مصادر المياه وكيفية وصولها الى مكة وبعد أن أجريت هذه الدراسة تبين أنه لايمكن دخول ماء الحل الى الحرم بسبب صعوبة جغرافية مكة وخاصة المنطقة المحيطة بالحرم، لذا رأى والى مكة والصناع زيادة حفر الآبار داخل الحرم ولم تقتنع السيدة

---

١) الفاسى : شفاء الغرام، جـ ١ ص٣٤٧.
الفاكهى : المنتقى ، ص٦٦.

٢) الازرقى : أخبار مكة ،جـ ٢ ص٢٢٧.
الفاكهى : المنتقى ،ص٦٧.

زبيدة بهذه الدراسة فأوفدت من بغداد المهندسين والصناع وألزمتهم بضرورة ايصال مياه عيون الحل الى داخل الحرم ، وأظهرت الدراسة أن هنـاك عيونا خارج الحرم منها عين حنين ، وعين وادى النعمان يمكن الاستفادة منهما فى سقاية أهل مكة وأمكنة المشاعر . (١)

فأمرت السيدة زبيدة ببناء قناة يجرى فيها الماء محترفة الجبال والسهول وأقامت على قمم الجبال بركا مختلفة لاستقبال مياه الأمطار وايصالهـــا بالقناة الرئيسية لمجرى العين حتى كثرت المياه ولم يعد للناس شكوى من نقص الماء وبنت السيدة زبيدة البرك المختلفة على امتداد مجرى القناة حتى وصل الماء الى الحرم بالاضافة الى بناء الباذانات فى كل حى مـــن أحياء مكة من أعلاها حتى الحرم . (٢)

ولقد أنفقت السيدة زبيدة فى سبيل ذلك أموالا طائلة وأوصلت بعض

---

١) المسعودى : مروج الذهب ، ج ٤ ص ٤٢٢ .
الفاكهى : المنتقى ، ص ٧٠ .
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٤٧ .
عبد القادر ملا قلندر : الخلاصة المفيدة ص ٨ .
٢) الفاكهى : المنتقى ص ٧٢ .
ملا قلندر : الخلاصة المفيدة من ص ١٠ ـ ١٢ .

الآبــار القديمة التى تقع فى طريق مجرى القناة الرئيسية واشترت عيونا كثيرة مثل عين ميمونة ، وعين الصرفة ، وعين ثقبة ، وعين الخريبات وأوصلتها جميعـا فى قناة واحدة بعين حنين وأمرت بعمل البرك حول الحرم (١)، ومن المفيـد أن نذكر فى هذا المقام أن توفير المياه فى مكة المكرمة يعتبر من أهم الخدمات الـتى قدمتها السيدة زبيدة زوج هارون الرشـيد وهذا المشـروع لازال باقيا حتى الوقت الحاضر يحمل اسمها على مر العصور التاريخية (٢)، كما أن الدراسـة الحديثة عن توفير المياه فى مكة لم تتوصل لمعرفة مصدر جديد للحياة سـوى اضافة عيون لهذه العين التى اعتمد عليها مشـروع السيدة زبيدة .

وفى سنة ٢٥١ هـ تعطلت مياه عين حنين فى احدى بركها ، فأخبر والى مكـة الخليفة المعتز بن المتوكل العباسى بهذا الخراب الذى حدث لهـذه العين فأرسل له أموالا لاصلاحها فتم اصلاحها وأضيف اليها عدة آبـار

---

١) ملا قلندر : الخلاصه المفيده ص ١٥ .
محمد رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢١١ .
محمد أنور شكرى : لوحان أثريان ص ٤٠ .

٢) ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص ١٧٨ .
ابن الفلاح الحنبلى : شذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٢ .
الفاكهى : المنتقى ص ٧٦ .

لتغذية المجرى الأساس للعين [١] حتى زاد منسوب الماء وفى سنة ٢٧٠ هـ تعطلت بعض الباذانات فى مكة بسبب دخول الاتربة الى المجرى الاصلى للعين مما أدى الى تصدع القناة الاساسية لمجرى العين فأرسل والى مكة الى الخليفة العباسى المعتمد بالله تخبره بما حدث للعين من خراب فأرسل الخليفة اليه الاموال لاصلاح القناة التى تعطلت والباذانات وأمره بتعيين رجال لحراسة قناة ماء العين والاشراف على نظافتها من ترسب الاتربة فى قناتها فقام والى مكة بتعيين الحراس وأشخاص يهتمون بتنظيف مجرى القناة من الاتربة ولاخبار والى مكة لو حدث خراب فى العين . [٢]

ومن المعلوم أن أمكنة المشاعر كانت تتزود بمياه الابار ، ففى عرفة أربع آبار [٣] وفى المزدلفة مثلها [٤] وبمنى خمس عشرة بئرا وهذه الابار منها ماحفر

---

١) الازرقى : اخبار مكة جـ ٢ ص ٢٥٨ .
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٩٢ .

٢) الصباغ : تحصيل المرام ورقة ٢٣٢ .
الازرقى : أخبار مكة ، جـ ٢ ص ٢٣١ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، جـ ١ ص ٢١١ .
ملا قلندر : الاحوال المفيدة ص ١٦ .

٣) الازرقى : أخبار مكة ، جـ ٢ ص ٢٣١ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٤٥ .

٤) الازرقى : اخبار مكه جـ ٢ ص ٢٣١ .
الفاسى : شفاء الغرام ، جـ ١ ص ٢٤٤ .

بأمر من الخلفاء الراشدين ومنها ماحفر بأمر من خلفاء الدولة الأموية ، ومنها ماحفر بأمر من خلفاء الدولة العباسية الأوائل .(١)

وفى سنة ١٩٢ هـ نقصت مياه الآبار فى أمكنة المشاعر وأصاب الحجاج عطش شديد حتى بلغت راوية الماء عشرة دراهم وعلمت السيدة زبيدة بما عاناه الحجاج وقد سبقت الاشارة لما قامت به السيدة زبيدة فى هذا المجال آنفا وتبعا لذلك مدت عين وادى النعمان الى أمكنة الشاعر وبنيت القنوات من هذا الوادى حتى جبل الرحمة فى عرفة فى جوف الأرض ، وبنيت لها برك فى غرفة لتصب قناة العين فيها ثم تسير هذه القناة مع سفوح الجبال الممتدة حتى مزدلفة فى قناة محكمة حتى تصل الى المفجر قرب منى وتنتهى هذه القناة عند بئر زبيدة لتصب فيه لسقاية الحجاج فى أيام منى .(٢)

ومن المفيد أن نذكر أن بناء هذه القناة يعبر عما وصل اليه الفن المعمارى

---

١) ملا قلندر : الخلاصة المفيدة ص ٢٠ .

٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٢٤٧ .
الفاكهى : المنتقى ص ٨٩ .
ملا قلندر : الخلاصة المفيدة فى أحوال عين زبيدة ، ص ١٣ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢١٣ .
محمد شكرى : لوحان أثريان ، ص ٨ .

الهندسى فى تلك الحقبة الزمنية اذ أن القناة لاتسير فى خط واحد داخل الارض بل فى تعاريج اقتضتها طبيعة الارض اذ أن انحدار الماء داخل القناة كان انحدارا تدريجيا .

لم يستطع هوءلاء الصناع أن يوصلوا هذه العين الى مكة لصعوبة المنطقة ووعورتها فاكتفوا بأن تكون عين وادى النعمان لسقيا أمكنة المشاعر ثم بنى فيما بين عرفة ومزدلفة ومنى خمس وعشرون خرزة لسقيا الحجاج فى موسم الحج . (١)

ولم تتحدث المصادر التاريخية عن أية اصلاحات حدثت لهذه العين سوى مانشره ابراهيم رفعت فى كتابه مراة الحرمين عن أربعة نقوش أثرية ثلاثة منها تشير الى اصلاح عين عرفة والمصانع التى بها فى عهد الخليفة العباسى أحمد الناصر لدين الله والنقش الرابع يشير الى اصلاح هذه العين فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر

---

١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، جـ ١ ، ص ٢١٥ .
ملا قلندر : الخلاصة المفيدة ، ص ١٥ .
محمد شكرى : لوحان أثريان ، ص ١٩ .

المنصور المستنصر بالله ولقد نقلت هذه اللوحات الى مصلحة الآثار العامة بالمملكة العربية السعودية وما جمعته هذه المصلحة من نقوش وآثار مختلفة لم تتم دراسته بعد وسأكتفى بما أورده ابراهيم رفعت فى كتابه واليك نص النقش الاول :

(((بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى امام الله ظل مولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره ، أمر الامام الاصفهتيلار الكبير نصير الدين بن زيد الدين صاحب اربل سنة ٥٠٠ هـ لابى جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين أعز الله ببقائه الاسلام)))

ولدينا عدة ملاحظات على هذا النقش :

<u>أولا :</u> أنه ذكر اسم خليفتين هما الناصر لدين الله والمستنصر بالله وهذان الخليفتان لم يكونا فى هذه الحقبة الزمنية . وأن زمن خلافة الخليفة الناصر لدين الله تنحصر فى الفترة من ٥٧٥ هـ الى ٦٢٢ هـ .(١)

---

١) أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدولة الاسلامية ومعجم الاسرات الحاكمة ج ١ ص١٣ ، ج ٢ ص٣٤٩ .

ثانيا : ان الامير نصير الدين صاحب اربل كان متوليا اتابكيـــــه اربل فى الفترة من ٥٦٣ هـ حتى ٥٨٦ هـ [١] وهذا أيضا يختلف مع ذكره عن تاريخ اصلاح العين كما ورد بالنقش وخلاصة القول أن هناك خطأ فـــى تحديد تاريخ الاصلاح المذكور بالنقش فالمرجع الذى أورد هذا النقـــش ذكر التاريخ بالارقام فى حين أن العادة جرت فى كتابة مثل هذه التواريـخ بالحروف وليست بالارقام ويبدو أن ابراهيم رفعت لم يحاول التحقيق فـــى صحة هذه التواريخ وربما يعود ذلك الى عدم تخصصه أو أن عوامـــل التعرية قد أثرت بشكل أو بآخر على هذا النقش مما جعل من الصعب قراءته وقد حاولنا قراءة هذا النقش من مصلحة الآثار فلم أستطـــع ولم تتح لنا الفرصة من أجل التحقيق التاريخى .

ويستدل من النقش الثانى على عمارة عين عرفة والمصانع والبرك بأمر الخليفة العباسى الناصر لدين الله سنة ٥٨٤ هـ ونصه كالتالـــى :

(((بسم الله الرحمن الرحيم : أمر سيدنا ومولانا الامام خليفة الله على كافة أهل الاسلام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أعز اللـــه

---

١) أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدولة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٣٤٠ .

أنصاره وضاعف اقتداره لعمارة عين عرفة والمصانع لحجاج بيت الله الحـــرام ، أجزل الله ثوابه آمين ، وذلك على يد الأمير الاصفهيتلار[١] والكبير مجيــر الدين أمير الحاج والحرمين طاشتكين نصر أمير المؤمنين آدام الله توفيقــه ، وذلك فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة))) .[٢]

وأما النقش الثالث يشــير الى عمارة عين عرفة فى سنة ٥٩٤ هـ بأمـر مـــن الخليفة العباسى الناصر لدين الله واليك نص النقش الثالث :

(((بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآلـــــه ، أمر بعمارة عين عرفة والمصانع التى بها ملتفة مولانا أمير المؤمنين أعـــز الله أنصاره وضاعف اقتداره وبلغه سؤله ومناه وأمله ومبتغاه فى سلالتـــــه الطاهرة وعترته الزاهرة أمير الأمراء الأجل السيد الاصفهتيلار[٣] الكبيــر

---

١) الاصفهتيلار وصحته الاسفهسلار وهو لفظ فارسى تركى ، الكلمة الأولى أسفه فارسية وتعنى المقدم والثانية سلار تركية وتعنى العسكر فيصبـــح معنى اللقب مجموعا مقدم العسكر وكان هذا اللفظ مستعملا فى الدولـــة الفارسية ومنها انتقل الى بغداد حتى عصر الاتابكه .
حسن الباشــا : الالقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق ، ص١٥٧ .

٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢١٥ .

٣) هكذا مذكور فى النص . انظر حاشية (١) فى الصفحة السابقة .

مظفر الدين بكيرى (١) بن على صاحب اربل سيف أمير المؤمنين أيد اللــه سلطانه وأعلى أبدا شأنه سنة ٥٩٤ هـ تقبل عن يد عبدالرحمن بن أبـــى جرس (٢) عفا الله عنه (٣))) .

ولقد تعطلت عين عرفة مدة عشرين عاما لذا فان الخليفة العباســـى المستنصر بالله أمر باصلاح العين والبرك التى تعطلت بسبب الخراب الـــذى حدث لها واليك نص النقش :

(((بسم الله الرحمن الرحيم (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) شـــرع لعمارة هذه البركة لوجه الله تعالى وأضيافه المباهى بهم الملائكة صلى الله تعالــى ورجاء عفوه (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضـــرا) بالاربـــل (٤)

---

١) وصحة الاسم مظفر الدين كوكبرى بن الأمير زين الدين أبى الحسن على كجك بن بكتكين . ولد سنة ٥٤٩ هـ فى الموصل أما كوكبرى الذى ذكرها ابراهيم رفعت (بكيرى) نصحتها كوكيرى أو كوكبورى وهى مكونة من لفظين (كوك) وهو تركى بمعنى أزرق و (برى) ويعنى ذئب والاسم مجتمع يعنى ذئب أزرق .
انظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان ،ج ٣ ص ٢٧٧ .
محسن محمد حسين : اربل فى عهد الاتابكه ،ص ١٨٧ .

٢) ويبدو أن عبد الرحمن بن أبى جرس هو الذى اشرف على اصلاح العـــين لذلك ورد اسمه فى النقش الاخير .

٣) انظر : ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ص ٢١٥ .

٤) يبدو أن النقش أورد كلمة الاربل وكان يقصد بها الاربيل وهى المدينة الـــتى كان يتولى حكمها مظفر الدين كوكبرى ، أنا صاحب تاريخ اربل فى عهد الاتابكة كان يذكر كلمة اربل ويقصد بها مظفر الدين حاكم اتابكيه اربل .
انظر : حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ، ص ١٥٨ .

الاشـرف النبوى الامامى المستنصرى زاده الله تعالى شـرفا ، وقد شـاده حلال المطوع (١) بعمارة عين عوفة والبرك التى بها ملتفة بعد عطلها خرابا عشرين سنة ، المولى الامير الكبير السيد المؤيد المظفر المجاهد شرف الدين جلال الدولة عبد الخلافة (٢) المعظم محى الامامة المكرمة ملك الملك ومليك المعالى زعيم الجيوش ملك الملك الامام الاغر أبو الفضائل والمكارم أمثال الخاص النبوى المستنصرى خاص أمير المؤمنين (٣) ، مملوك سيدنا ومولانا الامام الاعظم المفتقر الى الطاعة على جميع الامم عبد الله خليفة الله فى أرضه المستنصر ابدبالله أمير المؤمنين))) .

* *

---

١) جلال المطوع هو الذى اشرف على عين عوفة بأمر من صاحب اتابكين اربل محسن محمد حسين : اربل فى عهد الاتابكة ، ص ١٨٩ .

٢) أورد هذا اللقب ابن خلكان فى كتابه وهو من ألقاب الامير مظغر الدين انظر ابن خلكان : ج ١ ص ٨٧ .

٣) أورد هذا اللقب صاحب كتاب (النوادر السلطانية) ص ١٠٥ .

الأربطـــة في مكـــــــــة

من المعلوم أن بداية بناء الأربطة في مكة بدأ منذ مطلع القـــرن الخامس الهجري . ولم تذكر لنا المصادر التاريخية أن الأربطة اقيمت فـــي مكة قبل هذا التاريخ . ويعود السبب في ذلك الى كثرة الوافدين الـــى مكة لاقامتهم من أجل طلب العلم والبعد عن العواصم الاسلامية الـــتي كانت ترزح بكثرة الفتن التي انتابت هذه الحقبة الزمنية .(١)

والأربطة التي ذكرتها المصادر هي :

١) رباط السارة :

أوقف هذا الرباط سنة ٤٠٠ هـ ، كما يذكر الفاسي . وأن هـــذا الرباط يقع عند باب السلام ، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية ســـوى شـــرط واحد لوقفية هذا الرباط وهو أن يكون سكنا للمنقطعين . وهو أول رباط أنشـــئ في مكة(٢) .

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٩ .
المقريزي : الخطط ، ج ١ ص ١٢٨ .
٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٠ .

٢) رباط دار الخيزران :

ويقع هذا الرباط قرب الصفا [١]. ويذكر الفاكهى فى كتابه ان دار الخيزران أوقف على أن يكون رباطا للمنقطعين والغرباء سنة ٤٠٢ هـ [٢].

ويقول النهروانى أن الذى أوقف هذا الرباط والى مكة . وأنه جعل فى شرط وقفيته أن يكون سكنا لاقامة الحجاج فى فترة الموسم . [٣]

٣) رباط القفاعية :

أوقفت هذا الرباط والدة الخليفة العباس المقتدى بالله على النساء المنقطعات الاعجميات وأن تاريخ وقفيته سنة ٤٩٢ هـ. [٤]

٤) رباط القزوينى :

اوقف هذا الرباط سنة ٥٢٩ هـ ، ويقع قرب المسجد الحرام [٥]، ويذكر لنا

---

١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٠ .
٢) الفاكهى : المنتقى ، ص ٨٤ .
٣) النهروالى : الاعلام ، ص ٩٨ .
٤) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣١ .
ابن بهيره : الجامع اللطيف ، ص ٧٨ .
٥) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ١٦٣ .
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣١ .

الفاكهى (١) والفاسى انه لم يعرف من الذى اوقفه وان شـرط وقفيته على جميع الرجال الغرباء المقيمين فى مكة من سـائر أنحاء العـراق • واشتهـر هذا الرباط باسم رباط القزوينى لأنْ حجاج قزوين ، كانوا ينزلون فـى هذا الرباط فترة الموسم • (٢)

٥) رباط الدمشـقية :

انشـأه تجار مدينة دمشق ، وسـمى رباط الدمشقية نسبة الى مدينة دمشق حاضرة الشـام ، واوقف هذا الرباط سنة ٥٢٩ هـ • وشرط وقفيتـه على الفقراء من أهل الشـام والعراق العلماء منهم والمجاورين فى مكـة والحجاج • (٣)

٦) رباط الزرنـدى :

أوقف الشيخ نجيب الدين أبو الحسن محمد من أهل زرنـدة (٤)

---

١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٣ •
الفاكهى : المنتقى ص ٨٥ •
٢) باقازى : بلاد الحجاز ص ١٢٨ •
٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣١ •
النهروانى : الاعلام ص ٩٨ •
٤) زرند ، بلدة تقع بين اصفهان وساوه وهى مدينة قديمة وكبيرة وهى من أهـم مدن كرمان •
انظر : ياقوت معجم ج ٣ ص ١٣٨ •

رباطا جعل شرط وقفيته أن يكون سكنا للغرباء من أهل زرندة وساوة[1] المقيمين فى مكة وللحجاج القادمين من بلاد فارس لهم حق الاقامة فيه فى فترة الموسم .[2]

٧) رباط المغاربة :

فى سنة ٥٦٢ هـ ، اوقف مجموعة من تجار بلاد المغرب رباطا فى مكة .[3] ، ويقول الفاكهى[4] ان هذا الرباط يقع عند باب العمرة، بناه تجار المغرب لكى يكون سكنا للمقيمين فى مكة من طلبة العلم للرجال دون النساء ، وان يسمح للحجاج بالسكن فى هذا الرباط فترة الموسم . ويذكر لنا أحد المعمرين فى مكة أن هذا الرباط كان

---

١) ساوه : بلده تقع بين الرى وهمذان .
انظر : ياقوت ، معجم ، ج ٣ ، ص ١٧٩ .
٢) الفاسى : شفاء الغرام ،ج ١ ، ص ٣٣١ .
٣) الفاسى : العقد الثمين ،ج ٣ ص ٧٦ .
٤) الفاكهى : المنتقى ،ص ٨٩ .

موجودا عند باب العمرة أحد أبواب الحرم الشـــريف . وقد ازيل فى التوسعة الاخيرة التى قام بها جلالة الملـك عبد العزيز سنة ١٣٧٥هـ .

٨) رباط الحضارمـة :

أسس هذا الرباط سنة ٥٧٠ هـ . ويقع فى منطقة اجياد .[١] والذيـن بنوه تجار من مدينة حضـرموت وان شرط وقفيته على طلبة العلـــم المقيمين فى مكة ، وان يكون سكنا للحجاج القادمين من حضرموت فـــى فترة الموسم[٢] . وان هذا الرباط لازال موجودا حتى الوقت الحاضـر . وقد جدد بناؤه فى العصر الحديث .

٩) رباط المراغـــى :

اوقف هذا الرباط قاضى القضاه أبوبكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيـم المراغى سنة ٥٧٥ هـ . ويقع هذا الرباط عند باب الجنائز .[٣] وان

---

١) الفاسى : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٧٠ .
٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤١ .
الفاسى : تحصيل المرام ، ورقة ٦٦ .
الفاكهى : المنتقى ، ص ٩١ .
٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤ .
الفاسى : تحصيل المرام ، ورقة ٦٨ .

شـرط وقفيته أن يكون مقصورا على الصوفية من الرجال الزهاد من العـرب والعجم الذين يقيمون فى مكة •

١٠) رباط البخارية :

اوقف هذا الرباط سنة ٥٧٦ هـ مجموعة من تجار مدينة بخاى • ويقـع هذا الرباط فى منطقة السوق الصغير بمكة المكرمة • وجعلوا شرط وقفيتـه أن يكون سكنا للحجاج من بلاد بخارى • وأن يسكنه الفقراء المقيمـون فى مكة طوال السنة ماعدا موسم الحج • (٢)

ولتجار بلاد بخارى عدة أربطة أكثرها فى آسفل مكة (٣) وغالبا لايعرف تاريخ وقفيتها ومن الذى أوقفها ، ولايزال موجودا فيها حتى اليوم خمسـة أربطـة •

١١) رباط الخاتـون :

أوقفت الشـريفة فاطمة الخاتون (٤) رباطا سمى بلقبها سنة ٥٧٦ هـ • وعرف

---

١) الفاكهى : المنتقى ص ٩٢ •
٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤١ •
الفاسى : شـفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣١ •
٣) يسمى هذا الحى الواقع جنوب مكة باسم حى المسفلة نسبة الى اسفل مكة •
انظر : ياقوت ، معجم ، ج ٤ ، ص ٨٠ •
٤) الشريفة فاطمة بنت الشريف محمد الحسنى محمد بن سليمان وكانت تلقـب بالخاتون •
انظر : الفاسى : شـفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣١ •

فيما بعد برباط ابن محمود لانّ المشرف على هذا الرباط كان اسمه ابن محمود ويقع هذا الرباط عند باب العمرة.[١] وأن شرط وقفيته على الصوفيــــة الرجال من العرب والعجم .[٢]

١٢) رباط قايمـــاز :

نسبة الى الامّير قايماز بن عبدالله بن قلج بن ارسلان الشامى السلجوقى من أمراء سلاجقة الروم والارمن . اوقفه على المجاورين المقيمين فى مكة مـــن الأحناف فى سنة ٥٧٨ هـ . وعلى أن يكون سكنا للحجاج فترة الموسم .[٣]

١٣) رباط الزنجبيلـــى :

فى سنة ٥٧٩ هـ بنى عثمان بن على الزنجبيلى نائب أمير عدن امــــام مدرسته فى مكة عند باب العمرة رباطا أوقفه على طوب المدرسة وعلـــى الاحناف المقيمين فى مكة .[٤]

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٢ .
الفاسى : تحصيل المرام ، ورقة ٦٦ .
الفاسى : شفاء الغرام ،ج ١ ص ٣٣١ .
٢) الفاكهى : المنتقى ،ص ٩٤ .
٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٤٤١ .
الفاسى : تحصيل المرام ، ورقة ٦٥ .
٤) ابن فهد : اتحاف الورى ،ورقة ٢٤٢ .
أبو شــامه : الروضتين ج ٢ ،ص ٢٦ .
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ٦ ،ص ٩١ .
الفاسى : شـفاء الغرام ،ج ١ ، ص ٣٣٢ .

١٤) رباط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه :

أوقف هذا الرباط سنة ٦٠٤ هـ . ويقع فى السوق الصغير ويعرف برباط المغاربة نسبة لانّه يقع فى زقاق المغاربة . (١) وسمى بهذا الاسم لانّه يقع فى دار عثمان وأنه موجود حتى وقتنا الحاضر . وقد جدد بناؤه فى العصر الحديث ، وعليه نقش يقرأ على هذا النحو :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وعلى آله .

(٢) هذا ماوقف وحبس وسبل (٢) وتصدق به القاضى الفقيه الموفق المكين الامين جمال الدين . (٣)

(٣) ولى أمير المؤمنين أبو الحسن على بن القاضى السعيد الايمن أبى القاسم عبد الوهاب بن الشيخ أبى عبد الله بن محمد .

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٦ .
القاسى : العقد الثمين ، جـ ٧ ، ص ٢٠٥ .

٢) سبل والمقصود بكلمة سبل نسبة الى السبيل والسبيل عبارة عن مياه الشرب التى تقدم سبيلا للناس . والغرض من كلمة سبل لوجود بئر فى داخل الرباط وجعله سبيلا لكى يرتاده الناس للشرب .

٣) هو القاضى أبو الحسن على بن عبد الوهاب بن محمد بن ابى الفتوح الاسكندرى ، انظر هذا النسب الذى ذكره ابن فهد .
انظر : ابن فهد ، اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٧ .

(٤) ابن أبى الفرح العدل بالاعمال المصرية رضى الله عنه ، وقف وحبس وسبل وتصدق بجميع هذا الرباط .

(٥) على فقراء المغرب الغرباء المتعبدين ذوى الحاجات المجردين ليس للمتأهلين فى حظ ولانصيب .

(٦) تقبل الله ذلك منه واثابه عليه بالاحسان وقف ذلك وحبسه بجميع حقوقه وقفا صحيحا .

(٧) " " [1] فمن غير ذلك فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين وجرى ذلك فى سنة أربع وستمائة .

فان هذا الرباط لم تذكره المصادر التاريخية المعاصرة لهذه الحقبة الزمنية . وان هذا النقش يوضح لنا تاريخ تأسيس هذا الرباط وان الذى بناه هو أحد قضاة مصر جمال الدين أبو الحسن على بن القاضى أبى القاسم عبد الوهاب بن الشيخ ابى عبد الله محمد بن أبى الفرح ، وانه أوقفه وتصدق به على الفقراء المغاربة الغرباء ، المنقطعين فى مكة للعبادة .

---

١) لم أستطع قراءة هذه الكلمات الموجودة فى بداية السطر السابع من هذا النقش .

كذلك بنى بيمارستان عرف بالمستنصرى عام ٦٤٨ هـ فى مكة لمعالجة مرضى الرجال والنساء . ولقد أمر بانشائه الخليفة العباسى المستنصر بالله عند مدخل شعب أجياد [١]، وهو عبارة عن مبنين أحدهما خاص بالنساء وثانيهما خاص بالرجال . وكل مبنى مكون من طابقين . وامام كل طابق روقه خاصة به وبينهما فناء به بئر خصص لسقيا من يسكن هذا البيمارستان من المرضى والخدم والاطباء . [٢]

السبل والبرك :

نظرا لضرورة توفر المياه فى مكة فقد أهتم بعض الخلفاء والامراء والسلاطين وعامة الناس بانشاء السبل والسبل عبارة عن خزانات صغيرة تبنى على فوق سطح الارض تملأ بالمياه لسقيا الناس فى غدوهم ورواحهم بها . ومن أهم هذه السبل التى تذكرها لنا المصادر التاريخية [٣] هو سبيل الجوخى

١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٥٦ .
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٢١ .
٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٥٦ .
الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ٣٢١ .
النهروانى : الاعلام ص ٩٩ .
٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٥٦ .
النهروانى : الاعلام ص ١٠٠ .

ويقول الفاسى : ان الذى أمر ببنائه هو الخليفة المقتدر بالله العباسى . وأمر بحفر بئر خلف هذا السبيل ، ليتزود منه السبيل بماء الشرب (١) . ويحدد لنا الفاكهى موقعه ، اذ يقول انه يقع بمنى قرب جمرة العقبة الكبرى . وهو أقدم سبل مكه (٢) .

وتوجد عدة سبل انشئت لسقيا الفاسى من أهمها : سبيل الملك المنصور ، صاحب اليمن بمكة الذى أمر ببنائه . وجددت عمارة هذا السبيل حينما تعطل زمن سلاطين المماليك . (٣)

فى سنة ٥٧٩ هـ ، أمر الزنجبيلى ببناء سبيل قرب المسجد الحرام حيث يقع قرب مدرسته التى أمر ببنائها فى السنة نفسها (٣) .

ومن المعلوم أن بأعلى مكة عدة سبل لم توضح لنا المصادر التاريخية تاريخ

---

١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٧ .
٢) الفاكهى : المنتقى ، ص ٩٦ .
٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٥٨ .
ابن بطوطه : الرحله ، ص ٨٤ .
على السليمان : العلاقات الحجازيه ، ص ٢١٦ .
٤) النويرى : نهاية الأرب ج ٣١ ص ٢١٢ .

بنائها ، ومن أوثقها ، ويعرف منها سبيل واحد يسمى بسبيل أم سليمان المتصوفة .(١)

أما عن أهمية البرك ، فقد اقتضت الحاجة ببنائها لاستخدامها في الاغراض التالية وهي :

لتخزين مياه الامطار في أطراف الاودية ، ولسقيا الدواب التي كانت هي الوسيلة الوحيدة للنقل آنذاك . وتبنى داخل البساتين لتدريب أبنائهم على السباحة ، وفرعت منها قنوات لري المزارع .(٢)

وتوجد بركتان بأعلى مكة عند باب المعلاه متلاصقتين احداهما لتخزين المياه والاخرى لسقيا الدواب . وتوجد بأعلاهما أيضا بركتان بداخل بستان المصارى . وهاتان تستخدمان لري زرع هذا البستان(٣) وفي شعب بني هاشم قرب مكان ولادة النبي صلى الله عليه وسلم بركة يستخدمها الناس لسقيا الدواب .(٤)

---

١) الفاسي :شفاء الغرام ،ج ١ ص ٣٣٨ .
٢) الفاسي : تحصيل المرام ورقة ٦٦ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٣٢٩ .
٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٦٠ .
الفاسي : شفاء الغرام ،ج ١ ص ٣٣٩ .
٤) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٦٢ .
الفاسي : شفاء الغرام ،ج ١ ص ٣٤٠ .
الفاكهي : المنتقى ص ١٠٢ .

وبأمكنة المشاعر توجد عدة برك لم توضح لنا المصادر التاريخية من أمـــر بنائها ،ويذكر لنا الفاسى أن احدى هذه البرك أمر ببنائها والدة الخليفـــة المقتدر بالله العباسى (١) وبنى بعضها بأمر من المظفر صاحب اربل • وبأسفل مكة بركة كبيرة تسمى بركة باب الماجن ، اذ تقع عند باب مكة المعــــروف بباب الماجنى • وتستخدم هذه البركة لسقيا المزارع التى تقع بأسفل مكـــة • ولم تذكر لنا بعد ذلك المصادر التاريخية أى توضيح عن باقى البرك الـــتى أنشــئت داخل الحرم وخارجه وعن تاريخ بنائها •

* *

١) الفاسى : شــفاء الغرام ، جـ ١ ص ٣٤٠ •

المنشـآت الاجتماعية فى المدينة المنورة

من أهم المنشـآت الاجتماعية التى تمت فى المدينة فى هذه الحقبـة من البحـث هى الآبار والعيوان وانشـاء البازانات فى جميع اطراف المدينة لتوفير المياه للحجاج ، واقامة الاربطة لسكنى الغرباء والمنقطعين الذين كان قصدهم المجاوره •

الآبـــار:

من المفيد ذكره أن المدينة بلد زراعى لانها تشتهر بكثرة مياهها ، ولذلـك تشتهر منازلها بوجود آبار فى داخلها هـى :

١) بئـــر أنـــا :

هى بئر ليهود بنى قريظة وتقع فى منطقة العوالى بالمدينة ، يستفيد منهـا سكان المدينة فى سقيا مزارعهم • (١)

٢) بئر أنـــس :

هى ملك لانس بن مالك وقد زارها الرسول صلى الله عليه وسلم وشــرب منها وتشتهر بعذوبة مائها • (٢)

---

١) ابن شبه : تاريخ المدينة ورقة ٢٠٢ •
عبد القدوس الانصارى : آبار المدينة ص ٤١ •
٢) السمهودى : وفاء الوفاء ، ج ٣ ص ٩٥٣ •
العباس : عمدة الاخبار ، ص ٢٦٦ •

٣) بئـر اهاب :

يقع فى الحـره • ارتاد ها الرسول صلى الله عليه وسلم وشرب منهـــا ويسبيها سكان المدينة بئر زمزم تبركا بها •(١)

٤) بئـر حلـوة :

وتقع بجوار دار آمنـة بنت سعد فى زقاق حلوة • وهذه البئر أوقفت فى القرن الرابع لسقيا الحجاج •(٢)

٥) بئر القريصـة :

تقع فى شرق المدينة أتاها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشـرب منها • ويقال بأن خاتمه وقع فيها • وهى معروفة حتى اليوم ببئر الخاتم• يقصدها الحجاج للزيارة بة تبركا بها •(٣)

---

١) ابن شـبه : تاريخ المدينة ورقة ١٠٣ •
السمهودى : وفاء الوفاء ، جـ ٣ ص ٩٥٤ •
٢) المراغى : تحقيق النصرة ص ١٠٧ •
السمهودى : وفاء الوفاء جـ ٣ ص ٩٦٢ •
٣) المراغى : تحقيق النصرة ص ١٢٤ •
العباسى : عمدة الاخبار ص ٢٢٦ •
الانصارى : آثار المدينة ص ٩٥•

٦) بئـــر حــار :

هذه البئر ملك لأبى طلحة الخزرجى وتقع خارج سور المدينة المنــــورة. وجعلها وقفا لسقيا الحجاج الوافدين الى المدينة . (١)

٧) بئــر عــروة :

وتقع فى طرف وادى العقيق . وتنسب الى عروة بن الزبير . وتشــــتهر بعذوبة مائها . ويذهب اليهاالزوار ليشــربوا منها تبركا بها . (٢)

٨) بئر فاطمة بنت الحسـين :

تقع فى الحرة جنوب غربى المدينة المنورة . وقامت بحفرها الســـيدة فاطمة بنت الحسين . واوقفته لسقيا المسلمين . (٣)

---

١) السمهودى : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ٩٨٦ .
العباسى : عمدة الاخبار ص ٢٥٤ .
٢) ابن شـبه :تاريخ المدينة ورقة١١٣ .
السمهودى : وفاء الوفاء ، ج ٣ ص ٩٨٧ .
الانصارى : اثار المدينة ص ٩٥ .
العباشى : المدينة بين الماضى والحاضر ، ص ٢١٨ .
٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ٤١٨ .
السمهودى : وفاء الوفاء ، ج ٣ ص ٩٩٠ .
العباسى : عمدة الاخبار ، ص ٢٥٦ .

العيـــــون :

١) عـين الخيـف :

تقع شـمال شـرق المدينة المنورة ، من بعد الخيف الشامى المسمى عند أهل المدينة بالسيـــح ، ولقـــــد انشىء لها قنوات ومجارى لسقيا المزارع التى تحيط بها واصلحت هذه القناة التى خربت فى عهد الخليفة هـــــارون الرشيد ولم تذكر المصادر التاريخية ان اصلاحات حدثت لهذه العيـــــن فى الحقبة الزمنية لهذا البحث .

ومن المفيد أن نذكر أن أصحاب المزارع اهتموا باصلاح هذه القنـوات حينما تتعطل لانهم المستفيدون من ذلك . (١)

٢) عـين الشـــهداء :

تقع هذه العين قرب جبل احد شـمال المدينة . وانشئت لسقيـــــا المزارع التى تقع شمال المدينة ، واصطلح على تسميتها بعين حمزة نسبة الى

---

١) ابن هشام : السيرة ،جـ ٣ ص ١٢٨ .
الانصارى : اثار المدينة ص ١٠٢ .
على حافظ : فصول فى تاريخ المدينة ص ٣٨ .
حمد الجاسر : رسائل فى تاريخ المدينة ص ٥٤ ، ٥٥ .

شــهداء أحد أو الى حمزة بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم • ويذكر لنـا السمهودى أن الذى أمر ببنائها الخليفة معاوية من أبى سفيان • أمـــا المراغى فانه يؤكد بأنها كانت عينا قديمة • وكان يستفيد منها المزارعون فى سقيا مزارعهم • ومن المرجح أنها سميت بعين الشهداء نسبة الــى شـهداء أحد • ومن الملاحظ أن الذى كان يقوم باصلاحها حين خرابهــــا أصحاب المزارع لحاجتهم اليها فى سقيا مزارعهم •(١)

٣) عين الزرقـــاء :

تقع جنوب غرب المدينة • وتستمد ماءها من عين الجعفريه • تتصـل بمياه آبـار عديدة • أوصلت بواسطة قنوات لتتصل هذه الآبار بعضهـــــا ببعض لتلتقى بمجرى هذه العين ثم تنقسم الى ثلاث قنوات رئيسية تصـــب فى ثلاثة بازانات بداخل المدينة لسقيا أهلها والحجاج معا •(٢)

---

١) المقريزى : الذهب المسبوك ص ٣٠ •
الانصارى : آثار المدينة ص ١٠٣ •
العياشى : المدينة بين الحاضر والماضى ص ١٤٢ •
حمد الجاسر : رسائل فى تاريخ المدينة ص ٦١ •
٢) الانصارى : آثار المدينة ص ١٠٤ •
على حافظ : فصول من تاريخ المدينة ص ٤٠ •
العياشى : المدينة بين الحاضر والماضى ص ١٤٠ •

ولقد أنشأ هذه العين الخليفة معاوية بن أبى سفيان سنة ٥٠ هجرية بعد أن رأى راحة أهل الشام فى حصولهم على المياه من الانهار الجارية فى بلاد الشام وكان هدف الخليفة واهتمامه من ايصال ماء العين الى المدينة هو استمالة سكانها اليه . (١)

وسميت بعين الزرقاء نسبة الى والى المدينة مروان بن الحكم لزرقة عينيه (٢). وهناك قول آخر فى سبب هذه التسمية اذ أن احدى هذه الآبار المتصلة بها تسمى ببئر الازرق . وهى تقع قرب عين جعرانه . (٣)

وتذكر لنا المصادر أن هذه العين لم يحدث لها اصلاح سوى ماقام به ابن أبى الهيجاء (٤) سنة ٥٦٠ هـ حينما تعطلت بعض قنوات هذه

---

١) أحمد الشريف : دور الحجاز فى الحياة السياسية ص ٦٥ـ٧٠ .
الانصارى : آثار المدينة ص ١٠٧ .
٢) السمهودى : وفاء الوفاء جـ ٣ ص ١٠٠٦ .
٣) المراغى : تحقيق النصره ص ١٤٨ .
ابن الثمار : الدرة الثمينة ص ١٨ .
٤) هو مقاتل بن عطية ولد سنة ٥١٥ هجرية وكان شاعرا ويعتبر من شعراء العصر العباسى الثانى ولقد قصد الذهاب الى أداء النسك سنة ٥٦٠ هـ. وحينما ذهب الى زيارة المدينة المنورة قام بأعمال خيرية فيها . منها عمل البازانات وزيادة عدد قنوات العين .
انظر : ابن خلكان وفيات الاعيان جـ ٨ ص ١٢٠ ، ١٢٤ ، وخير الدين الزركلى ، الاعلام ، جـ ٩ ص ١١٩ .

العين ، اذ أمر باصلاحها ، وقام ببناء بازانات جديدة تحت سطح الارض ينزلها السقاه بواسطة سلالم بنيت لهذا الغرض . كما أنه قام بتعيين عمال يشرفون على هذه العين وتنظيف قنواتها الرئيسية من الترسبات .(١)

٣) الاربطة :

لقد نشط بناء الاربطة فى المدينة منذ بداية القرن الخامس الهجرى . وكان الغرض الاساسى من بنائها لتكون سكنا للمجاورين والمنقطعين والغرباء والارامل وطلبة العلم ، لكى يقيموا فيها . وبعضها خصص فى شرط وقفيته أن يكون سكنا لزوار المدينة . ومن أهمها :

١) رباط سيدنا عثمان بن عفان :

فى سنة ٤٢٣ هـ اشترى مجموعة من تجار المغرب الدار الصغرى لسيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه، وجعلوها رباطا لطلبة العلم من بلاد المغرب (٢)

---

١) السمهودى : وفاء الوفاء جـ ٣ ص١١١٨ .
المراغى : تحقيق النصره ص١٣٦ .
٢) المراغى : تحقيق النصره ، ص١٧٦ .
الانصارى : آثار المدينة ص٤٩ .

الذين يقيمون فى المدينة ، وان تجعل هذه الدار سكنا للحجاج فى موسم الحج .(١)

ولقد تمت توسعة هذا الرباط فيما بعد . وبعد توسعته خصصوا غرفة منه لتكون مكتبة ، وغدت هذه المكتبة من أهم المكتبات التى احتوت على أعظم كتب الفقه المالكى ويمكن القول بأن هذا الرباط كان يسكنه علماء وطلبة العلم اذ انها كانت تقام فيه حلقات الدروس .(٢)

ويذكر بعض نظار هذا الرباط وصفا لهذه المكتبة ويقول ان الدواليب أو الخزائن الحاوية للكتب الموجودة فى مكتبة هذا الرباط قد اهديت الى مكتبة الحرم النبوى فى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى .(٣)

٢) رباط الناصر لدين الله :

أمر الخليفة العباسى الناصر لدين الله فى سنة ٥٧٠ هـ ببناء

---

١) ابن النجار : الدرة الثمينة . ص ٥٨ .
٢) الانصارى : آثار المدينة ، ص ٥٠ .
٣) المرجع السابق ص ٥٣ .

رباط فى المدينة المنورة ليكون سكنا لطلبة العلم والغرباء المقيمين فـــى المدينة . ويقع هذا الرباط عند باب النساء قرب الحرم النبوى الشريف.(١)

٤) رباط المراغـــى :

اقف قاضى القضاه أبو بكر محمد بن عبد الله المراغى سنة ٥٧١ هـ رباطا يقع عند باب السلام . وجعل فى شــرط وقفيته أن يكون سكنـــــا للصوفية الزهاد المقيمين فى المدينة . وان يكون سكنا للحجاج من العرب والعجم للزيارة فترة الموسم .(٢)

٥) رباط البخاريـــة :

لقد بنى تجار مدينة بخارى عدة أربطة فى المدينة . وأشهرها الرباط الذى يقع أمام باب الرحمة وجعلوا شرط وقفيته أن يكون سكنا للمجاوريـــــن والغرباء المنقطعين فى المدينة المنورة .(٣)

---

١) المراغى : تحقيق النصره ص ١٧٨ .
القلقشندى : صبح الاعشى ج ١٢ ص ١٦١ .
الانصارى : آثار المدينة ص ٥٤ .
٢) العباسى : عمدة الاخبار ص ٣٩٦ .
المراغى : تحقيق النصره ص ١٧٨ .
الانصارى : آثار المدينة ص ٥٥ .
٣) المرجع السابق ص ٥٦ .

٦) رباط الزنجبيلي :

أمر ببناء هذا الرباط عثمان بن على الزنجبيلى نائب أمير عدن فى سنة ٥٧٩ هـ ويقع عند باب النساء • أوقفه على الاحناف المقيمين فى المدينة المنورة • وجعل فى شرط وقفيته أن يكون سكنا للحجاج القادمين من عدن أثناء موسم الحج • (١)

٧) رباط والدة الخليفة الناصر لدين الله :

أوقفت والدة الخليفة الناصر لدين الله العباسى رباطها المعروف بالمدينة المنورة قرب باب جبريل عليه السلام سنة ٥٩٩ هـ ، وجعلت فى شرط وقفيته أن يكون سكنا للفقراء المنقطعين المقيمين فى المدينة وسمى هذا الرباط فيما بعد باسمها • (٢)

٨) رباط الاصفهاني :

أوقف جمال الدين محمد بن على بن منصور الاصفهانى رباطه المعروف

---

١) المراغى : تحقيق النصره ص ١٧٩ •
ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٧٨ •
٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٧٩ •
السمهودى : وفاء الوفاء جـ ٣ ص ١٠٥٧ •

برباط الاصفهانى . ويقع هذا الرباط فى الدار الكبرى لسيدنا عثمـــان ابن عفان رضى الله عنه . وأوقف هذا الرباط فى أواخر القرن السادس الهجرى . وجعله سكنا للفقراء المنقطعين من الاعاجم من بلاد الفرس. ويذكر السمهودى بأن هذا الرباط يسمى برباط العجم نسبة الى شــــرط وقفيته ولقد جعل شرط وقفيته بأن يكون سكنا للحجاج فترة الموسم. (١)

٩) رباط خالد بن الوليـــد :

يقع هذا الرباط فى داري خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص حيـــث كانتا متجاورتين وقد اشتراهما تجار بلاد غزنه سنة ٦٢٠ هـ ، وبنيتـــا رباطا بعد هدمها لسكنى الغرباء من سكان الهند المجاورين فى المدينة. وكان شرط وقفيته أن يكون سكنا للحجاج فترة الموسم . وسمى هــــذا الرباط فيما بعد برباط السبيل . (٢)

---

١) المراغى : تحقيق النصره ص ١٨٠ .
السمهودى : وفاء الوفاء ج ٣ ص ١٠٥٨ .
٢) ابن النجار : الدره الثمينة ، ص ٨٠ .
الانصارى : آثار المدينة ، ص ٥٧ .

الحيـــاة العمرانيـــــة

توسعة المسجد الحرام وعمارتـه :

أول من قام بتوسعة المسجد الحرام الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد أدخل ضمن مساحة المسجد الدور المجاورة بعد أن اشتراهـا وهدمها . وأحاط المسجد أيضا بجدار قصير ثم سار على نهجه ونسج على منواله من تولى الخلافة بعده وهو عثمان بن عفان الذى قام بتوسعته وعمارته.(١)

ويذكر لنا الأزرقى (٢) فى كتابه أن عبد الله بن الزبير قد زاد فى الجـدار المحيط بالمسجد ورفعه وسقف جزءا منه ليحتمى الناس تحته حماية من أشعة الشـمس.

ويقول الفاكهى : (٣) ان توسعة ابن الزبير كانت من جانبه الشـرقى وبعد أن تم القضاء على عبد الله بن الزبير وتمكن عبد الملك بن مروان أمر واليـه

---

١) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ص ٨٩ .
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٠٢ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٦٨ .
باسلامه : عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٤ .

٢) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ص ٩٠ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٢٨ .

٣) الفاكهى : المنتقى ص ٧٤٠ .
ابراهيم رفعت : مراة الحرمين ، ج ١ ص ٢٢٩ .

على مكه الذى يدعى الحجاج بن يوسف الثقفى بتجديد بناء المسجد الحرام والكعبة الشريفة مما حدث لها من خراب وأرسل الاساطين لتزين بها أروقة المسجد .

ويذكر الازرقى (١) أن الاساطين هذه قد نمت جزء منها من حجارة مكة والآخر أرسله عبدالملك بن مروان من الشام وهو من الرخام.

وقد حليت رءوس هذه الاساطين بصفائح من فضة وذهب حتى لقد بلغت هذه الحليه أربع أوقيات . (٢)

ثم أتى من بعده ابنه الوليد بن عبدالملك وقام بتعمير المسجد الحرام بعد أن نقل أساطين الرخام اليه من الشام . وأرسل اليه الفسيفساء

---

١) الازرقى : تاريخ مكة ، جـ ٢ ، ص ٩٣ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ .
ياسلامه : عمارة المسجد الحرام ص ٣٦ .

٢) الازرقى : تاريخ مكة ، جـ ٢ ، ص ٩٤ .
ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٢٠ .
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ١١٠ .
النهروالى : الاعلام ، ص ٦٨ .
السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ ١ ، ص ٨٨ .

حتى تزيد النوافذ والابواب وكانت هذه الزياده سنة ٨٩ هـ .(١)

ثم توقف تعمير المسجد واصلاحه حتى كانت خلافة ابى جعفر المنصور العباس الذى وسع المسجد من جهة الشمال ومن جنوبه عند بـاب اجياد وقد بناه بالحجارة وزينه بالقناديل والمشاعل وزاد من الاساطين الرخامية ، وأنشأ المناره التى تقع فوق باب بنى سهم وتولى هـذا التشييد زياد بن عبيد الله الحارثى القائم بأعمال شرطة مكة .(٢)

وقد زينه بالفسيفساء وسقف أروقته بخشب العرعر الذى اتى به من الطائف وقد قام بتوسيع مساحة المسجد ايضا فأدخل دار الندوة ، ودار شيبة بن عثمان ودار العجله ضمن مساحة المسجد . وبعد ذلك رصف أروقته بالحجارة المنحوته .(٣)

ومما يدل ويشـهد على ماقام به أنه عثر على نص كان موجودا

---

١) الازرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٩٥ .
الفاكهى : المنتقى ، ص ٨١ .
باسلامه : عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٧ .
٢) ابراهيم رفعت : مراة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .
باسلامه : عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٧ .
٣) الازرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٩٦ .

حتى زمن أبى الوليد الازرقى صاحب كتاب تاريخ مكة .(١)

وقد سجل هذا النص الاعمال المعمارية للمسجد الحرام فى عهد أبى جعفر المنصور وقد كتب على اسطوانة من اسطوانات المسجد الحرام وهذا نصه :

((" بسم الله الرحمن الرحيم ، محمد رسول أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين " أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله بتوسعة المسجد الحرام ، وعمارته والزيادة فيه نذرا منه للمسلمين واهتماما بأمورهم ، وكان الذى زاد فيه الضعف مما كان عليه قبل وأمر ببنائه وتوسعته فى المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة وفرغ منه ورفعت الأيدى عنه

---

١) الازرقى : تاريخ مكة ، جـ ٢ ، ص ٩٨ .
٢) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ١٢٢ .
٣) ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ١١٢ .

فى ذى الحجة سنة أربعين ومائة بتيسير أمر الله بأمر أمير المؤمنين ومعونة منه له عليه وكفاية منه له وكرامة أكرمه الله بها فأعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوى من توسعة المسجد الحرام وأحسن ثوابه))) (١) .

وحين حج ابنه المهدى سنة مائة وستين هجرية وجردت الكعبة من كساءاتها المختلفة . قام بتعمير المسجد الحرام وأمر بزيادة ارتفاع أروقته ، وشراء الدور المجاورة التى تقع من الجانب الغربى للمسجد لاضافتها اليه . (٢)

وتنفيذا لذلك فقد ترك أموالا كثيرة عند قاضى مكة محمد بن عبد الرحمن المخزومى ليقوم بتجديد بناء المسجد وتوسعته . (٣)

ونتيجة لذلك فقد أدخل دار جبير بن مطعم ، وسباع الخزاعى ، وأدخل

---

١) هذا النص منقوش على أحد أعمدة المسجد الحرام التى بداخل أروقته حتى الوقت الحاضر وقد ذكرها الازرقى فى كتابه تاريخ مكة ،ج ٢ ، ص٧٣ وابراهيم رفعت ج ١ ، ص ٢٢٦ .
٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ، ص ٢٢٩ .
باسلامه : عمارة المسجد الحرام ،ص ٣٨ .
السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ،ص ٩٨ .
٣) الازرقى ، ج ٢ ص ٧٤ .
النهروالى : الاعلام ، ص ١٣٢ .

أيضا دار القوارير • ثم الصق الجدار بالجدار القديم ، وشيد الأروقة الجديدة بعد أن نقل أساطين الرخام من دمشق الى مكة التى جرت بواسطة العربات وأقيمت هذه الأساطين فى الأروقة على ثلاثة صفوف • وقد اعتمدت على أساسات من الحجارة والتدرة •(١)

وقد زاد أيضا فى عدد أبواب المسجد الحرام وأصلح بعض المنائر فيه •(٢)

هذا كله عن عمارة المسجد الأولى فى زمن المهدى ، وله زيادة ثانية قام بها فى تربيع المسجد حتى أصبح عرضه كطوله تقريبا وتحت العمارة الثانية للمهدى فى سنة ١٦٤ هـ حينما تبين له أن عمارته الأولى لاتتناسب فنيا مع التوسعة التى جددت له فى زمنه ، فأمر المهندسين

---

١) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ،ص ٧٥ •
باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٩ •
٢) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٧٥ •
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ، ص ٢٣١ •
باسلامه : تاريخ عمارة المسجد ، ص ٤٠ •

بتوسعته حتى تتوسط الكعبة المسجد ولو استنفد الأمر مافى بيوت المسلمين من أموال.(١)

وقد نصبت الرماح على الدور التى تقع فى الوادى ووضعت الاشارات ، وقيست بالاذرع المعمارية فاشتروا الدور من الناس ، ونقلت المؤن من مصر والشام ، وأحضر العمال والصناع من أمصار الدولة الاسلامية.(٢)

وقد بدأ تنفيذ هذا العمل سنة ١٦٧ هـ اذ قاموا بجرف مجرى الوادى عند باب اجياد ورفعوا أروقة المسجد عن مستوى الوادى خوفا من دخول ماء السيل الى الحرم وانتهى العمل منه زمن ابنه الهادى.(٣)

---

١) الازرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٧٦ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٣١ .
٢) الازرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٧٧ .
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٢٨ .
٣) الازرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٧٧ .
الفاكهى : المنتقى ، ص ١٢١ .
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٢٩ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٢١ .

ويقال ان عدد الاساطين من الجهة الشرقية بلغت ثلاثة ومائة اسطوانة ، ومن الجهة الغربية مائة اسطوانة ومن الجهة الشامية ثلاثون ومائة اسطوانة ، ومن الجهة اليمانية واحد وأربعون بعد المائة اسطوانة .

ويلاحظ أن المسافة بين كل اسطوانتين عشرة أذرع وبلغت جملة الاسطوانات المحلاة بالذهب ثنتان وأربعون اسطوانة .(١)

وبلغت المحلاة بالفضة ثنتان وسبعون اسطوانة وقد حليت الفسيفساء أيضا بماء الذهب والفضة .(٢)

وأما القناديل فقد صنع بعضها من النحاس والاخر من القوارير .(٣) أما عن نوافذ المساجد هذا فقد بلغت عدد نوافذه أربعمائة

---

١) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ٣٠٤ .
ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٣٤ .
الازرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٨٤ .
باسلامه : تاريخ عمارة المسجد ،ص ٤١ .

٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٣٠ .
الفاكهى : المنتقى ، ص ١٢٣ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ،ص ٢٣٢ .
الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ٣٠٧ .

٣) الفاكهى : المنتقى ، ص ١٢٤ .
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ،ص ١٣٣ .

نافذة ، ولم تحدثنا المصادر التاريخية عن أى اصلاحات أو توسعة حدثت سوى ماقام به بعض أهل الخير فى مكة حينما كتبوا الى الخليفة المعتضد العباس سنة ٢٨٤ هـ يطلبون توسعة الحرم الذى ضاق عن عدد المصلين وخاصة فى المواسم الدينية الأسبوعية أو السنوية كل عام . (١)

ولهذا فقد أمر بادخال دار الندوة ضمن الرواق الشامى للمسجد ثم وضع لها باب سمى باب الزيادة لانها خرجت عن شكل تربيع المسجد . (٢)

وقد تم الانتهاء من الزيادة هذه سنة ٢٨١ هـ ، أما التوسعة الاخيرة فهى الزيادة التى حدثت عند باب ابراهيم زمن خلافة المقتدر بالله العباس سنة ٣٠٧ هـ من الجهة الغربية للمسجد . (٣)

---

١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٣٦ .
الفاكهى : المنتقى ، ص ١٢٧ .
٢) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ٣٠٩ .
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٦ .
باسلامه : عمارة المسجد الحرام ، ص ٤٤ .
٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٣٥ .
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٣٦ .
باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٤٥ .

ولم تطـرأ بعد ذلك أى توسعة جديدة حتى زمن سلاطيـــــن المماليـــك . [١]

أما الاصلاحات فقد اقتصرت على النوافذ والابواب والقناديل حتـــى نهاية هذا البحث .

وللمسجد الحرام أربع منائـر رئيسية شـــيدت زمن عبد الملك بـــن مروان . وأنشـئت المنارة الخامسة زمن الخليفـــة أبى جعفر المنصور على باب العمره . [٢]

وقد قام ابنه من بعده بانشــاء منارة سادسة على با ب الســلام . ثم أنشـــأ وشــــيد قايتباى المنارة السابعة[٣] والتى بقيت حتى يومنا

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٣٦ .
الخزرجى : العقود اللوءلوءية ، ج ١ ، ص ١٢٨ .
الفاسى : العقد الثمين ، ج ٧ ، ص ٢٦٩ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .
٢) الفاسى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٩٤ .
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٤٧ .
٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٣٧ .
باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٤٧ .

هذاء شاهدة على براعة ماقام به الخلفاء والسلاطين والأمراء من أعمال عظيمة لمكان عظيم من بناء وتشييد وزيادة وزخرفة احتفاء به لما له من مكانة فى قلوبهم وأيضا لطبع خلافتهم بطابع دينى أمام جموع المسلمين فى أمصار الدولة الاسلامية .

* *

توسعة المسجد النبوى وعمـــارته

حين تمت هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى يثرب الذى سماهـــا طيبة يتمنا واستبشـارا • كان أول عمل قام به فيها أن اختط مسجـــده الشـريف وسط دور الانصار وقد بنى حوله حجرات أزواجه رضى اللـــه عنهـــن • (١)

وقد ضـرب النبى صلوات الله وسلامه عليه أروع الامثلة والمثالية فـــى العمل والمشـاركة بنفسه فى تشـــييد هذا المسجد وعمارته وقد شاركـــه الصحابة والمسلمون عمله • (٢)

هذا وقد جعل مواد بنائه أن يبنى من اللبن واستخدم فى سقفـــه واسطواناته النخيل فجعل سقفه من الجريد المغطى باللبـــن، واسطواناته من خشبه الاسطوانى الشكل وبعد أن انتقل الوسول صلى الله عليه وسلـم الى الرفيق الاعلى • (٣)

---

١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ، ص ١٦٣ •
المراغى : تحقيق النضرة ، ص ٣٢ •
ابن النجار : الدره الثمينة ، ص ٥٨ •
٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ، ص ١٦٤ •
العباسى : عمدة الاخبار ، ص ٥٨ •
ابن النجار : الدره الثمينة ، ص ٥٩ •
السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ ١ ص ٣١ •
٣) السمهودى : وفاء الوفا ، ص ١٧٨ •
المراغى : تحقيق النضره ، ص ٣٤ •

خلفه أبوبكر رضى اللـــه عنه فلم يزد على ماذان عليه أيام النبى صلى الله عليه وسلم . (١)

وحين آلت الخلافة الى عمر رضى الله عنه قام بتوسعته من جهة القبلـــة أخذا من اشارة النبى الى التوسعة من جهة القبلة فلقد سمع النبـــى صلى الله عليه وسلم يقول : (لو زدنا فى مسجدنا هذا وأشار بيـــده نحو القبله) وقد أقام أساسه بالحجارة فى جوف الارض بعمق ثلاثـــة أذرع . (٢)

وقد أقام بنيانه من اللبن فوق الحجارة وسقفه بالجريد وعمده بخشـــب النخل ، ولم يغير فى الابـــواب شـــيئا عما كانـــت عليه مـــن قبـــــل . (٣)

---

١) ابن النجار : الدره الثمينة ، ص ٦٠ .
العباس : عدة الاخبار ، ص ٧١ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٣٧٠ .

٢) العباس : عدة الاخبار ، ص ٧٢ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٣٧١ .
ابن النجار : الدره الثمينة ، ص ٣١ .

٣) السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٣٥ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٣٧٣ .

وفى خلافة عثمان بن عفان زيد المسجد زيادة هائلة ولكنه جعل مادة البناء الحجارة لشكوى الناس من ضيق المسجد مرة ثانية وخاصة فى المواسم الدينية للمسلمين الاسبوعية والسنوية كل عام .(١)

وقد غير الوضع عما كان عليه من قبل فوضع الاسطوانات الحجرية بدلا من خشب النخيل .(٢)

وقد زاد فى مساحته من الجهة الشامية خمسين ذراعا ، ومن جهة المشرق ستين ذراعا ، ومن جهة المغرب خمسين ذراعا ، ومن جهة الجنوب مائة ذراع ، ولم يزد من أبوابه ، بل زاد من عدد نوافذه .(٣)

هذه جملة مازيد فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه

---

١) السمهودى : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ .
المراغى : تحقيق النصره ، ص ٤٧ .
ابن النجار : الدره الثمينة ، ص ٣٨ .
٢) المراغى : تحقيق النصره ، ص ٤٧ .
٣) المصدر السابق ،ص ٤٨ .

وحين تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة أمر واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز بأن يزيد فى المسجد النبوى من جهة المشرق والمغرب ، وشراء الدور المجاورة بعد دفع الثمن لذويها فأدخلت على أثر هذا حجرات أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، وثلاث دور لعبد الرحمن بن عوف ، دار عبد الله ابن مسعود ، ومن جهة الغرب دار طلحة بن عبيد الله ، ودار عمار ابن ياسر ، ودار العباس بن عبد المطلب . (١)

وأمر بارسال الأعمدة الرخامية من الشام ، والفسيفساء من مصر ، وخمرة النوره فى المدينة . (٢)

وأقيم الأساس من الحجارة والرصاص ، والحديد وبنى الجدار بالحجارة

---

١) السمهودى : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .
المراغى : تحقيق ، ص ٤٩ .
٢) ابن النجار : الدره الثمينة ، ص ٦١ .
العياشى : عمدة الأخبار ، ص ١٠٣ .
السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٣٩ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .

المنقوشة التى حشيت بالرصاص فأصبح طول المسجد بعد ذلك مائة وثمانين ذراعا ، مائه وعشره من ناحية الشمال . (١)

ونقشت جدره بالفسيفساء ، وبذلك أدخل قبر النبى صلى الله عليه وسلم ضمن المسجد . (٢)

هذا وأقيم أربع منائر فى زوايا المسجد . (٣)

وفى عهد الخليفة أمر جعفر المنصور سنة ١٤٠ هـ تصدع جدر المسجد فأمر بتجديدها . (٤)

وفى عهد ابنه الخليفة المهدى سنة ١٦١ هـ ضيق المسجد بحجاج الموسم فأمر واليه على المدينة جعفر بن سليمان بن على العباس بزيادة المسجد من جهة الشام مائة ذراع والشرق والغرب والقبلة خمسون ذراعا ، ورفع جداره ذراعين عما كان عليه من قبل والنص الآتى يبين

---

١) ابن النجار : الدره الثمينة ، ص ٦١ .
السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ، ص ٣٠١ .
٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ، ص ٣٠٢ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، جـ ١ ، ص ٣٧٥ .
٣) السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ ١ ، ص ٣٧٥ .
السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ، ص ٣٠٢ .

ماقام به من انشاء وزيادة (١) واليك نص النقش الخاص بأمر الخليفة :

(((أمر عبد الله المهدى أمير المؤمنين أكرمه الله وأعز نصره بالزيادة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحكام عمله ابتغاء وجه الله عز وجل والدار الآخرة أحسن الله ثوابه بأحسن الثواب والتوسعة لمن صلى فيه من أهله وأبنائه من جميع المسلمين فأعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوى من حسنته فى ذلك وأحسن ثوابه " انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر " .

وكان مبتدأ ما أمر به عبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين أكرمه الله من الزيادة فى مسجد الله صلى الله عليه وسلم فى سنة اثنتين وستين ومائة ، وفرغ منه سنة خمس وستين ومائه ، فأمير المؤمنين أصلحه الله يحمد الله على ما أذن له واختصه من عمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسعته حمدا كثيرا ، والحمد لله رب العالمين على كل حال))) .

---

١) وقد ذكر هذا النص المراغى فى كتابه تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة ص ٥١ كما أوردها ابن النجار فى كتابه الدر الثمينة ص ٦٣ وأن كلا من ابن النجار والمراغى قد نقلا عن رواية ابن زباله ويقال بأن هذا النص كان منحوتا فى احدى اسطوانات المسجد النبوى الشريف ولكنها غير موجودة فى الوقت الحاضر .

ثم استمر بعد ذلك خلفاء البيت العباس فى ارسال الاموال الى ولاتهم فى المدينة لاصلاح وترميم مايتصدع من المسجد . (١)

ولما حج نور الدين محمود بن زنكى سنة ٥٥٥ هـ أمر بعمل خندق حول الحجرة الشريفة وقد صب فيه الرصاص وفى خلافة الناصر لدين الله العباس عمر المسجد النبوى الشريف بواسطة ارسال النقاشين والصناع من بغداد سنة ٥٧٦ هـ لعمارة المسجد . (٢)

وأرسلت القناديل التى صنعت وهيئت لاضاءته .

ولقد احترق المسجد ولم يبق منه الا الحجرة الشريفة وذلك فى عهد الخليفة المستعصم بالله سنة ٦٥٤ هـ ، فأمر بعمارته سنة ٦٥٥ هـ وأكمل زمن السلطان المنصور

---

١) المراغى : تحقيق النصرة ص ٥٢ ، ٥٣ .
٢) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

عمــر بن رســول صاحب اليمن وانتهت عمارته سنة ٦٥٧ هـ بعــد أن أنفق على عمارته أموالا طائلة . (١)

* *

١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ، ص ٣٢٠ .
الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، جـ ١ ، ص ١٤٣ .
يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، جـ ١ ، ص ٤٤٣ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، جـ ١ ، ص ٣٨٦ .

بناء المساجد وتجديدها

أ ـ المساجد بمكة :

مسجد التنعيم :

أشهر هذه المساجد الذى يقع فى منطقة التنعيم خارج حدود مكة المكرمة .

وينسب الى السيدة عائشة رضى الله عنها .

ولايكاد يعرف من بنى هذا المسجد . والذى أمر بتجديد بنائه هو الخليفة المقتدر بن الراضى سنة ٣١٥ هـ والذى قام بتعمير الاعلام التى تحدد نهاية حدود الحرم ، وبداية حدود الحل والدة الخليفة المقتدر العباس . (١)

ويذكر لنا فى كتابه تحقيق النضرة (٢) . أن زوج الملك المنصور صاحب اليمن أمرت بتجديد مسجد السيدة عائشة سنة ٦٤٥ هـ وأيضا بانشاء حوض خلف المسجد لتخزين الماء ، وقد بنى بالحجارة .

---

١) ابن النجار : الدره الثمينة ،ص ٧٨ .
السخاوى : التحفة اللطيفة ،ج ١ ص ٥٨ .
٢) المراغى : تحقيق النضره ص ٥٧ .

ويؤكد لنا هذا القول ماذكره ابراهيم رفعت فى كتابه مرآة الحرمين بأنه شاهد هذا الخزان الذى شيد لخدمة المصلين بالمسجد . (١)

مسجد نمره :

يسمى هذا المسجد بمسجد عرنه ويقع على حدود عرفه وهو مسجد كبير يتسع لجمع غفير من المسلمين .

وقد شيد أروقته الخليفة الرشيد . (٢)

ثم جدد بأمر من الخليفة المعز لدين الله الفاطمى وأيضا زمن السلطان صلاح الدين الايوبى وأخيرا أصلح السلطان نور الدين عمر بن رسول مابه من خراب سنة ٦٤٢ هـ . (٣)

---

١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٣٩٧ .
٢) ابن النجار : الدره الثمينة ص ٧٨ .
العباس : عمدة الاخبار ، ص ٨٩ .
٣) السمهودى : وفاء الوفا ج ٢ ص ٣٤٤ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٤٠٠ .

مسجد الصخرات :

سمي بهذا الاسم لوقوعه وسط الصخرات الثلاث ويقع أسفل جبل الرحمة . (١)

هذا ولم تحدثنا المصادر التاريخية عن أمر بنائه وتجديده فلا تزال جداره مهدمة حتى يومنا هذا . (٢)

مسجد الكبش :

ويقع بمنى على يسار الذاهب الى عرفه وسمي بهذا الاسم لموقعه بمجر الكبش ، وتيمنا بما أفدى الله به نبيه اسماعيل حين شرع أبوه الخليل على تنفيذ أمر ربه بذبحه عليهما السلام . (٣)

وجدد بأمر من الحاكم بأمر الله الفاطمي . ثم جدده الخليفة الناصر لدين الله العباسي .

---

١) الازرقي : تاريخ مكة ، ج ٢، ص ١٣٩ .
الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ١٧٧ .
السباعي : تاريخ مكة ،ج ١ ص ٧٤ .
٢) انظر ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ،ج ١ ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .
٣) الازرقي : تاريخ مكة ، ج ٢ ،ص ١٣٠ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ص ٤٦ .

مسجد البيعة :

وسمى بهذا الاسم نسبة الى ماوقع فيه من بيعة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا المكان قرب العقبة بداخل شعب نهاية حدود منى.(١)

والذى أمر ببنائه فى هذا المكان هو الخليفة أبو جعفر المنصور العباس. وقد جدد بناؤه سنة ٢٤٤ هـ ، وفى سنة ٦٢٩ هـ جدد بناؤه بأمر من الخليفة المستنصر العباس.(٣)

مسجد منى :

ويسمى مسجد الـ . ويذكر لنا الفاسى (٤) بأن هذا المسجد يقع قرب دار المنحر يمين الصاعد الى عرفه ، ولقد أمر ببنائه وتشييده الخليفة

---

١) الفاكهى : المنتقى ص ٧٦ .
الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ص ١٨٦ .
السباعى : تاريخ مكة جـ ١ ص ٩٧ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٥٧ .
٢) الفاكهى : المنتقى ص ٧٧ .
٣) ابن فهد : ورقة ٢٦٥ .
الفاسى : العقد الثمين جـ ٧ ص ٢٨٩ .
٤) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ص ١١٧ .

المهدى وجدده أيضا الملك المنصور صاحب اليمن سنة ٦٤٥ هـ وشيد له أربعة أروقة . (١)

كما يذكر لنا ابراهيم رفعت أنه شاهد نصا يؤكد عمارة الملك المنصور صاحب اليمن مكتوب فيه مايلى :

((هذا مسجد سيدى الاولين والآخرين صلى فيه الضحى ونحر هدية فيه : ان الملك قطب الدين أبا بكر ابن الملك المنصور عمر بن على ابن رسول صاحب اليمن أمر بتجديد عمارته بعد زيارته فى سنة ٦٤٥ هـ)) (٢).

مسجد الكوثر :

ويقع هذا المسجد بمنى . وقد عمر زمن الخليفة المعتمد سنة ٢٥٦ هـ وقام بتجديده الوزير محمد بن على المعروف بالأصفهانى سنة ٥٥٩ هـ (٣).

---

١) الفاكهى : المنتقى ص ٧٨ .

٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، جـ ١ ، ص ٤١٧ .

٣) الفاكهى : المنتقى ص ٨٠ .

النهروالى : الاعلام ص ٤٣ .

وقامت بتجديد بنائه والدة الخليفة الناصر لدين الله العباسي .(١)

وجدد بناءه أيضا الملك المنصور صاحب اليمن سنة ٦٤٧ هـ.(٢)

هذا ومع سردنا لمساجد مكة الا أنه توجد مساجد أخرى أشهرها :

مسجد الرايه :

ويقع بأعلا مكة ، .

و مسجد الجن :

ويقع هذا المسجد بنهاية سور مكة وهو الذى استمع فيه الجن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان يتلو القران الكريم .

ولقد تحدث القران الكريم مبينا ومفصلا بلسان عربى مبين هذا المشهد فيقول تبارك وتعالى : ((قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا

---

١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١١٨ .
٢) الخزرجى : العقود اللوءلوءية ، ج ٢ ص ٦٩ .
يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ج ١ ص ٤٣٣ .
الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ١٢٣ .

سمعنا قرانا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولــن نشرك بربنا أحـــــد ا الآيــات)) ويوجد أيضا بمكة مسجد بلال بن رباح بأعلا جبل قبيس عنــد مشق القمر. (١)

وأيضا يوجد مسجد أبى بكر الصديق بأسفل مكة .

وهذه خلاصة أشهد مساجد مكة القديمة .

* *

---

١) الفاسى : شـفاء الغرام ج١ ص١٢٣ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج١ ص٢٠٧ .
السباعى : تاريخ مكة ج١ ص٧٤ .

ب ـ مساجد المدينة المنورة :

مسجد قباء :

هذا هو أول مسجد أسس على التقوى وكان أول عمل قام به النبى صلى الله عليه وسلم عند وصوله الى قباء فى هجرته الى المدينة المنورة . (١)

وجدد بناؤه فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وللمسجد أهمية اسلامية وذكرى طيبة تهفو اليها نفس كل مؤمن ، ولعموم زائرى المدينة . (٢)

ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

((من تطهر فى بيته ، ثم أتى مسجد قباء ، فصلى فيه ركعتين كان له كأجر عمره)) .

وفى عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك جدد المسجد وزيد فى توسعته . فأرسلت الاسطوانات من دمشق

---

١) ابن النجار : الدرة الثمينه ص ٧٩ .
٢) المصدر السابق ص ٨٠ .

كما جدد بناؤه فى عهد أبى جعفر المنصور (١).

وفى سنة ٥٥٥ هـ أمر نور الدين محمود زنكى بتجديد بنائه بعد أن أحضرت له أساطين رخامية من بلاد الشام. (٢)

مسجد القبلتين :

ويقع هذا المسجد فى الشمال الغربى للمدينة المنورة على حافة وادى العقيق.

ويقال ان الذى جدد بناءه أخيرا هو الملك المنصور صاحب اليمن سنة ٦٤٧ هـ. (٣)

مسجد الفتح :

ويسمى بمسجد الأحزاب ويقع فى مكان الخندق صاحبه تسمية غزوة الخندق

---

١) المصدر السابق ص ٨١ .
٢) المراغى : تحقيق النصرة ص ٥٩ .
السمهودى : وفاء الوفا ج ٢ ص ٣٥٤ .
٣) المراغى : تحقيق النصره ص ٦٠ .
العباس : عمدة الأخبار ص ١٠٣ .
السخاوى : الدره الثمينه ج ١ ص ٨٨ .

تبعا لهذا المكان وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم فيه فاستجاب الله دعاء ، والذى قام بتعميره عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه حين كان واليا على المدينة فى عهد الوليد بن عبد الملك اذ شيد أروقته (١) وفى سنة ٥٧٥ هـ جدد الأمير أبو الهيجاء أيضا بناء ، وشيد قبابه ، وأعمدته الرخامية ، وعقودا محكمة بين أعمدته . (٢)

مسجد الاجابة :

ويقع شمال البقيع قرب قرية بنى عوف من الأوس وترجع سبب هذه التسمية الى أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى فيه ودعا الله فاستجاب الله له ، ولذا سمى مسجد الاجابة . (٣)

مسجد المائدة :

ويقع هذا المسجد شرقى المدينة وأقيم على شكل مائدة الطعام .

---

١) السخاوى : التحفة اللطيفة ص ٨٩ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٤٢٠ .
٢) ابن النجار : الدره الثمينة ص ٨٠ .
٣) المصدر السابق ص ٨٢ .

وكان يسمى أولا باسم مسجد الجمعة لأنّ النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه أول جمعة بالمدينة وحين جدد بناؤه شيد على شكل مائدة فسمى باسمها. (١)

* *

---

١) المراغى : تحقيق النصره ص٦٣ .
الانصارى : آثار المدينة ص١٢٣ .

مساجد جده والطائف

يوجد فى وسط جده القديمة أربعة مساجد أقدمها المسجد الجامع .

وهذه المساجد أنشئت مع بداية القرن الخامس الهجرى حين تعطل ركب الحاج المصرى البرى . فأصبح طريق الحجاج الى جده عن طريق البحر . (١)

ولذا اهتم الامراء بانشاء المساجد فى جيره لازدحام المصلين بها فترة الموسم . (٢)

ولم تذكر لنا المصادر التاريخية السنوات التى أنشئت فيها المساجد ولا سنوات تجديدها .

أما الطائف ، فقد اهتم خلفاء البيت العباس بنباء

---

١) ابن جبير : الرحلة ص ٣٦ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ١٧ .
٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٢ .

المساجد فيه اذ أمر الخليفة أبو جعفر المنصور ببناء مسجد عبد الله ابن العباس رضى الله عنهما سنة ١٣٨ هـ الذى يقع قرب داره لهجرته من مكه الى الطائف زمن خلفاء بنى أميه . (١)

ثم سار على نهجه الرشيد الذى أمر بتوسعة المسجد سنة ١٨٤ هـ ، وأخيرا قام بتجديده الخليفة الناصر لدين الله العباسى (٢) ، ثم السلطان المنصور صاحب اليمن اذ جدده وجدد أيضا بناء مأذن فى سنة ٦٤٨ هـ . (٣)

وهناك مسجد الهادى الذى ينسب الى الخليفة العباس الهادى بن المهدى الذى جدد بناءه ولم تذكر لنا المصادر التاريخية شيئا عن تجديد بنائه فيما بعد .

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٥٦ .

٢) الفاكهى : المنتقى ص ٨٧ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ١ ص ١٠٤ .
الخزرجى : القود اللوء لوءية جـ٢ ص ٧٣ .

٣) الفاكهى : المنتقى ص ٨٧ .

مسجد المثنـاه :

وهو الذي يوجد فيه أثر كـوع الرسـول صلى اللـه عليه وسـلم ويقع هذا المسجد بطرف وادي الوهط بالطائف في قرية المثناه . (١)

وقد اصطلح على تسميته باسم مسـجد الكـوع لوجود أثر كـوع الرسـول صلى الله عليه وسلم داخل صخرة فيه ولم تحدثنا المصادر التاريخية عن بنـاء أو من أمر بتجديد بنائه . (٢)

* *

---

١) الفاسي : شـفاء الغرام ج ١ ص ١٩٨ .
النهروالي : الاعلام ص ٨٣ .
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٩٣ .
٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ١٦٠ .

بناء الاسوار حول المدن

امتازت المدن الاسلامية منذ بداية القرن الثالث الهجرى حتى سقوط الخلافة العثمانية ببناء الاسوار حول المدن وكان القصد منها حماية المدينة من اعتداءات القبائل عليها .(١)

ونخص فى هذا البحث الحديث عن أسوار مدن الحجاز وأهمها سور مكة .

كان يحيط مكة سورا من أعلاها الى أسفلها ويقع هذا السور بعد مسجد الجن وله باب محكم يسمى باب المعلاه .

ويمثل آخر حدود المدينة وآخر دورها ويأتى بعد

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢١٥ .
المقريزى : الخطط جـ١ ص١١٣ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ ١ ص١٠ .

السور ردم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو لحماية وادى ابراهيم من سيول الأمطار العارمه التى تجتاح مكة .(١)

ومن جهة الشمال تقع القراره وبها الباب الشامى ومن ناحية الشبيكه بعد جبل الكعبة يقع السور وبه باب الشبيكه .(٢)

ومن الجهة الجنوبية بعد بركة الماجن يمتد السور ويقع به الباب الجنوبى .(٣)

ولم تحدثنا المصادر التاريخية عمن بنى هذا السور ؟

ويذكر لنا الفاسى (٤) فى كتابه شفاء الغرام « أن الشريف أبا عزيز قتاده بن ادريس هو الذى قام بتجديده من الجهة الشرقية .

---

١) الأزرقى : تاريخ مكة ج ٢ ص ١٤٥ .
٢) النهروالى : الاعلام ص ٩٥ .
الفاكهى : المنتقى ص ٨٢ .
٣) الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ١١ .
النهروالى : الاعلام ص ٩٦ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ١٧٢ .
٤) الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ١٢ .

ويذكر لنا الفاكهى فى كتابه أن سور مكة كان موجودا زمن خلافة المقتدر العباس سنة ٢٩٥ هـ وهذا الرأى هو الأرجح .

وجدد بناء هذا السور من جهة الشبيكة الملك المظفر صاحب اربل سنة ٦٠٧ هـ وهو الذى مهد الجبال التى تقع طرف هذا السور. (٢)

سور المدينة :

حينما تعرضت مكة لاعتداء القرامطة طلب أمير المدينة من الخليفة المقتدر بالله العباس ببناء سور حول المدينة وذلك لحمايتها من أى اعتداء يقع عليها فأمر الخليفة فى سنة ٣١٨ هـ ببناء سور حول

---

١) الفاكهى : المنتقى ص ٨٤ .

٢) ولد أبو سعيد مظفر الدين كوكبرى بن الأمير زين الدين أبى الحسن على كسجك بن بكتكين فى السابع والعشرين من المحرم سنة ٥٤٩ هـ وهنا اختلاف فى لقبه ، فالذهبى فى كتابه تاريخ الاسلام ورقة ١٨٣ يطلق على اسمه كوكبرى وابن خلكان يطلق عليه كوكبورى لاعتقاده بأنها كلمة تركية مكونة من كوك يعنى أزرق ، وبرى تعنى ذئب ويقصد بها ذئب أزرق انظر بن خلكان وفيات الأعيان ص ٢٧٧ .
محسن محمد حسين ، اربل فى العهد الأتابكى ص ١٣٩ بغداد ١٩٧٦ .

المدينة على أن يكون سورا منيعا حصينا يحيط بها من جميع جوانبهـا .

وقد وضع له أربعة أبواب : (١)

الأول : باب البقيع بالمشرق .

والثاني : الباب الشامي ويقع من الشمال . (٢)

والباب المصري : يقع غربـا .

والباب الجنلوس : يقع جهـة القبلـة . (٣)

وفي سنة ٣٧٢ هـ تم تجديد بناء هذا السور بأمر من عضد الدولة بن بويه زمن الخليفة الطائع بأمر الله العباس وفي سنة ٥٥٥ هـ جدد بناء هذا السور على نفقة نور الدين محمود زنكي حينما أتى لزيارة المدينة المنورة . (٤)

---

١) السمهودي : وفاء الوفا جـ ٣ ص ٧٩٠ .
المراغي : تحقيق النصره ص ٩٦ .
السخاوي : التحفة اللطيفة جـ ١ ص ١١١ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٤٠ .

٢) السمهودي : وفاء الوفا جـ ٣ ص ٧٩٤ .
المراغي : تحقيق النصره ص ٩٧ .
العباسي : عمدة الأخبار ص ٢٥٣ .

٣) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ص ٤٤٧ .

٤) المراغي : تحقيق النصره ص ٩٨ .

وفى سنة ٦٤٦ هـ جدد بناء سور المدينة بأمر من الملك المنصور بن رسول صاحب اليمن .(١)

أما مدينة جده والطائف ،فلم ينشأ لها أسوار فى الفترة الزمنية التى تخص هذا البحث .

ولكن تم بناء أسوارها زمن سلاطين المماليك حينما أصبحت جده مينا هاما للحجاز فاهتم سلاطين المماليك بها فبنوا حولها أسوارا كمافعلوا ذلك حول الطائف أيضا .

* *

---

١) الخزرجى :العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ٩٨ .

الفصل الخامس

الحياة العلمية في بلاد الحجاز

أ _ الحياة العلميـــــة :

لبلاد الحجاز دور قيادى فى الحركات العلمية وفى الحفاظ على التــراث الاسلامى والعربى . وفى العقيدة الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى وقتنـــــــا الحاضـــــر. (١)

وتعددت المراكز العلمية بين حلقات بالمساجد وأخرى خارجها مثـــــل المدارس وقد بدأت الحركة العلمية بالحجاز ممثلة فى حلقات العلم بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى المسجد الحرام ،وقد لعبت الحلقات دورا كبيرا فـــــى الحياة العلمية والثقافية وظلت المساجد تقوم بدور فعال فى تطور الأمة الاسلامية فكريا وحضاريا منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين (٢) ، الذين تولوا أمر الحركة العلمية فى المسجدين الحرام والنبوى الشـــــــــــريف اعتمادا على الكتاب والسنة فى جميع المعاملات والعبادات والعقيدة . (٣)

---

١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ج ٣ ص ١٥٨ .
مرزوق بكرى : المسجد محور للنشاط ،ص ٤٦٠ رسالة المسجد .

٢) النهروالى : الاعلام ص ٧٨ .
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ص ٦٦ .
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٩٣ .

٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٠ .
أحمد سيف : عمل أهل المدينة ص ٣٥ .

ومنذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم نجد التابعين وتمسكهم بآثـــار الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . فنجد الامام مالك يتتبع منهاج الرســول صلى الله عليه وسلم فى أوائل القرن الثانى الهجرى ، ثم يسير علـــى منهاجه طلبته ، حتى أصبح متعارفا بعمل أهل المدينة .(١)

وساعد على ذلك كثرة الصدقـات التى تفد اليها من قبل التجـــار والقضاة والخطبـــاء والتى كانت تعطى للمجاورين . بالاضافة الـــى ذلك فريضة الحج . فقد كان يفد مع الحجاج علماء من جميع أقطـــار العالم الاسلامى . فتقام فى مكة المناظرات العلمية ، فيتدارس العلماء أحوال المسلمين ،ومايتعلق بالعقيدة الاسلامية . ويأخذون عن بعضهـم علم القراءات ،والتفسير والحـــــديث والفقـــــه وعلـــوم

---

١) مرداد : نشر النور والزهور ، ج ١ ،ص ١١ .

Dohaish Abduliatif History of Education p. 33 .

أحمد سيف : عمل أهل المدينة ، الطبعة الاولى ١٩٧٧ ـ دار الاعتصام مصر ،ص ٣٧٢ .

اللغة العربية (١). ومنهم من يجاور ومنهم من يعود الى بلـــــد ه .
ويشعرون بما استفاده من علوم . وأما من يقيم فيدرس ويدرس ويجـــاور .
لذا فان المجاورين فى الحرمين أصبحوا يشـكلون جزءا من المجتمـــع
على مـر العصور. (٢)

حلقات العلم فى المسجد الحرام والنبوى الشـــريف :

قلنا ان حلقات العلم فى المسجد الحرام والمسجد النبوى الشـــــريف
قد لعبت دورا هاما فى الحياة العلمية والثقافية فى بلاد الحجاز . (٣)

ومن المفيد أن المسجد كان ولايزال يساهم مساهمة فعالة فـى تطويـــر

---

١) الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ٩٨ .
النهروالى : الاعلام ص ٨١ .
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ٩٦ .
محمد حسين يوسف : رسالة المسجد ص ٤٦٦ .
الشامخ : التعليم فى مكة والمدينة ص ١١ .

٢) أحمد أمين : ظهر الاسلام ص ١٨ .
حسين ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ ص ١٦٠ .
محمد الحسينى : الحياة العلمية ص ٩ـ١١ .

٣) شـوقى ضيف : تاريخ الادب عصر الدول والامارات ص ٥٢ـ٦٢ .
عبد الرحمن الحوت : رسالة المسجد ص ١٥٢ .
محمد الحسينى : الحياة العلمية ص ١٥ .

الحركـــات العلميـــة فكريـــا وحضـــاريا .(١)

ويذكر لنا ابن جبير موضحا لهذه الحلقات ، ومايدور فيها من علـوم دينية مختلفة ،وأهم هذه العلوم ، علم القراءات ، وتفسير القرآن ، والحديث الشريف ،والفقـــه ،والعلوم العربية ، وكان لعلم التصوف نصيب قليـــل فى هذه العلوم .(٢)

أما دروس الشـعر والعلوم العقلية كالمنطق ، والفلسفة ،فلم يكـــن لها نصيبمن حلقات العلم بالمسجد الحرام والمسجد النبوى الشـــــريف(٣)

ومن الجدير ذكره أن أروقة المسجد الحرام والمسجد النبوى الشـريف قد انتشـرت فيها حلقات العلم ، لأنّ المسجدين يمثلان المركز الاول للتوعيـة الدينية . فازدحمت الحلقات برجال الحديث والقراءات بسبب كثـــــرة وجود العلماء المجاورين بمكة والمدينة . الذين هاجروا اليهما لبعدهـما

---

١) محمد الشامخ : التعليم فى مكة والمدينة ص ١٩ .
السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٤٤ .
الحسينى : الحياة العلمية ص ٢٠ .
٢) ابن جبير : الرحلة ص ٦٧ .
٣) شوقى ضيف : تاريخ الادب العربى ـ عصر الدول ص ٦٣ .

عن الفتن والاضطرابات السياسية . (١)

وظل هؤلاء العلماء يؤدون رسالتهم فيهما جيلا بعد جيل .والدراسة في الحرم المكي والنبوي الشريف لم تنهج منهجا مقررا ، أو محددا فالمدرس هو الذي يقرر مايريد تدريسه لطلبته . وهو الذي يختار المنهج الملائم لهم . والدرس يعقد يوميا من قبل هذا الشيخ في المسجد وتضم الحلقة الجميع بلا تفرقة ، جاعلا البساطة والتواضع الواجب الأساسي تجاه طلبته .

ونلاحظ أن الطلبة يستمعون الى شيخهم ، فيناقشهم ويناقشونه. والطالب يدرس بجد واخلاص . لذا فان الدراسة تأخذ صبغة التنظيم . كما أنهم يستخدمون طريقة الاملاء والقراءة ودراسة الرواية والدراية . وقد كان لكل مذهب من المذاهب ركنا خاصا به في المسجد الحرام والمسجد النبوي

---

١) السباعي : تاريخ مكه ج ١ ص ٢١٧ .
عبد الرحمن الحوت : رسالة المجد ص ١٥٥ .
السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٤٦

الشـريف . [١] ويجتمع رجال كل مذهب على حدة للصـــلاة والدراســة معـــا .

وتحدثنا كتب المؤرخين وكتب الوفيات دائما عن مدى تحصيل طلبـة العلم . فهم لايحصلون على شهادات ،ولكن يحصلون على اجـــازات علمية من أساتذتهم . واتبع العلماء فى منح هذه الاجازات التقاليـــد العلمية فيقال : " وفيها توفى ... وكان شيخا جليلا ، اماما عالمـــا فاضلا ... منعكفا على العبادة ... والاشتغال بالله تعالى ... سمع من ... وتوفى ... " .

وهذا نموذج من أنواع الاجازات التى قام بمنحها العلماء ويذكرهـا المؤرخون ورجال كتب الوفيات . [٢]

---

١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ ص ١٩٠ .
الحسينى : الحياة العلمية ص ٣٢ .

٢) الطبرى : القرى لقاصد أم القرى ص ٤٧ .
الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ٣٩٢ .
ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٨٣ .
الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ٨٨ .
الباخرزى : دمية القصر ج ١ ص ٦ .
المكناس : درة الحجال ج ١ ص ١٥ .
الفيروزبادى : درة الحجال ج ١ ص ١٥ .

ومما تجدر الاشارة اليه أن هؤلاء العلماء لم يتقاضوا راتبا معينـــــا لقاء الدروس فى المسجدين ـ الحرام ، والنبوى الشـريف ـ كما أنهـــم لم يأخذوا من الطلبة صدقة أو زكاة لأنَّ تعليمهم كان فى سبيل اللـــه (١)

ومن المفيد ذكره أن حلقات العلم لم تكن تقتصر على الدرس ، بل كان يتم فيها مناظرة العلماء ، من المجاورين والوافدين عليهم من شتى أقطـــار العالم الاسلامى . وبهذا كانت تعقد فى الحرمين المكى والمدنى فى أوقـــات موسم الحج حلقات مختلفة من جميع العلوم النقلية والعقلية ومختلـــف المعـــارف . (٢)

ومن الملاحظ أن بيوت العلم قد انتشـــرت فى مكة المكرمـــة

---

١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ١٣٢ .
الأنصارى : تحفة المحبين والأصحاب ص ٢٢ .
السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ١ ص ٣٣ .

٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢١٥ .
الفاسى : العقد الثمين ، ج ٢ ص ١٠١ .
مرداد : نشر النور والزهر ج ١ ص ٤ مطبوعات نادى الطائف .
الحسينى : الحياة العلمية ص ٣٦ .

والمدينة المنورة ، وتوارثها أبناؤهم من بعدهم ،كما كان يتوارث بيوت الخطباء والائمة فى المساجد .(١)

أما عن المدارس النظامية فان هذه الحقبة التى تخص البحث قد انتشرت فيها المدارس بمكة المكرمة ، أما المدينة المنورة فلم تحدثنا المصادر عن المدارس التى أنشئت فيها خلال تلك الحقبة الزمنية .(٢)

* *

---

١) مرداد : نشر النور والزهر جـ ١ ص ١٧ .
الحوت : رسالة المسجد ص ١٥٧ .
٢) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٣٦٣ .
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام جـ ٣ ص ١٦٩ .
الحسينى : المدارس النظامية ص ٣٧ .

المدارس النظامية

١) مدرسة الارسوفى :

تبين لنا المصادر أن أول مدرسة انشئت فيها خلال تلك الحقبة الزمنية لهذا البحث هى مدرسة الارسوفى . ويذكر لنا الفاسى (١) فى كتابه شفاء الغرام أن تأسيس هذه المدرسة كان سنة ٥٧١ هجرية وأن مؤسسها هو العفيف عبد الله بن محمد الارسوفى .

كما يذكر لنا ابن ظهيرة (٢) أن تاريخ تأسيس هذه المدرسة هو سنة ٥٩٢ هجرية .

ويتضح لنا من وقفية هذا الرباط الذى يعود الى رقيبه وهو المعروف برباط العفيف صاحب هذه المدرسة ولكن ابا رقيبة قد نسب اليه أن الذى أوقف الارسوفى صاحب المدرسة وعن شريكه القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى سنة احدى وسبعين وخمسمائة . والحجر الذى على باب هذا الرباط يوضح هذا التاريخ .

---

١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ص ٣٣٠ .
٢) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٦٨ .

ومن المعلوم أن هذه المدرسة كانت تدرس المذهب الشـــــافعى اذ تعتبر أول مدرسة نظاميه تأسست فى مكة المكرمة (١) . وتقع عـــــند باب العمرة من جهة الشبيكة . أما الرباط فيقع أول المسفلة (٢).

٢) مدرسة الزنجبيلى :

وثانى المدارس النظامية التى أسست فى مكة هى مدرسة الزنجبيلى . وقد تم تأسيسها سنة ٥٧٩ هجرية عند باب العمرة . وبنى بجوارها ربـــاط خاص بسكن الدارسين فيها ويفصلها عن المسجد الحرام دار واحـــدة (٣) . ويذكر لنا ابن ظهيره أن تاريخ تأسيس بناء هذه المدرسة كان سنة عشـــرين وستمائة للهجرة . (٤)

---

١) الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٣٢ .
الفاكهى : المنتقى ص ٩١ .
النهروالى : الاعلام ص ٨٩ .
ناجى معروف : المدارس الشرابيه ص ٣٤٨ الطبعة الثانية ١٣٩٧ .
الحسين : الحياة العلمية ص ٣٨ .
٢) الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٣٦ .
٣) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٤٢ .
ابن الجوزى : مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٣٥ .
أبو شامه : الروضتين ج ٢ ص ٢٦ .
السخاوى : التحفة اللطيفة ج ٣ ص ٣٩٧ .
ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ٣٤٩ .
٤) ابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٦٨ .

ويذكر لنا صاحب كتاب شفاء الغرام أن الزنجبيلي توفي قبل سنة ٦٢٠ هـ [(١)]
ومن المرجح أن يكون التاريخ الاول هو التاريخ الصحيح لبناء هذه المدرسة
كما أن الرباط أوقف هذه السنة .

ويذكر لنا المؤرخون أن الدراسة فيها كانت على مذهب الامام أبي
حنيفة النعمان . [(٢)] وللمدرسة عدة أسماء منها : المدرسة الفخريه نسبة للأمير
فخر الدين والاسم المتعارف عليه هو مدرسة النزنجبيلي نسبة الى مؤسسها
فخر الدين عثمان بن على الزنجبيلي نائب عدن . [(٣)]

٣) مدرسة طاب الزمان :

سميت بهذا الاسم نسبة الى طاب الزمان الحبشية عشيقة المستنصر
العباسي ، أوقفتها سنة ٥٨٠ هجرية ، على أن يدرس فيها المذهب الشافعي
والارجح أن طاب الزمان الحبشية هي عشيقة المستضيء . وتقع هذه

---

١) الفاسي : شفاء الغرام ،جـ ٢ ص ٢٣٦ .
٢) الفاسي : العقد الثمين ، جـ ٨ ،ص ٢٦١ .
السخاوي : التحفة اللطيفة ،جـ ٣ ص ٣٩٨ .
ناجي معروف : المدارس الشرابيه ص ٣٤٩ .
٣) ناجي معروف : المدارس الشرابيه ص ٣٤٩ .

المدرسة بدار زبيدة ، وأوقفتها طاب الزمان وقصرتها على فقهاء الشافعية .(١)

٤) مدرسة النهاوندى :

تقع هذه المدرسة عند الدريبة . وقد أسست فى أوائل القرن السابع الهجرى . ولم تذكر لنا المصادر لماذا سميت بهذا الاسم . ومن هم فقهاؤها .(٢)

٥) مدرسة ابن أبى زكريا :

سميت بذلك نسبة الى على بن أبى زكريا ويعرف بأبى ظاهر المؤذن وأوقفها باسم الامام الشهيد ، ولايعرف شئ عن المدرسة سوى ماذكره الفاسى فى كتابه .(٣)

---

١) الفاكهى : المنتقى ص ١٠٤ .
النهروالى : الاعلام ص ٩٨ .
٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٤٤ .
الفاسى : العقد الثمين ج ١ ص ١١٨ .
معروف : المدارس الشرابيه ص ٣٥٠ .
٣) الفاسى : تحصيل المرام ورقة ٦٥ .
الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٠ .
ناجى معروف : المدارس الشرابيه ص ٣٥٠ .

٦) مدرسة ابى الحداد المهدوى :

وتعرف هذه المدرسة بمدرسة الاشراف الادارسة وتاريخ وقفيتها فى شهر ربيع الثانى سنة ٦٣٨ هجرية . أوقفت على المالكية ولايعرف من أوقفها ولاشرط وقفيتها . وكانت الدراسة فيها على مذهب الامام مالك .(١)

٧) المدرسة المظفرية :

فى سنة ٦٤١ هجرية ، أنشئت مدرستان فى مكة . الاولى المظفرية والثانية الفخريه (٢) وتعرف بأسماء عديدة "الفخرية - مدرسة الشلاج - أو المنصوريه - أو مدرسة السلطان " .

ويظهر لنا أن هذه الاسماء الخمسية ، أطلقت على هذه المدرسة نسبة الى الاسم واللقب ، أو نسبة الى الواقف أو المتولى أمر هذه

---

١) الفاسى : تحصيل المرام ورقة ٦٦ .
ناجى معروف : المدارس الشرابيه ص ٣٥٠ .
٢) الفاسى : شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٣٠ .

المدرسة . فالفخرية نسبة الى فخر الدين ، والشلاج نسبة الى فخر الدين الشلاج أمير مكة . والمنصورية نسبة الى المنصور صاحب اليمن ، الذى عمرها على يد الأمير فخر الدين الشلاج . ومدرسة السلطان نسبة الى السلطان السابق ، وتسمى المظفرية نسبة الى الملك المظفر صاحب اليمن .(١)

ويذكر ابن بطوطه (٢) فى رحلته عن هذه المدرسة أنه سكن بها وجلس فى حلقات الدرس . وكان مقيما فى الشباك الذى يشرف على المسجد الحرام ، وجلس فى حلقات درس الفقيه الزاهد الحاج أبو الحسن على بن رزق الله الانجرى من أهل طنجة .

ويصف ابن بطوطة (٣) هذه المدرسة فيقول : ان لها رواقين من الداخل ، رواق يشرف على الكعبة ، تجاه الركن اليمانى . والآخر يشرف على مخرج باب العمرة . وبداخلها فناء بنيت فيه بركة وسبيل باسم الملك المنصور صاحب اليمن .

---

١) ابن بطوطه : الرحلة ص ١٥٠ـ١٥٤ .
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٢ .
ناجى : المدارس الشرابية ص ٣٥٢ .

٢) ابن بطوطه : الرحلة ص ١٥٥ .

٣) المصدر السابق ص ١٥٦ .

ويضيف صاحبكتاب " العسجد المسبوك)[١] " ان أخت السلطان الملك المنصور صاحب اليمن وزوجته حجت سنة ٦٤٥ هـ . وسكنتا بهذه المدرسة طوال فترة اقامتهما بمكة . وانهما أمرتا بحفر بئر داخل المدرسة من أجل توفير المياه لطلبة هذه المدرسة لسقيا الطلاب . ولكى يظل السبيل مملوءا بالماء ، خدمة لطلب العلم .

ومن المعلوم أن الأمير شرف الدين الشرابى المستنصر العباسى بنى بمكة مدرسة على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب بنى شيبة واقف على هذه المدرسة كتبا كثيرة . وتاريخ وقفية هذه المدرسة سنة ٦٤١ هـ وظلت المدرسة حتى أواخر القرن العاشر الهجرى ثم أهملت بعد ذلك . وبنى بجوارها رباط على أن يكون ملحقا بالمدرسة وسكن للطلبة والدارسين .[٢]

---

١) الغسانى : العسجد المسبوك ص ٢١٠ .
٢) النهروالى : الاعلام ص ٢٥١ .
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ١١٨ .
ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ٣٧١ .

ويصف ابن فهد [١] فى كتاب اتحاف الورى بأن مكتبة هذه المدرسة كانت تضم كتبا نفيسة فى فنون العلم والمعرفة ٠

وذكر ابن بطوطة [٢] فى الرحلة وصفا للمدرسة وللرباط معا فيقول : انهما تتكونان من طابقين تقام بهما المدرسة ٠

كما يذكر صاحب كتاب المدارس الشرابية [٣] أنه لم يعثر على أسماء المدرسين أو الفقهاء بهذه المدرسة على الرغم من أنها ظلت تقام فيها الدراسة مايقرب من ثلاثة قرون ونصف منذ تأسيسها حتى زمن المؤرخ قطب الدين الدين النهروانى ٠

ويؤكد لنا صاحب كتاب المدارس الشرابية [٤] أنه أتى الى مكة لأداء الحج والعمرة سنة ١٩٥٤ ميلادية ، وبدأ يتجول عند باب السلام ، من الجانب الأيمن لملاحظة مابقى من أطلال هذه المدرسة الشرابية ، فرأى بقايا من المبانى القديمة ٠ كما وجد عددا من الحجرات الصغيرة تشبه

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٥٥ ٠
٢) بطوطه : الرحلة ص ١٥٨ ٠
٣) ناجى معروف : المدارس الشرابيه ص ٣٧٢ ٠
٤) المصدر السابق ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ ٠

الخلاوى • ويبدو أنها من حجرات رباط الشرابى • وهى تشبه فى الحجم والسعة ومادة البناء شرابية بغداد • وهذا يوضح أن التصميم والبناء فى كل من شرابية بغداد وواسط ومكة ،كان على أيدى مهندسين معماريين من العراق أوفدهم الشرابى لبناء المدارسه • كما أنه لاحظ الرباط الذى بجوار المدرسة ، والذى بناه وكيل الشرابى فى مكة الشهاب ريحان ، كما لاحظ أمكنة التدريس بهذا الرباط •

ويذكر بأن هذا الرباط ظل قائما حتى العهد العثمانى •

وكانت أوقاف الشرابى على طلبة هذه المدرسة والمدرسين بها قرى فى وادى مر وقرى أخرى فى وادى نخلة على أن يتم توزيع ريع هذه الأوقاف بشرط هذه الوقفية • (١)

وقد وقف الواقف على المدرسين والفقهاء والسكان بالمدرسة والرباط ماشتراه من حدائق فى وادى مر ووادى نخلة من أعمال مكه المشرفه•

---

١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٥٦ •
الفاكهى : المنتقى ص ٢٤١ •
النهروالى : الاعلام ص ٢٦٠ •
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ٢٦٧ •

وجعل ريع مايحصل عليه منها كل سنة ،خمسة أقسام ، قسم للمدرسين بالتساوى فيما بينهم وثلاثة أقسام للطلبة بالسوية ،والقسم الاخير يقسم ثلاثة أقسام : قسم يصرف على مصالح المدرسة من والماء . والقسمـــان الآخران يصرفان لخدمة المدرسة والمكتبة . (١)

ومن المعلوم أن هذه المدارس أنشئت فى مكة المكرمة اهتمت بدراسة العلوم الدينية وأهمها القرآن وعلومه فقد كان الشغل الشاغل للمدارس تدريس العلوم الدينية على المذاهب الاربعة فمدرسة الزنجبيلى اختصت بتدريس المذهب الحنفى . ومدرسة ابن الحداد بتدريس المذهب المالكى . وأما الشرابية فقد اهتمت بتدريس المذاهب الاربعة وعلوم اللغة . وأما المدرسة المظفرية فقد اختصت بتدريس فقه الشافعى وعلم الحديث والرواية . (٢)

---

١) ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ٣٧٦ .

٢) ابن بطوطه : الرحلة ،ص ١٥٤ .

الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٢٤٠ .

ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ،ص ١٠٥ .

النهروالى : الاعلام ،ص ٩٨ .

باقاسى : بلاد الحجاز ، ص ١٣٦ .

ومما تجدر الاشارة اليه أن هذه المدارس التى ظهرت فى مكة فى هذه الحقبة الزمنية أنشأها الحكام المسلمون من خارج مكة ولعل ذلك سببه الرئيسى مكانة مكة بالنسبة لقلوب المسلمين ولهجرة أكثر العلماء المهتمين بالعلوم الدينية الى مكة ولذا فان هذه الحقبة أدت الى رواج هذه المدارس وتولى هؤلاء الحكام أمر هذه المدارس وأوقفت أوقاف مختلفة لها

* *

الكتاتيـــــب :

للكتاتيب دور علمي هام في الحياة العلمية والثقافية في بلاد الحجـــاز ومن المعروف أن الكتاب ظهر كموءسسة تعليمية مع بداية نشـوء الدولـــة الاسلامية منذ بداية العهد الاسلامي • اذ يعتبر الكتاب هو الموءسســة التعليمية التي وجدت في المجتمع الاسلامي ليهتم بتربية الصغار • وسمــى بهذا الاسم لأن الطفل يتعلم فيه الكتابة والقراءة • ثم انتشر هذا الاسم حتــى صار متعارفا على أية موءسسة تعليمية تعتني بتعليم الصغار • [1]

ومن الواضح أن الكتاب نشأ مع نشوء المسجد ليسهم في نشر العلـــم والمعرفة ومع بداية نشوئه كان مقره المسجد • [2] ومن أهم العلوم التي ساهم الكتاب في نشرها ، قراءة القرآن الكريم ،وحفظه وتجويده • وجميع علمـــاء الدولة الاسلامية تتلمذوا في هذه الكتاتيب في بداية حياتهم • [3] فمثـــلا

---

١) النهروالي : الاعلام ص ٢٦٣ •
الشامخ : التعليم في مكة والمدينة ص ١٤ •
السباعي : تاريخ مكة جـ ١ ص ٢١٧ •
٢) مرزوق بكرى : المسجد محور للنشاط ص ٥٠٥ •
٣) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٣٦٣ •
الفاسى : شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٣ •

الامام الشافعى درس فى طفولته فى مكة . وقرأ على يد مقرئها الكبيـــــر ابن قسطنطين سنة ١٧٠ هجرية . (١) وحينما انتقل الى مصر سنة ١٩٨ هجرية ادخل الى المصريين قراءة المكيين وهى التكبير من سورة الضحى الى آخر القرآن الكريم بعد أن انتشرت فى مصر منذ الفتح الاسلامى قراءة ورش التى كانت تكون المدرسة المصرية فى القراءة (٢). وجاء الامام الشافعى فادخـــل لهم قراءة المدرسة المكية (٣) ومثال ذلك قراءة الآية : " ذلك ادنـــى ألا تعدلوا " وهى قراءة مكية . وأما القراءة المصرية " ذلك أدنـــى الا " وهناك أمثلة كثيرة فى اختلاف القراءتين . (٤)

وللمدرسة المدنية دور فى التحام المدرستين معا اذ أن ورش هو مـــن تلامذة المدرسة المدنية . والمدرسة المصرية تشبه الى حد كبير المدرسة المدنية

---

١) الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ٢١٠ .
ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ١٣٢ .
الحسينى : الحياة العلمية ص ٣٢ ، ٣٣ .
٢) ابن هشام : السيرة ج ١ ص ٤٣٤ .
خورشيد : القرآن وعلومه فى مصر ص ١١٢ ، ١١٣ .
دار المعارف بمصر ١٩٧٥ .
٣) السبكى : طبقات الشافعية ج ١ ص ١٨٨ .
٤) خورشيد : القرآن وعلومه فى مصر ص ١١٨ .

التى رفع لواءها نافع واستطاع تلامذته أن يجعلوا من قراءته مثلا آخر للمدرسة المدنية فى مصر ، وعلى رأسهم تلميذه ورش أحمد بن صالح الطبرى .(١)

وقد تتلمذ ورش على غير نافع مثل اسماعيل وعبد الحميد أبناء أخت الامام مالك .(٢) وبهذا فقد اشبهت المدرسة المصرية المدرسة المدنية فى وجوه القراءات المختلفة كالوصل والوقف والمد اللازم واثبات الالف فى الوصل .(٣)

ومن المعلوم أن تاريخ القراءات ارتبط ارتباطا وثيقا بقراءة مكة والمدينة ، فالمدرسة المصرية والبصرية والكوفية ومدرسة بغداد ودمشق تتشابه وتتحد فى قراءتها مع المدرستين المكية والمدنية (٤) والنظام المتعارف عليه فى الكتاتيب هو تعليم الاطفال قراءة القرآن ومساعدتهم على

---

١) خورشيد : القرآن وعلومه فى مصر ص ١١٨ .
٢) خورشيد : القرآن وعلومه ص ١٢٤ .
٣) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨ .
٤) خورشيد : القرآن وعلومه ص ١٤٠ .

على حفظه وتلاوته تلاوة جيـــدة .(١)

وقد سبق أن أوضحنا ذلك فى الباب الرابع من هذه الرسالة عنـــد الحديث عن العشر الأواخر من شهر رمضان ،واحتفالهم بحفظ أطفالهـــم للقرآن واحتفالهم فى أيام الوتر منها .

* *

---

١) الفاسى : شفاء الغرام ،ج ١ ص ٣٣٢ .
السباعى : تاريخ مكة ،ج ١ ص ٢١٨ .
الحسينى : الحياة العلمية ص ٣٣ .

حلقات الدرس فى الأربطة :

أما النوع الأخير من النظام التعليمى فهو حلقات الدرس فى الاربطة والزوايا • فان عموم الاربطة التى انشئت فى مكة والمدينة كان يسودها طابع الدراسة [١] ، لأن الذين يسكنون فى الأربطة هم طلبة العلم • كما كان يوجد اربطة خاصة للصوفية وأهمها رباط الخاتون الذى انشىء واوقف سنة ٥٧٧ هجرية • ومكتوب على بابه ان هذا الرباط أوقف وحبس على الصوفيه الرجال الصالحين من العرب والعجم • والذى أوقفه هى الشريفة فاظمة وهذا الرباط كانت تقام فيه حلقات الدرس والذكر والتدارس فيما بينهم [٢] •

ولا يتضح لنا مدى التقدم العلمى فى هذا الرباط فى نفوس الطلاب ، بل يظهر فى نفس الطلاب الحرارة الروحية والشوق للتقرب الى الله •

---

١) الفاسى : العقد الثمين جـ١ ص ٢٨٠ •
السخاوى : التحفة اللطيفه جـ١ ص ١٥٦ •
السبكى : طبقات الشافيه جـ٤ ص ١٨ •
٢) ابن العماد : شذرات الذهب جـ٤ ص ٨٥ •
السخاوى : التحفة اللطيفة ص ١٥٩ •

فربما يقضى الطالب فيه سنوات عديدة دون أن يصل الى درجة روحيه فيتخرج الطالب وهو غير صالح للتصوف • وربما يقضى طالب آخر فترة قصيره فيخرج من كبار أهل الطرق الصوفيه (١) •

وثانى هذه الأربطة التى اشتهرت بالتصوف رباط الحوزى الذى أوقف سنة ٦١٧ هجرية • وقد أوقف على الصوفية الفرس فقط دون غيرهم • (٢)

أما النوع الاخير من أنواع الدراسة وهو الأعم والاغلب فهو الدراسة فى المقامات الأربع فى المسجد الحرام (٣) • وفى الحرم النبوى اتخذ أصحاب المذاهب الاربعة زوايا فيه للدراسة والمناظرة • فيجتمع رجال

---

١) الفاسى : العقد الثمين جـ١ ص ٢٤٠ •
الخزرجى : العقود اللؤلوية جـ١ ص ١١٠ •
شوقى ضيف : تاريخ الادب جـ٥ ص ٤٨ •
٢) الفاسى : العقد الثمين ص ٢٥٨ •
الفاسى : شفاء الغرام جـ١ ص ٣٣٠ •
٣) عماره اليمنى : تاريخ اليمن ص ١٤٦ •
الفاسى : العقد الثمين جـ١ ص ٢٨٠ •
السباعى : تاريخ مكه جـ١ ص ٢٢٠ •

المذاهب كل على حده للدراسه والصلاة (١) . واخذ نظام الدراسة صبغة نظامية . واقيمت حلقات فى علم الحديث والتفسير وعلوم اللغة . فكان الطلبة يجلسون فى المقام كل حسب مذهبه ، ويستمعون من مشايخهم . ويتدرج هؤلاء الطلبه فى الاجازات حتى الطالب الى درجة علمية تتم فيها حفله عظيمه ، يقيمها مشايخه لاعطائه الاجازة الكبرى التى تجيز له التدريس فى الحرمين الشريفين (٢) .

* *

---

١) ابن بطوطه : الرحله ص ١٨٠ .

٢) الفاسى : العقد الثمين ج٢ ص ٨٥ .

السخاوى : التحفه اللطيفة ج١ ص ١٦٣ .

العــلوم العقليــــة :

تتمثل هذه العلوم فى علوم الفلســفة والرياضيات والطبيعة وأول العلماء الذين اشتغلوا بهذه العلوم من سكان الجزيرة العربية هو يعقوب بن اسحق الكنهى فقد صنف فى علوم الفلسفة والعلوم الطبيعيه والرياضيات (١) .

ويصف لنا ابن النديم (٢) فى كتابه الفهرست انه زاد فى هذه العـــلوم فصنف فى الطب والمنطق . وله مايقرب من مائتين واربعين كتاب . ويقول : انه ترجم أغلب هذه الكتب من اليونانية الى العربية .

ومن الملاحظ أن الكندى اشتهرت علومه بالبصرة التى تعلم بها وهـــو من أصل يمنـــى (٣) .

---

١) الخزرجى : العقود اللؤلوية ، جا ص ١٨٠ .
ابن الربيع : قرة العيون ، ج٢ ص ٦٨ .
السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٥٩ .
٢) ابن النديم : الفهرست ص ٦٢ .
٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٨ ص ١٠٨ .
خيرالدين الزركلى : الاعلام ج٦ ص ٢٣٧ .

ومن المعلوم أن اليمن تعتبر اكثر اقاليم الجزيرة العربية اشتراكا في مراكز العلوم . وفي بداية العصر العباسي الثاني برز عالم يمني هو أبو محمد الحسن الهنداوي الذي صنف المصنفات المختلفة . ومن أهمها كتاب " سرائر الحكمه " وهو يختص بعلم الفلك كما انه الف في الطب والانساب والتاريخ : وله كتب عديدة في علوم مختلفة [١] .

ومن الملاحظ ان الدعوة الاسماعيلية زمن الدولة الصليحية ساعدت على نشر علوم الفلسفة . ولقد اتخذت من رسائل اخوان الصفا داعية لنشر هذه العلوم . وبرز دعاة الفاطميين في هذه العلوم .

ولقد انتشرت علوم المعقولات والمحسوسات [٢] . ويبدو أنه بعد سيطرة الرسوليين على اليمن والحجاز برزت علوم الطب وعلوم الفلك والرياضيات والهندسة في هذه الفترة الزمنية . ويعود السبب الى تشجيع سلاطين بني رسول للعلماء ، واغداق الاعطيات والهبات لهم [٣] .

---

١) شوقي ضيف : تاريخ الأدب جـ٥ ص ٦٢ .
٢) المرجع السابق : ص ٦٣ .
٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ١ ص ١٨٦ .
ابن الربيع : قرة العيون جـ٢ ص ٦٧ .

عـــلم الملاحـــــة :

برز علـم الملاحـه في الجزيرة العربية في منتصف القرن الرابـــع الهجري . وبدأ يزدهر هذا العلم مع دراسة للرياح والشواطـــي والجزر في البحر الأحمر والمحيط الهندي . وهذا ساعد على اتصـــال الهند وجزر الهند الشرقية . وانتقال الحضارات بين الجزيرة العربيــة وهذه الأقاليم (١) . ومن أشهر هؤلاء البحاره هو شهاب الديـــن أحمد بن ماجد الذي ولد سنة ٨٣٠ هجريـة . وكان ينظم الشعـــر ويجيد النثر وله أراجيز وقصائد تبلغ العشرين كانت مخصصة في علــم البحار والفلك والملاحة . وألف كتابا في أصول علم البحر والقواعـد . وهو من ضمن مخطوطات مكتبة باريس (٢) . ويختص هذا الكتـاب فـــي الملاحـة والبوصـلة والاسطرلاب (٣) . ويعرض لكتب الملاحة التي قبله .

---

١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ١ ص ٢٠١ .
الغساني : العسجد المسبوك ص ٢٢٩ .

٢) شوقي ضيف : تاريخ الادب العربي جـ٥ ص ٦٣

٣) المرجع السابق : ص ٦٤ .

ويذكر ثلاثة من البحارين هم : سهل بن ابان ومحمد ابن شاذان وليث بن كهلان ، معتمدا فى ذلك على كتيب عثر عليه لسهل بن أبان كان تاريخه سنة ٥٨٠ هجرية (١) .

ومن الواضح أن ابن ماجد استفاد من هؤلاء الملاحين الذين سبقوه ، ويشيد بهم ، الا أن معارفهم البحريه تدل بأنها لم تتجاوز البحر الأحمر والخليج العربى . ويقول فى كتابه : ان هذا العلم قد توارثه عن ابيه عن جده ، لذا فان عائلته كانت تشتهر بالملاحظة . وهو ابرزهم لما صنفه من مصنفات (٢) .

ولقد استفاد الملاحون البرتغاليون من ابن ماجد وعن طريقه استطاعوا الوصول الى الهند (٣) .

---

١) حسين الصيرفى : علماء البحار العرب واصطلاحاتهم البحريه العدد ٢٤ مجلة مجمع اللغة العربية ص ١٤٢ .

٢) المرجع السابق ص ١٤٣ .

٣) شوقى ضيف : تاريخ الأدب جـ٥ ص ٦٢ .

العلوم الدينية :

(أ) التفسير والحديث والفقه :

من الثابت أن العلوم الدينية انتشرت فى جميع امصار الدولة الاسلامية. فالجزيرة العربية شاركت واشتركت فى نشر هذه العلوم والمعارف اذ انه لم توجد فوارق بين بلد وبلد . ولم يكن طلاب العلم مكتفين بالأخذ من علماء بلدهم ، بل كانوا يرحلون للقاء العلوم فى مصر والعراق والشام ليتلقوا العلم عنهم ، وحيث أن الحج والزيارة كانا ملتقى العلماء وطلاب العلم من جميع الاقاليم (١) فمثلا العالم الفقيه عبد الملك بن عبد الله النيسابورى كان من علماء الفقه ، أتى الى مكة وجاور بها سنة ٤٧٨ هجرية وظلت بها أربع سنوات قضى جزءا منها بالمدينة المنورة، ولقب بامام الحرمين . فكان يدرس ويجتهد فى فقه الامام الشافعى

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٣٤ .
ياقوت : معجم الأدباء جـ١٠ ص ٦٨ .
خورشيد : القرآن وعلومه ص ٢٣٠ .

حتى وصفه علماء بغداد بأنه وقف على المشرق والمغرب لعجزهم امامه في بعض المسائل الفقهيه (١) .

ولما بلغت شهرته في بغداد عاد الى بلده نيسابور اذ أمر نظام الملك وزير السلطان الب أرسلان ببناء مدرسة له في نيسابور . وكان يقوم بالتدريس فيها حتى يقال بان حلقته كان عدد طلابها مايقرب من أربعمائة طالب (٢) .

واشتهر في مكة علماء آخرون اشهرهم محب الدين الطبرى المكى لقب بشيخ الحرك المكى ولد سنة ٦١٥ هجرية . وتتلمذ على يد استاذه أبى الحسن بن على بن المقير درس على يده علوم الحديث . وبرع في علم الرواية . ثم قرأ صحيح مسلم على يد عبدالرحمن بن حرمى المشهور بالحافظ . وتتلمذ على أعامه من عائلة الطبرى امثال على بن يعقوب الطبرى . وتتلمذ على شيخ الحرم المكى

---

١) السبكى : طبقات الشافيه جـ١ ص ٢٤٨ .
ياقوت : معجم الأدباء جـ١٠ ص ٣٠٤ .
٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٧ص ٥٧٨ .
المكناسى : درة الحجاج جـ٣ ص ١٣٤ .

نجم الدين التبريزى . وهو الذى اسند اليه مشيخة الحرم المكى سنة ٦٤٩ هجرية[١] .

ومن تلامذته المحدث عبيد الله بن عبد العزيز المهدوى المكى ونجم الدين بن عبد الحميد وعلاء الدين العطار وشمس الدين بن مسلم الحافظ الدمياطى . وهو من قضاة المدينة[٢] . وقد برع تلامذته فى علم الحديث فى الحجاز وبغداد ومصر ، وقد استدعاه المظفر الرسول وسمع منه مؤلفاته ، وسمع منه علوم الحديث وصحح للملك المظفر كتاب العمده . وهذا الكتاب جمع فيه احكام الصحيحين وهو كتاب مختصر[٣] .

ومن أهم كتب الطبرى كتاب القرى لقاصد أم القرى وقد حققه الاستاذ مصطفى السقا جمع فيه احاديث المناسك من كتب السنة ، ولن كتاب آخر يسمى غاية الناسك من أحكام المناسك يصف فيه حجة النبى صلى الله عليه وسلم[٤] .

---

١) الفاسى : العقد الثمين جـ١ ص ٢٨٠ .
٢) المصدر السابق جـ٧ ص ١١٩ .
٣) الفاسى : العقد الثمين جـ٧ ص ١١٩ .
٤) مرداد : نشر النور والزهر جـ١ ص ٧٨ .

ومن مصنفاته الفقهيه شرحه على كتاب التنبيـه لابى اسحق الشيرازى .
وله مختصرات فى غريب القرآن منها : الكافى (١) .

ومن المفيد أن نذكر أن محب الدين الطبرى كان رمزا للحركة العلميـه فى بلاد الحجاز فى هذه الحقبـه الزمنيه . وسمعته فاقت جميع اقطـار الجزيرة العربية (٢) .

ومن المعلوم ان علوم التفسير نشطت نشاطا عظيما كعلوم الحديـث . فنلاحظ أن الطبرى خدم التفسير خدمات جليلة . وأهمها كتابه الجامع لتفسير القرآن . وقد توفى قبل ان يكمله ويتمـه (٣) .

وقد سبقـه من علماء التفسـير الامام الزمخشرى محمود بن عمر الـذى جاور بمكة قبيل فترة الطبرى ، ولقبـه الفاسى فى كتابه بانه الامام الكبيـر

---

١) أنظر الطبرى : القرى لقاصد ام القرى ص م تحقيـق مصطفى السـقا .
٢) الفاسـى : العقد الثمين جـ٧ ص ١٢٠ .
ابن العماد : شذرات الذهب جـ٥ ص ٢٢٦ .
مرداد : نشر النور والزهر جـ٢ ص ٣٦٦ .
٣) الفاسـى : العقد الثمين جـ٧ ص ١٢٣ .

فى التفسير اذ صنف كتابه الكشاف بمكة المكرمة الذى ضمنه آراء الاعتزاليه ، ولقبه ابن خلكان بانه كان امام عصره وان تفسيره الكشاف لم يؤلف مثله من قبل وقام بتدريس كتابه فى مكة . وكان يعتز بآراء قاضى مكه ابى المعالى يحيى بن عبدالرحمن الشيبانى (١) .

* *

---

١) الفاسى : العقد الثمين جـ٧ص١٢٣ .
ابن العماد : شذرات الذهب جـ٥ ص٢٣٠ .

مشاهير العلماء والقضاء والمجاورين بالحرمين :

لقد ازدهرت الحركة العلمية فى مكة المكرمة والمدينة المنوره زمن الخلفاء الفاطميين والايوبيين وبنى رسول • ولقد اقتصرت هذه الحركة على حلقات المدرسين فى المسجدين الحرام والنبوى قبل نشأة المدارس النظامية فى الربع الاخير من القرن السادس الهجرى • ولقد برزت عائلات اشتهرت بعلمها فأوقفت ابناءها على هذه الحركة (١) •

وتمدنا المصادر التى تخص هذه الحقبه الزمنية لهذا البحث بذكر العلماء الذين جاوروا فى كلتا المدينتين مكة المكرمة والمدينة المنورة • ولايكاد يخلو مصدر من هذه المصادر من التحدث عن هؤلاء العلماء الذين جاوروا وبرزوا حتى أصبحت أهميتهم بالغة فى الحرمين الشريفين (٢) •

---

١) بن فهد : اتحاف الورى ، ورقه ٢١٥ ، الفاسى : العقد الثمين جـ٢ ، ص١٠١ ، النهروالى : الاعلام ص٧٨ ، السباعى : تاريخ مكه جـ١ ص ٩٣ •

٢) السخاوى : التحفه اللطيفه جـ١ ص ٤٠ ، ابن بطوطه : رحله ص ٥٤ ، بن العماد : شذرات الذهب جـ٦ ، ص ٤٠٣ ، السباعى : تاريخ مكه جـ١ ص١٠٣ •

ومما لاشك فيه أن هؤلاء المجاورين كانوا من المصريين ، والسبب واضح فى أن هذه الفترة ارتبط الحجاز فيها بمصر ارتباطا وثيقـا . ويأتى من بعدهم فى العدد والعدة الشاميون والعراقيون من بعدهم ثم المغربيون واخيرا اليمنيون ، اذ ان أكثرهم كانوا مصريين ، والسبب هو قرب المسافة بين البلدين ، وارتباط اشراف مكه بالخلفاء الفاطميين لذا كان من السهل انتقال العلماء من مصر الى الحجاز . وربما كانت قلة العراقيين ترجع الى اختلاف الخلافة العباسية مع أمراء مكـة والمدينـة (١) .

من الواضح أن هؤلاء المجاورين ربما كانوا ثمارا من مختلف أمصار الدولة الاسلامية ، أتوا الى مكة للمجاورة ، أو لتقديم الصدقات للفقراء فى الحرمين الشريفين . وربما كان بعض هؤلاء المجاورين يأتون الـى مكة ليقضوا فترة من عمرهم الزمنى للراحة والصفاء الروحى (٢) . وربمـا

---

١) السخاوى : التحفـة اللطيفة جـ١ ، ص ٤٨ ، الفاسى : العقـد الثمين جـ٣ ص ١٦٨ ، بن بطوطة : الرحله ، ص ٧٦ ، ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين جـ١ ص ٢١٠ .

٢) المقريزى : السلوك جـ٢ ص ١٧٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ٧ ، ص ١٢١ .

كان بعضهم يأتون للمجاورة ويقضون بقية عمرهم الزمنى فى مكة ، حتى صاروا جزءا من المجتمع المكى والمدنى [١] . وربما كانت هجرة أغلبيتهم من منتصف القرن الثالث الهجرى . وسبب ذلك يرجع الى كثرة الاربطة التى انشئت فى هذه الحقبة الزمنيه بكلتا المدينتين . وانشاء المدارس النظامية فى مكة ساعد على استقرارهم . فاصبحوا بذلك يتولون المناصب العلمية فى هذه المدارس العلمية [٢] .

ولقد اشتهرت بعض هذه العائلات التى استقرت فى مكة والمدينة والذين اصبحوا متخصصين بالعلم ونهج ابناؤهم على نهجهم العلمى واشهر هذه العائلات آل الطبرى وآل ظهيره القرشيين وآل النويرى . وبرز منهم اسماء كثيرة ، استطاعوا ان يشاركوا حتى فى القضاء [٣] .

---

١) المقريزى : السلوك جـ٢ ، ص ١٨٠ .

٢) الفاسى : العقد الثمين جـ٣ ص ١٧٩ ، النهروالى : الاعلام ص١٩٨ ، بن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٦٨ .

٣) الطبرى : الزوج المسكى ، ورقه ٧٦ ، ابراهيم رفعت ، مرآه الحرمين جـ١ ص ١٩٦ ، السليمان : العلاقات الحجازيه ص ٢٠٨ .

ومن الثابت أن آل الطبرى خرج من نسائهم عالمات كن يجزن رواية الحديث الذى اخذن روايته عن آبائهن بالعلماء [١] .

ومن الثابت أن منصب الخطابة كان ينتقل فى ثلاث بيوت هى : بيت الطبرى ، وبيت ظهيره ، وبيت النويرى . وأقدم هذه البيوت هو بيت الطبرى . وأول من قدم منهم الى مكة المكرمة هو الشيخ رضى الدين أبو بكر ابن محمد بن ابراهيم بن على الحسينى الطبرى سنة ٥٧٠ هجريه [٢] . وقد انجب الشيخ رضى الدين سبعة أولاد أصبحوا كلهم فقهاء وعلماء ومدرسين وقضاة وخطباء حتى توفى سنة ٦١٣ هجرية [٣] .

ويذكر الفاسى [٤] فى كتابه العقد الثمين انه توفى فى عرفات سنة ٧١٣ هجرية . ومن الملاحظ أن وظيفة القاضى فى الحجاز ، تعتبر الوظيفة الثانية بعد ولاية مكة والمدينة المنورة . ولابد أن يكون قاضى البيت

---

١) الفاسى : العقد الثمين جـ٢ ص٢٦٦ ، القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٨ ،ص ١٤٠ . النهروالى : الاعلام ص ٢٨٨ .

٢) بن العماد : شذرات الذهب جـ٦ ،ص ٢٢٥ ، الفاسى : العقد الثمين جـ٢ ، ص٢٧٦ ، السباعى : تاريخ مكه جـ١ ص ١١٨ .

٣) الفاسى : العقد الثمين جـ٢ ، ص ٢٨٢ ، دحلان : خلاصة الكلام ص ٥٠ .

٤) الفاسى : العقد الثمين جـ٢ ص٢٨٦ .

الحرام والمسجد النبوى من كبار العلماء والفقهاء . ومن أشهر من تولى منصب القضاء من عائلة الطبرى هم : القاضى محيى الدين أبو جعفر أحمد بن ابى بكر بن ابراهيم الطبرى المكى ، الذى ولد بمكه سنة ٥٧٣ هجريه . وتلقى تعليمه على يد زاهر بن رستم ويوسف الهاشمى وابى المظفر بن علوان وابى بكر بن حرز الله . وتفقه عليهم وتتلمذ على ايديهم فى علوم شتى . وتولى القضاء محيى الدين أبو جعفر واستمر فيه حتى توفى سنة ٦١٤ هجريه (١) . وكان اخوه تقى الدين أبو الحسن على ابن أبى بكر بن ابراهيم الطبرى المكى اماما للمقام وخطيبا للمسجد الحرام (٢) .

ومنهم أيضا أبو اسحاق ابراهيم بن على بن الحسن الشيبانى الحسينى الطبرى الذى تولى أمر قضاء مكه سنة ٥٤٠ هجرية . وقد عاصره أبو القاسم

---

١) بن فهد : اتحاف الورى ، ورقه ٢٦٧ ، بن العماد : شذرات الذهب جـ٦ ص ٢٧٨ ، السخاوى : التحفه اللطيفة جـ١ ، ص ٢١٠ .

٢) الفاسى : العقد الثمين جـ١ ، ص ٣٣١ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦ ، ص ٢٨٠ ، السخاوى : التحفه اللطيفة جـ١ ، ص ٢٣٥ .

الطبرى الذى تولى أمرقضاء مكه سنة ٥٥١ هجرية(١) .

ولقد تولى أمر القضاء بمكة من هذه العائلة ايضا عبدالكريم بن يحيى عبدالرحمن الشيبانى الطبرى المكى الشافعى . ويبدو مما ذكره الفاسى انه توفى القضاء سنة ٦٤٢ هجريه . واستمر فى هذا المنصب حتى عزل فى شوال سنة ٦٤٥ هجرية(٢) .

ومن أشهر قضاة المدينة المنورة أبو الطيب الحسنى الحنفى الازهرى . وقد وفد من مصر وتتلمذ فى الازهر الشريف ثم رحل الى المدينة فى منتصف القرن السادس الهجرى وتولى أمر القضاء فيها . ومن ابنائه أحمد وعباس اللذان توليا أمر الخطابه والامامه بالمسجد النبوى الشريف(٣) .

ومن أشهر قضاتها أيضا الحاج أحمد الاندلسى الذى تولى أمر القضاء أيضا فى بداية القرن السابع الهجرى . ومن أشهر القضاة أيضا القاضى

---

١) السخاوى : التحفة اللطيفة جـ٢ ، ص ٤٠ ، المقريزى ، السلوك جـ٢ ، ص ٢٨٦ ، مرداد : نشر النور والزهر جـ١ ، ص ٣٨ .

٢) الفاسى : العقد الثمين جـ٤ ص ٢٢٤ ، النهروالى : الاعلام ص ١٨٢ ، السباعى : تاريخ مكه جـ١ ص ٢١٢ .

٣) بن العماد : شذرات الذهب ، جـ٦ ص ٢٧٧ .

أحمد المغربي المالكي الغرياني ، قدم المدينة سنة ٦٠٠ هجرية وتولى أمر القضاء بها سنة ٦٢٥ هجرية . وتوفى سنة ٦٧٠ هجرية وهو لايزال بمهنة القضاء . ومن ابنائه عبدالقادر الذى تولى أمر القضاء بالمدينة بعد والده . وأما عبدالقادر فكان يقوم بتدريس المذهب المالكي في رباط المغاربة بالمدينة المنورة (١) .

ومن المعلوم أن تعدد القضاة في بلاد الحجاز قد صاحبه ايضا تعدد العلماء الوافدين الى الحجاز . والذين كانوا يهدفون من وراء ذلك المجاورة والتعليم . ومن أشهرهم أبو عبدالله محمد بن على بن اسماعيل اليمنى الشافعي الذى استوطن بمكة . ولغزارة علمه اسندت اليه رئاسة الفقه والحديث . واستمر بمكه حتى سنة ٦٠٩ هجرية (٢) .

---

١) الفاسي : العقد الثمين جـ١ ، ص ٢٣١ ، النهروالي : الاعلام ، ص ١٩٧٨ ، بن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ٩٨ ، السباعي : تاريخ مكة جـ١ ص ٢١٢ .

٢) بن العماد : شذرات الذهب ، جـ١ ص ٢٣٤ ، الفاسي : العقد الثمين جـ١ ، ص ١٣٦ ، السخاوي : التحفة اللطيفة جـ١ ، ص ٣٣٥ .

ومن العلماء ايضا الشيخ مكين الدين أبو شجاع زاهر بن رستم محمد الاصفهانى الاصل ، البغدادى المولد ، وقد تفقه فى مذهب الامام مالك ثم رحل الى مكة وتتلمذ على يد مشايخها أحمد بن ابى بكر الطبرى ، وظل يتتلمذ على يده حتى اتيح له التدريس بالمسجد الحرام ، واستمر يمارس هذه المهنة اعواما حتى توفى سنة ٦٠٩ هجرية (١) .

ويعتبر الشيخ أبو بكر بن ابراهيم بن محمد الاريسى من أشهر علماء الفقه الشافعى بمكة المكرمة ، وقد نزل بها ، واستمر فى مهنة التدريس بالمسجد الحرام حتى توفى سنة ٦١٣ هجرية (٢) .

أما الفقيه الشافعى امام الدين أبو طالب عبد المحسن بن ابى العميد الذى تولى أمر امامة مقام الشافعى فانه تلقى علومه بهمدان وبغداد ، ثم رحل فى طلب العلم الى القاهرة ودمشق ، واجيز من الجامع الأزهر

---

١) الفاسى : العقد الثمين ج٣ ص ٦٦٨ ، بن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٢٥ ، بن العماد : شذرات الذهب ج٦ ص ٢٢٠ ، مرداد : نشر النور والزهر ، ج٢ ص ٧٦ .

٢) بن العماد : شذرات الذهب ج٦ ص ٢٣١ ، مرداد : نشر النور والزهر ، ج٢ ص ٨٠ ، السباعى : تاريخ مكه ج ١ ص ٢١٨ .

اجازة التدريس ، فأتى الى مكة وأقام برباط المراغى وأصبح امـــام المقام طوال حياته حتى توفى سنة ٦٢٤ هجرية (١) .

وأما الشيخ تاج الدين أبو القاسم الخضر بن عبد الواحد بن علـــى ابن الخضر الشافعى ، فقد كان من فقهاء الشافعيه ، اتى الى مكـــة واستوطنها واخذ يدرس فى الحرم الشريف سنة ٦٢٦ هجرية ، حتـــى وفاته سنة ٦٣١ هجرية (٢) .

أما المحدث المعزى جعفر بن عبد الرحمن بن جعفر بن عثمـــان البجائى الذى يكنى بأبى الفضل ولد سنة ٥٨٨ هجرية ، وتتلمذ علـــى يد ابى نصر محمد بن هبة الله الشيرازى فى بغداد ، ودرس علوم الحديث بها . ثم اتى الى مكة ، وقام بالتدريس فى المسجد الحرام والمدرســـة المنصوريـــه المظفرية ، وتتلمذ على يده الحافظ شرف الدين الدمياطـــى

---

١) الفاسى : العقد الثمين ج٣ ص ١٦٨ .
السخاوى : التحفة اللطيفه ج١ ص ٢٤٥ .
ابن العماد : شذرات الذهب ج٦ ص ٢٧٧ .
مرداد : نشر النور والزهر ج٢ ص ١٥٥ .
٢) الفاسى : العقد الثمين ج١ ص ٢٤٨ .
النهروانى : الاعلام ص ٢١٩ .
مرداد : نشر النور والزهر ج١ ص ٨١ .

اجازه التدريس فى المسجد الحرام • واستمر بمكـة حتى توفى بهـا سنة ٥٧٣ هجرية[1] •

ومنهم جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن الفتوح المكباسى أمام المالكية بالحرم الشريف ، اتى الى مكه سنة ٥٨٨ هجرية ، وجاور بها والف كتاب المقرب الذى يقع فى ستة مجلدات وتوفى سنة ٥٩٢هجريه •

أما الامام ضياء الدين أبو عبدالله محمد بن عمر النوروزى[2] فقـد تلقـى علومه الدينية على يد أبى الحسن شهاب الدين وقرأ عليه كتـاب عوارف المعارف وكتاب العروض ، واتى الى مكه سنة ٦٢٠ هجرية • ودرس بمدرسة المالكية التى اسسها ابن الحداد المهدوى بالشبيكة فى مكـة، وكان يسكن برباط المغاربة امام باب ابراهيم عليه السلام وتوفى بمكة[3] •

---

١) ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦ ص ٢٧٤ •
مرداد : نشر النور جـ١ ص ١٨١ •

٢) الفاسى : العقد الثمين جـ٤ ص ٢٤٥ •
ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦ ص ٢٧٤ •

٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٣١٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ٦ ص ٢١٧ ، النهروالى : الاعلام ص ٢٣٨ •

وكان لفقهاء الحنابله وعلمائها دور فى الحياة العلمية فى هـــذة الحقبـــة الزمنية ومن أشهرهم أبو محمد مبارك بن على بن الحسين البغدادى امام الحنابله بالحرم المكى تلقى علومه على يد أبى الحسين عبيدالله البيهقــى دلائل النبوة • ودرس على يده تاريخ الازرقى • وتتلمذ على يـــــد أبى القاسم محمد بن أحمد المقرى ، وقام بالتدريس فى الحرم المكـــى منذ سنة ٥٧٥ هجرية[١] •

أما أبو الفتوح محمد بن عبدالله الخبيلى امام الحنابلة بالحرم الشـــريـف فانه تتلمذ فى بغداد ثم رحل الى القاهرة ثم توجه الى مكة المكرمـــــة واستوطن بها ودرس فيها حتى توفى سنة ٥٩٠ هجرية[٢] •

ومن أئمـة الحنابـلة ايضا الذين وفدوا الى مكة المكرمة نصر بن محمد ابن على بن ابى الفتوح الهمذانى المعروف بالحصرى • قرأ القرآن الكريـم

---

١) الفاسى : العقد الثمين جـ٤ ص٢٧٢ ، ابن ظهيره : الجامـــع اللطيف ، ص١٨٠ •

٢) الفاسى : العقد الثمين جـ١ ص١٣٢ ، النهروالى : الاعلام ص١٣٧، ابراهيم رفعت ، مرآه الحرمين جـ١ ص٢١٠ •
السباعى : تاريخ مكة جـ١ ص٢٢٥ •

على يد ابى بكر محمد بن عبدالله وأبى الكرم المبارك الشهرزورى وتتلمذ على يد الشريف ابى طالب سنن ابى داود وعلى يد ابى زرعة المقدسى سنن النسائى وابن ماجه ، وخصائص القرآن الكريم ، وتتلمذ على يد جماعته من الحفاظ برهان الدين والضياء المقدسى والشيخ الحصرى . وخرج من بغداد الى مكة وجاور بها ، وعين اماما لمقام الحنابلة بالمسجد الحرام (١) .

ومن اشهر علماء وفقهاء الاحناف أبو الفتح بن على بن أحمد بن محمد الحنفى امام الحنفيه بالمسجد الحرام ، تتلمذ على يد المبارك بن الطباخ وعلى يد الشيخ نجيب الدين ، ودرس على يدهم اخبار مكة للازرقى ، تولى امامة مقام الحنفيه سنة ٦١٦ هجرية (٢) .

أما النساء فقد برزن من عائلة الطبرى واشهرهن زينب بنت القاضى

---

١) الفاسى : العقد الثمين جـ٥ ص ١١٢ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦ ص ١٨٠ ، السخاوى : التحفة اللطيفة جـ١ ص ٤١٠ ، النهروالى : الاعلام ص ١٨٦ .

٢) الفاسى : العقد الثمين جـ٢ ص ٢٢ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦ ص ٢٣٠ ، مرداد : نشر النور جـ٢ ص ٧١ .

الحافظ التى اخذت عن والدها علوم الحديث وتتلمذ على يدهـا الرضى الطبرى وهو ابن عمها . ولقد برزت السيدة الطبرية بنت القاضى ابى جعفر فى علم القراءات وتتلمذت على يد والدها ، وكانت تجيز ابناءها فى القراءات (١) .

ولقد لعبت المدينة المنورة دورا بارزا فى الحياة العلمية التى تخص هذه الحقبة الزمنية . وكان من اشهر علمائها عبد الله بن محمد بن ابى الحسن المسعودى الهذلى وقد تولى امامة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم سنة ٦٢٠ هجرية (٢) .

أما الشيخ أحمد بن عبد اللبن محمد فقد تتلمذ على يد المحدث أبو محمد عبد العزيز المهدى القسطلانى سنة ٦٤٧ هجريه . ولقب بشيخ الحجاز . أما العالم العضيف أبو محمد عبد السلام محمد بن مزروع المغربى البصرى المكى نزيل المدينة فقد تتلمذ على يد أبى القاسم بالبصرة وعلى يد شيخ الحرم بدر الشهابى . ويقال انه حج اربعين حجة متوالية قدم فى أكثرها من المدينة وكان يقوم بتدريس الحديث فى المسجد النبوى الشريف (٣) .

---

١) بن فهد : اتحاف الورى ، ورقه ٣٣٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦ ص ٨٧ ، مرداد : نشر النور ، جـ٢ ص ٦٩ .
٢) الفاسى : العقد الثمين جـ١ ص ٢٨٠ ، ابن العماد شذرات الذهب جـ٦ ص ١٤٢ .
٣) السخاوى : التحفه اللطيفة جـ٢ ص ٢٣١ ، المراغى : تحقيق النضرة ص ٨٢ .

(ب) علم القراءات :

يدأ الاهتمام بعلم القراءات فى عهد الخليفة على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ويرجع السبب فى ذلك الى اتساع رقعة الدولة الاسلامية ودخول عدد كبير من الاعاجم فى الاسلام ووقوعهم فى أخطاء لغوية ونحوية اثناء تلاوتهم للقرآن الكريم مما جعل الخليفة على - كرم الله وجهه - يكلف ابا الاسود الدؤولى بوضع القواعد اللغوية والنحوية ليسير عليهما كل قارئ ودارس للقرآن الكريم . وقد سار على نهج الخليفه على - معاوية بن ابى سفيان ومن بعده خلفاء المسلمين (١) .

ولم تظهر مدارس القراءات المختلفة الا من منتصف القرن الثانى الهجرى اذ بدأ لكل قارئ مدرسة خاصة به فمثلا عاصم كانت تشتهر به مدرسة الكوفة ، وحمزة والكيسانى كانت تشتهر بهما مدرسة البصرة . وقد انتقلت القراءات الى اقاليم الدولة الاسلامية فقراءة عاصم أخذها قراء مصر الذين بدأ يتنشرون فى كل مكان ويسير على نهجهم قراء عديدون فى أماكن مختلفة (٢) .

---

١) خورشيد : القرآن وعلومه ص ١١٢ .
الحسينى : الحياة العلمية ص ٤٧ .
٢) ابن سعد : الطبقات جـ١ ص ٣٨ .
الفاسى : العقد الثمين جـ٤ ص ٣٣٢ .
شوقى ضيف: تاريخ الأدب جـ٥ ص ٧٠ .

لقد انتشرت القراءات السبع مع بداية القرن الرابع الهجرى واشتهرت بعض القراءات فى كل من الحرمين الشريفين (١). ففى مكة كانوا يفضلون قراءة نافع وفى المدينة كانوا يفضلوا قراءة ابن كثير. وظلت القراءتان متداولتين جيلا بعد جيل (٢).

وأشتهر من القراء أبو يحيى المكى المتوفى سنة ٣٤٤ هجرية. وأبو عبدالله البلخى الذى ولد سنة ٣٧٢ هجرية. ويذكر لنا الفاسى فى العقد الثمين اشهر القراء فى مكة والمدينة (٣).

* * * *

---

١) خورشيد : القرآن وعلومه ص ١١٢ .
الحسينى : الحياة العلمية ص ٤٨ .
٢) خورشيد : القرآن وعلومه ص ١٣٧ .
٣) الفاسى : العقد الثمين جـ٤ ص ٣٣٤ .
شوقى ضيف : تاريخ الادب جـ٥ ص ٧٣ .
الحسينى : الحركة العلمية ، ص ٤٩ .

علم الكلام :

وأما علم الكلام فلم ينتشر فى بلاد الحجاز فلم يكن له نصيب يذكر فى حلقات العلم ، ولم يهتم به علماء الحجاز ، ولقد اهتم به علماء اليمن وفقهاؤها ويظهر واضحا فى مصنفاتهم وكانوا ينقضون آراء المعتزلة فى كثير من المواقف ومثل ذلك كتاب الحروف السبعة فى الرد على المعتزلة للمراغى (١) .

أما علماء الزيدية فانهم ناصروا آراء المعتزلة ، وتابعوهم فى القول بخلق القرآن ، والفوا كتابا سموه " الدافع للباطل من مذهب الحنابل ورد على الحنابلة ردا عنيفا (٢) .

ومن المعلوم أن الامام زيد بن على زين العابدين امام مذهب الزيدية تتلمذ على يد واصل بن عطاء صاحب مذهب المعتزلة .

---

١) السخاوى : التحفة اللطيفة جا ص ٥٠٦ .
العباس : عمدة الاخيار ص ٢٥١ .
٢) العباس : عمدة الاخيار ص ١٩٥ .

لذا فان مذهب الزيديه أخذ بآراء المعتزلة ، مما أدى الى نمو آراء الاعتزال فى مذهب الزيدية وانتشارها فى اليمن . واستمر تأليف الكتب الكلاميه من أئمة علماء الزيديه مثل كتاب شرح القلائد فى علم الكلام ، والأدلة على الله فى التوحيد ، وألفت كتب عديدة فى معرفة رجال المعتزلة (١) .

* * *

---

١) الفاسى : العقد الثمين ج٤ ص٣٣٠ .

علوم اللغة :

ومما تجدر الاشارة اليه أن جميع امصار الدولة الاسلامية قد اشتركت فى التراث اللغوى والنحوى . ولذا لم يظهر كتاب من كتب اللغة فى بيئته من بيئات الدولة الاسلامية الا نجده قد نقل الى البيئات الاخرى فى جميع المجالات اللغوية وغيرها . وساعد على ذلك الرحالة . وما قاموا بجمعه من كتب . كما أن بعض العلماء اذا فقد كتابا ولم يستطيع الحصول عليه نادى فى يوم الحج فيخبره من علم بهذا الكتاب (١) .

وكان العلماء يرون ان علومهم لاتكتمل الا اذا رحلوا شرقا وغربا ولمناظرة العلماء امثالهم ولقراءة الكتب المختلفة الخاصة بالعلم أو الفن الذى يراد التعمق فيه (٢) .

ولقد اهتم علماء الحجاز بعلوم اللغة ، كما اهتموا بعلم

---

(١) الفاسى : العقد الثمين جـ٤ ص٣٣٦ .
(٢) ابن العماد : شذرات الذهب جـ٤ ص ١٨٩ .

النحـو وبـرز علماؤهم فى ذلك(١) . ومن أشهرهم عبد الله بن طلحه الاندلسى المتوفى سنة ٥٢٣ هجرية . ولـه مؤلفات عديدة فـى اللغة ، وشرح ابيات سيبويـه(٢) . ومن كبار اللغويين الحسـن ابن محمد الصاغانى الذى توفى سنة ٦٥٠ هجريـة . وكان قد جـاور بمكه . وهو من أهل بنجاب . رحل الى مكة وبغداد فى طلب العـلم وتتلمذ على ائمـة علماء مكة فى اللغـة ، والف كتبا عديدة فى معاجـم اللغه من أمثال التكميلة والذيل والصلة وكتاب النوادر فى اللغـة والعباب الزاخـر(٣) .

ومن الجدير بالذكر أن هذا العالم لم ينشأ فى الجزيرة ولا فـى أى بلد عربـى وانما نشأ فى الهند . ومع هذا استطاع ان يجيد اللغـة

---

١) الفاسى : العقد الثمين جـ١ ص ٢٨٠
السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٩٥
مرداد : نشر النور والزهر جـ١ ص ١٥
الأنصارى : تحفة المحبين ص ٢٤
٢) الفاسـى : العقد الثمين جـ٤ ص ١٧٦
ابن العماد : شذرات الذهب جـ٤ ص ٢٥٠
٣) الفاسى : العقد الثمين جـ٣ ص ١٤٩
ياقوت معجم الأدبـاء جـ٧ ص ٢٢٠

العربيه حتى أصبح عالما من علمائها ثم اتى من بعده ابن عبد المعطى أحمد بن محمد الملقب بنحوى الحجاز . وهو من اصل مغربى ، تتلمذ فى مصر على يد عالمها ابن حيان الغرناطى . قرأ على يده كتاب التسهيل لابن مالك . جاور بمكة واجيز للتدريس بها ، واشتغل بتعلم العربية والعروض وتوفى بمكه سنة ٧٨٨ هجريه (١) ، واتى من بعده محمد بن أبى بكر المرجانى . وهو من ائمة العربيه كان يقوم بتعليمها بمكة والمدينة وقرى الحجاز (٢) .

ولا غرو أن اهتمام علماء الحجاز بعلوم البلاغه واعجاز القران كان واضحا فقد سار علماء العربية على نهج كتاب الامام على كرم الله وجهه " نهج البلاغه " وبرز من علماء البلاغه فى الحجاز على بن ميثم البحرانى المتوفى سنة ٦٧٩ هجريه . فتحدث فى مؤلفه عن البيان . وزعه على ثلاث قواعد الأولى لدراسة الالفاظ والثانية لدراسة المعانى والثالثة لدراسة الخطابة (٣).

---

١) الفاسى : العقد الثمين جـ٢ ص ٤٢٩ .
   السخاوى : التحفه اللطيفه جـ١ ص ١٦٩ .
٢) ياقوت : معجم الأدباء جـ١٣ ص ٢٤٣ .
   الفاسى : العقد الثمين جـ٦ ص ٢٩٢ .
   السخاوى : التحفة اللطيفة جـ٢ ص ٧٨ .
٣) الفاسى : العقد الثمين جـ٢ ص ٢٨٠ .

ومن أهم علماء البلاغـة أيضا الامام الزيدى اليمنى يحيـــــى ابن حمزه العلوى صاحب كتاب التبيان فى علم البيان ، ونهايـة الايجاز فى درايه الاعجاز والطراز المتضمن لاسرار البلاغه وعلـــوم حقائق الاعجاز . وقد طبع فى ثلاثة أجزاء بالقاهرة سنة ١٩١٤م [١].

ولقد برز علماء اليمن فى هذه الحقبـة الزمنية بسبب انتشار التشيع فيما بينهم .

* *

---

١) شوقى ضيف : البلاغة تطور وتاريخ جـ ١ ص ٣٥ .

الأدب :

من الواضح أن القرنين الرابع والخامس الهجريين امتازا بنمو اللغة وكثرة تفرعاتها المختلفة . فنلاحظ أن اللغويين فى هذا العصر بدأوا مرحلة تبسيط اللغة من قواعد النحو والصرف . ودونوا دواوين الشعراء ، كى يتفقه الناشئون فيها . وشارك الشعراء هؤلاء فى هذا الصنيع(١) . ويعود السبب فى مشاركتهم أنهم شعروا بصعوبة ، اللغة وبدأوا يبسطون الشعر وعدم الخوض فى غرائب اللغه كى تكون سهلة التناول من قبل المتلقين لها (٢) .

وقد ساعد ذلك كله الناشئين من اتقان العربية والوقوف على كثير من اسرارها . كما أن علماء الكلام اخذوا يعتنون

---

١) شوقى ضيف : تاريخ الأدب جـ٥ ص٦٨ .
٢) المقريزى : الخطط جـ٢ ص ٢٥٣ .
الباخرزى : دمية القصر ص ٢٩ .
شوقى ضيف : تاريخ الأدب جـ٥ ص٦٩ .
أحمد سيد محمد : الشخصية المصرية فى الأدبين ص ٧٣ .

بالصيغ البلاغيه التي يتفهمها هؤلاء الناشئون[١] . وأكبر مثل على ذلك الجاحظ وكتاب البيان والتبيين . فقد صور لنا فيه كثيرا من أسرار البيان العربي تصويرا يتيح للشباب أن يصل للمعرفه دون مشقة . وان يتذوق هذه الخصائص[٢]. والأمثال كثيرة في هذا الصدد . مثال ذلك المبرد صاحب كتاب الكامل . لذا فان هذا العصر قد خدم الناشئين في تذوق الأدب . وأصبح الأدب ميسورا لكل طالب علم . فيستطيع الناشئ ان يقرأ ديوانا شعريا دون عناء[٣] .

كما أن دواوين الخلفاء امتازت بتوفر الكتاب الماهرين في هذه الحقبة الزمنية ، لكي يكونوا بمثابة موظفين بديوان الانشاء .

---

١) المقريزي : الخطط جـ٢ ص ٢٤٤ .
شوقي ضيف : تاريخ الادب جـ ٥ ص ٦٩ .
" " : " " ص ٧٠ .
٢) أحمد بدوي : الحياة الادبية في عصر الحروب ص ٢٦ .
أحمد سيد : الشخصية المصرية ص ٧٣ .
٣) ابن العماد : شذرات الذهب جـ٥ ص ٢٢٦ .
الفاسي : العقد الفريد جـ ١ ص ٢٨٠ .

معايير أخرى ليست من طبيعته أو من بيئته • وهذا المبدأ التزم به علماء العربيه فى سائر امصار الدولة الاسلامية [١] • فاستخدموا الاساليب التى توافق العصر آنذاك وتلائم الزمن • فبرز الكتاب فى جميع المجالات الأدبيه المختلفة • ونشأ نظام المقامات • وكتاب الانشاء والشعراء وعلماء اللغة • وأهم عامل من عوامل الأدب ظهور الشعر فى هذه الفترة الزمنية [٢] • وسنتكلم عن ذلك تفصيليا •

* *

---

١) شوقى ضيف : تاريخ الأدب ص ٧٤ •

٢) الباخرزى : دمية القصر ص ٢٩ •

شوقى ضيف : تاريخ الأدب جـ ٥ ص ٧٤ •

الشــــعر :

ظل الشعر فى الجزيــرة العربية طوال هذه الحقبــه لهذا البحث ينهل من ينابيعــه القديمه التى امتازت بها الجزيرة العربيه شرقهــا وغربها شمالها وجنوبها • فنشط الشعر فى الحجـاز [١] • وفى كـل انحاء الجزيرة العربية وخاصــة مكة التى أستقر فيها عدد كبير من الشعراء وامتلأت كتب التراجم باشعارهم حتى أن امراءها من الحسنيين كانــوا يجيدون نظم الشعر والتغنـى به [٢] • فقد كان الشعر غذاء المجالس • وانتشرت دواوين الشعر للشعراء المشهورين • وامتـاز هذا الشعـــر بالتزامــه باللغـة العربيـة الفصحـى [٣] •

---

١) ابن العمـاد : شذرات الذهب جـ٣ ص ١٣٨
أبو المحاسن : النجوم الزاهره جـ٥ ص ٤٩
الفاســـى : العقد الثمين جـ٤ ص ٧٩
٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ ص ١١٧ •
ابن العمـاد : شذرات الذهب جـ٣ ص ١٤٢
الفاســـى : العقد الثمين جـ٤ ص ١٠٢
الباخرزى : دميه القصر جـ١ ص ٣١ •
٣) المرجع السابق : جـ١ ص ٣٢ •

ولم يأخذ علماء اللغه في القرنيين الثاني والثالث الهجريين ، اللغة والشعر عن مكة والمدينة . والسبت يعود الى أن هاتين المدينتين نزح اليهما كثير من الموالى (١)، مما جعل علماء العربية لايعتمدون بهما في وضع قواعد اللغة العربيه ، بسبب اعجميتهم واستمرارهم بالمجاورة في مكة والمدينة . واشتغالهم بالتدريس واجادتهم اللغة ونظم الشعر زاد من أهمية هاتين المدينتين في هذا العصر . وكذلك لمناظرتهم علماء اللغة الذين يفدون في مواسم الحج أدى الى نبوعتهم في اللغة (٢) . وكان منهم اساتذة كثيرون يعلمون الناس اللغة العربية في الحرمين المكي والمدني . وكان منهم من يقوم بتعليم الصبية في الكتاتيب مما أدى الى تمكنهم في العربية . وادخال عبارات أعجمية في ألفاظ عربية (٣) .

---

١) شوقي ضيف : تاريخ الأدب جـ٥ ص٨٩ .

٢) الباخرزى : دمية القصر جـ١ ص٣٢ .

ابن العماد : شذرات الذهب جـ٣ ص١٤٥ .

٣) النـاس : العقد الثمين جـ٤ ص ٢٠٨ .

السباعي : تاريخ مكة جـ١ ص ٢٤٨ .

ويذكر لنا عمارة اليمنى فى كتابه " المفيد فى اخبار زبيد " أن هؤلاء الوافدين الأعاجم كانوا يجيدون العربية • وقد تتلمذ على ايديهم • ولم يشعر بأن واحدا منهم لحن فى شئ من الكلام (١).

ويصف لنا عمارة اليمنى انتشار اللغة العامية فى الجزيرة العربية فيقول بأن مدن الحجاز واليمن تأثرت بهؤلاء الوافدين من الأعاجم، فلحنوا فى لغتهم أما الجوادى فظلوا يحتفظون بفصاحة كلامهم (٢).

ومن الجدير بالذكر أن الشعر فى هذه الحقبة الزمنية كان يمثل الوانا مختلفة وكان يدور على السنة الناس • والشعر الذى أنتشر فى جميع أقاليم الجزيرة العربية هو شعر الغناء الصنعانى واشتهر زمن سلاطين بنى رسول (٣) • وهذا الشعر لايلتزم بقاعدة فى موسيقى العروض

---

١) عمارة اليمنى : المفيد فى تاريخ اليمن ص ١٢٢ •

٢) المصدر السابق ص١٢٥•

السباعى : تاريخ مكه جا ص ٢٩٠ •

٣) الباخرزى : دمية القصر ص ٣٨ •

الخزرجى : العقود اللؤلوية جا ص ٢٤٠ •

السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٢٤ •

وتكثر فيه المسمطات والموشحات . وغالبا ماكانت تسوده اللغة العامية والجيد منه كان يؤدى باللغة الفصحى [١] .

ويرى الدكتور شوقى ضيف[٢] أنه من الشعر النبطى . والأرجح أن هذا الشعر كان متعارفا لدى جميع الناس فى شبه الجزيرة العربيه . ومنه خرج الشعر النبطى . لأن النبطى لم يكن لديه قاعدة عامة . أما الصنعانى فانه كان يتغنى به الناس . وهو يشبه الموشح فى مقاطعة .

أما النبطى فهو نثر منظوم ولم يكن شعرا . وكان علماء اللغة آنذاك لايعتبرون الشعر النبطى شعرا لكثرة اللغة العامية فيه . وخلوه فى الفصحى . وعلى الرغم من ذلك فانه لم يعتبر شعرا لـه ازدهاره فى تلك الحقبة الزمنية . وقد انتشر هذا الشعر فى البوادى

١) ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦ ص ١٣٢ .
شوقى ضيف : تاريخ الأدب جـ٥ ص ٩٣ .
على السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٣٤ .
٢) شوقى ضيف : تاريخ الأدب جـ٥ ص ٩٤ .

وكان الحداة يميلون لاستخدام الشعر النبطى فى قوافلهم دائما (١) .

وقد نشطت الحركة الشعرية فى هذه الحقبه الزمنية بسبب كثرة الوافدين الى الحجاز ، وهجرة بنى عقيل الى الحجاز واختلاطهم بالمداوس فى العراق . وقد أدى ذلك الى نشاط واسع فى الشعر فى هذه الحقبة الزمنية (٢) .

* *

---

١) السباعى : تاريخ مكه جا ص١٩٣ .
٢) شوقى ضيف : تاريخ الأدب جـ٥ ص٩٥ .

الشـــعراء :

نبغ فى هذه الفـترة شعراء كثيـرون فى اليمن والحجا ز . والسبب فى ذلك قيام دول صغيرة فى اليمن . وأدى ذلك الى جذب الشعـراء الى اليمن لكثرة الاعطيات والهبات من قبل امراء اليمن لهم [١] .

ومن اشهر هؤلاء الشعراء أبو الحسن التهامى وابن ابى مرة المكـى الذى يلقب بشاعر الحرمين ولقد برز امراء الحجاز وعلى رأسهم أبو الفتوح أمير مكـة الذى كان يميل دائما الى نظم الشعر [٢] . ولقد وصفـــه ابن مرة فى هذا البيت :

يا سـيد افديتـه بروحـى
خـولك الله ابا الفتـوح [٣]

---

١) السباعى : تاريخ مكـة جـ١ ص ٢٩٧ .
٢) الباخرزى : دميـة القصر جـ١ ص ٣٨ .
شوقى ضيف : تاريخ الأدب جـ٥ ص ٩٦ .
ابن خلكان : وفيات الأعيـان جـ٢ ص ١١٧ .
المكناسـى : درة الحجال جـ٢ ص ٦١ .
٣) الباخرزى : دمية القصـر جـ١ ص ٣٢ .

ويذكر لنا الباخرزى فى كتابه دمية القصر(١) أن الشعر اشتهر فى مدن الجزيرة وبين قبائلها وقد حددهم بقوله : "انهم مجموعة من المكيين والمدنيين ومن المثقفيين واليمنيين ومنهم العامرى والاسدى والبكرى والغسانى والشيبانى والهمذانى " وجميعهم يمثلون شعراء الجزيرة العربية حتى منتصف القرن الخامس الهجرى . وبعض هؤلاء الشعراء رحلوا الى بغداد وانشدوا القصائد بين يدى وزير السلاجقه نظام الملك فاعطى لهم الأعطيات والهبات المختلفة .

ومن اعلام الشعراء فى هذه الفترة الامير شكر بن ابى الفتوح . ويذكر لنا الباخرزى نماذج من شعره أهمها قوله :

وصلتنى الهموم وصل هواك
وجفانى الرقاد مثل جفاك
وحكى لى الرسول انك غضبى
ياكفى الله شر ما هو حاك(٢)

---

١) الباخرزى : دمية القصر جـ١ ص ٣٣ .

٢) المرجع السابق : جـ١ ص ٣٧ .

وهذان البيتـان مطلع قصـيدة قالها الشريف شكر سنة ٤٥٣ هجريـة يعاتب بنى هلال وكان يشترك معهم فى أقاصيصهم • وحدث بينه وبينهم سوء فى العلاقـة مما أدى الى أن تحتـال القبيلة عليـه فتأخذ ابنتها منه ، فأنشـد هذه القصـيدة (١) •

وله قصـائد فى الشجاعـة والمواقف الحاسـمة والشعور بالكرامة ورفضـه الضـيم ومن هذا الشعر قـوله :

قوض خيـامك عن أرض تضـام بها
وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان فى الأوطان منقصـة
فالمندل الرطب فى اوطانه حطب (٢)

ويذكر الباخرزى (٣) فى كتـابه نمـاذج شـعريه لشـاعر

---

١) الباخرزى : دمية القصـر جـ١ ص ٣٨ •
٢) الباخرزى : دميـة القصـر جـ١ ص ٤٠ •
شوقى ضيف : تاريخ الأدب جـ٥ ص ٩٨ •
٣) الباخرزى : دمية القصر جـ١ ص ٤٢ ، ٤٣ •

الحرمين الشريفين المجاشعى فى مدحه لنظام الملك

وزير السلاجعة منها قوله :

فنبتهتهم والنوم كحل عيونهم

بمدح نظام الملك أهل المدائح

يجود بمضمون الثراء تكرما

اذا قام علات النفوس الشـ

ومن أهم شعراء هذه الفترة الشاعر أبو الفضل جعفر بن يحيى الحكاك

المكى وله قصيدة فى الفخر بنفسه يقول فيها :

نوقر من جماحك فى الزمام

وأسفر عن قناعك واللثام

ومنهم أيضا الشاعر هذاب بن دهشم الشيبانى ومن نماذج

شعره فى مدح نظام الملك :

ماخلق الله تعالى وجل

مثل وزير الوزراء الاجل

أروع كالنصل ولكنه
أمضى من النصل اذا مابصل (١)

وينضم الى هؤلاء الشعراء الامير على بن محمد الصليحى مؤسس الدولة الصليحية فى اليمن . وكان يجيد شعر الفروسيه ، ومن نماذج شعره قوله :

زوجت بيض الهند سمر رماحهم
فرؤوسهم عوض النثار نثار
وكذا العلا لايستباح زواجها
الا بحيث تطلق الأعمار (٢)

ويصور فى هذه القصيدة معاركه مع خصومه الذين هزمهم وترتب على انتصاره بسط نفوذه على بلاد اليمن والدعوة للفاطميين ونشر المذهب الاسماعيلى (٣) ويقال أنه حينما دخل الحجاز انشد قصيدة لاميه فى الدعاية للمذهب الشيعى ، ويتعرض فيها لمعاركه الحربيه ، ورد عليه الحسين بن يحيى الحكاك المكى بقصيدة على الوزن والقافيه يعرفه بأن الحق

١) الباخرزى : دمية القصر جا ص ٤٧ .
٢) شوقى ضيف : تاريخ الأدب جه ص ١٠٢ .
٣) المرجع السابق جه ص ١٠٣ .

لايؤخذ بالباطل ومطلعهـــا :

رويدك ليس الحق ينفـــــى
وليس مجد في الأمور كهـــازل
كزعمك ان الدرع لبسك في الوغى
وذاك الجبن فيك غير مزايـــل (١)

ويذكر الفاسي (٢) في كتابه " العقد الثمين " ان الأمير الصليحـي أراد أن ينتقم من الشاعر حينما سمع هذه القصيده ولكنه لم يستطع العثـور عليه لأنه كان شاعر الحرمين فاخفاه الناس عنه حتى خرج من بلاد الحجـاز .

ولا يفوتنا في هذا المقام ان نذكر الشاعر عمارة اليمني وقصائده في مدح الخلافة الفاطمية ومدح امراء مكة . وقد سبق أن تحدثنا عن ذلك في الفصل الأول من هذه الرساله وشعره من الشعر السياسي (٣) .

ويذكر ابن العماد الحنبلي (٤) ترجمة أحد امراء المخلاف السليماني الذى جاور بمكة بسبب خلافه مع أبناء عمومته أمراء المخلاف فأقام بمكة ويسمـــى " دهمش بن دهاس . وقد ذهب هذا الأمير الى صلاح الدين وهـــو

١) الباخرزى : دمية القصر جـ١ ص ٥٨ .
٢) الفاســي : العقد الثمين جـ ٦ ص ١٤٩ .
٣) عماره اليمني : تاريخ اليمن ص ١٠١ .
٤) ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦ ص ١٤٠ .

مقيم فى حلب وقال قصيدة امامه يمدح فيها اميرالمدينة قاسم الحسينى مطلعها :

سما بكرام فى ذوائبه هاشم
غطاريف ماجدين حجاجح

ويذكر لنا ترجمة سالم بن أبى سليمان . وهو مغربى الأصل ، أتى مكه وجاور بها ، ونظم قصائد فى المديح ، واعتنق مذهب الزيدية[1] .

ولا غرابة فى أن هذه الحقبة الزمنية التى تخص هذا البحث اتصفت بشعراء المديح . فمثلا ظهرت طائفه من هؤلاء الشعراء مدحت نظام الملك السلجوقى . وبرز فى هذه الفترة الحكام امثال بنى عقيل فى الموصل وبنو مزيد فى الحلة شجعوا امراء المدائح[2] .

ولقد برز فى الجزيرة العربية شعراء . مما أدى الى ظهور روح التنافس بين شعراء الشام والعراق ومصر . وبرز شعراء العقائد ايضا . فالصليحيون فى اليمن اهتموا بنشر المذهب الاسماعيلى .

---

١) شوقى ضيف : تاريخ الأدب جـ٥ ص١٠٤ .
٢) المرجع السابق : ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

وال نجاح في زبيد اهتم امراؤهم بالشعراء (١) .

ويصف لنا عمارة اليمني (٢) في كتابه المختصر أن لأحد امراء آل نجاح وهو جياش ، كان له ديوان ضخم وكان هذا الديوان كان يجمع بين النظم والنثر . وقد اهتم بنو زريع في عدن بالشعراء وكان يدعون للمذهب الفاطمي فنظموا قصائدهم في نشر هذا المذهب وحينما سيطر الايوبيون على اليمن والحجاز اهتموا بالشعراء ، واغدقوا عليهم الاموال ، مما أدى الى ظهور الحركة الشعرية في المدائح المختلفة . وسار على منهجهم سلاطين بني رسول الذين سيطروا على اليمن والحجاز من بعد سيطرة الايوبيين (٣) .

وامتاز بعض امراء مكة بنظم الشعر والتفاخر بانفسهم في نظمه . وأبرز شعرائهم الشريف قتادة بن ادريس الذى نظم الشعر

---

١) الباخرزى : دمية القصر جـ١ ص ٦٢ .
٢) عماره اليمني : تاريخ اليمن ص ١٦٩ .
٣) أحمد بدوى : الحياة الأدبية ص ٣٥ .

وافتخـــر بنفســـه وباسرته على غيره فى هذا الغرض حيث يقـــول

فى احدى قصائده :

ولى كف ضـرغـام أذل ببسطهـا

وأشرى بها عز الودى وابيع

تظل ملوك الأرض تلثم ظهرهـــا

وفى بطنها للمجدبين ربيع

أ اجعلها بين الرحى ثم ابتغـــى

خلاصا لها انى اذا لوضيع

وما أنا الا المسك فى كل بقعـــة

يضوع وأما عندكم فيضيـــع (١)

ونشأ شعر المراثى مواكبا لشعر المدائح ، فكان الشعراء ينظمون قصائد الرثاء كلما اقتضت المواقف ذلك • وكثر فى هذا العصر تأبيـن الشيوخ والفقهاء والمعلمين • وكان تلامذتهم وزملاؤهم ينظمون هـذه القصـائد ، ومثـل ذلك ، شـهاب الدين محمـود الفهرى فـى

---

١) الفاســى : العقد الثمين جـ٥ ص ١٤٨ •
ياقوت : معجم الأدباء جـ١١ ص ٦٨ •
النهروالى : الاعـلام ص ١٤٨ •
السباعى : تاريخ مكـه جـ١ ص ١٧٨ •

القصيدة التى نظمها لشيخه نجم الدين الطبرى قاضى مكه ومطلعها :

ما للجفون بها التسهيد قد نزلا
وما لطبيب الكرى عن مقلتى رحلا
ما بال قلبى بتذكار الهموم له
شغل ودمعى ان كفكفته همـلا
مفتاح كنز علوم الدين كم فتحت
به بصائر قوم للورى ذلـلا (١)

وقد نظمت قصائد كثيرة فى مراثى الشيوخ والامراء والعلماء فى الحجاز ونظمت مراسم كثيرة فى دعاة الدعوة الاسماعيلية ايضا ، ومراسم لسلاطين بنى رسول حتى انه لم يكن يموت سلطان منهم الا وينهال الشعراء بقصائدهم الحزينة تصف اهتمام سلاطين بنى رسول بالشعراء (٢) .

ولم يقتصر الشعراء على رثاء السلاطين فحسب بل رثى بعضهم أزواجه وأولاده بقصائد رثائيه خاصة بهم (٣) .

١) الباخرزى : دمية القصر جـ١ ص ٦٣ .
شوقى ضيف : تاريخ الأدب جـ٥ ص ١٠٩ .
٢) الخزرجى : العقود اللؤلؤيه جـ١ ص ٢٢٠ .
النهروالى : الاعلام ص ٢٢٥ .
٣) الباخرزى : دمية القصر ص ٦٥ .
شوقى ضيف : تاريخ الأدب جـ٥ ص ١١١ .

ومن الملاحظ أن أكبر بيئة عربيه شهدت شعراء المدائح النبوية هي البيئة الحجازية ، لأن الزهد والتصوف قد انتشر في هذه الحقبة الزمنية . فما من زاهد قصد الحج لأداء النسك ، أو قام بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ، الا وأنشد مدائحه .

ومن أشهرهم ابن عزمى اذ يقول :

مرضى من مريضه الاجفان

علانى بذكرها علانى

هفت الورق بالرياض وناحت

شجو هذا الحمام حماشجانى (١)

وحذا حذوه المتصوفة ، وعلى رأسهم القشيرى . وكانت أشعاره صوفيه وجدانيه . وسار على نهجه ابن الفارض . وله قصائد عديدة فى الزهد والتصوف ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم . وبهذا اكثرت القصائد

---

١) السخاوى : التحفه اللطيفه جـ٢ ص ٢٧٤ .
الباخرزى : دمية القصر جـ١ ص٦٥ .
شوقى ضيف: تاريخ الأدب جـ٥ ص ١١١ .

فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم[1] .

وأصبح المتصوفة يرددون هذه الأبيات ، كما رددها النساك والعباد والمجاورون بمكة والمدينة ، على نحو ما نجده فى ديوان الزمخشرى حتى لقب (بجار الله)[2] .

وتمتلئ المصنفات بالزهاد والنساك الذين جاوروا بمكه والمدينة وأنشدوا القصائد فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم . مما جعل البوصيرى ينظم همزيتين فى نحو أربعمائة وخمسين بيتا سماها " أم القرى فى مدح خير الورى) وكذلك قصيدته الميميه المشهورة باسم البردة[3] .

---

١) النهروالى : الأعلام ص٢٢٦ .
السمهودى : وفاء الوفا جـ٣ ص٧١٦ .
الباخرزى : دمية القصر ص٦٦ .
شوقى ضيف : تاريخ الأدب جـ٥ ص ١١٢ .
٢) الخزرجى : العقود اللؤلويه جـ١ ص٢٨٣ .
النهروالى : الأعلام ص٢٣٠ .
شوقى ضيف : تاريخ الأدب جـ٥ ص١١٣ .
٣) الباخرزى : دمية القصر جـ١ ص ٦٧ .
السمهودى : وفاء الوفا جـ٣ ص٧٢٠ .

التـــــاريخ :

لقد نشطت كتابة التاريخ فى الحجاز ، كما نشطت فى اقاليم الدولة الاسلامية كلها . ولمع كثير من المؤرخين وعلى رأسهم ابن شبه الـــذى أرخ لتاريخ المدينة فى القرنين الأول والثانى الهجريين[١] .

وابن زبالة الذى أرخ أيضا لتاريخ المدينة فى القرن الثانى ، وقـــد أخذ عنه السمهودى فى كتابه " وفاء الوفاء " والكتاب يعتبر دائرة معارف كبيرة ، يعتمد عليها أبى مؤرخ يؤرخ لتاريخ المدينة المنورة[٢] .

ولقد أهتم الازرقى[٣] فـى كتابه "أخبار مكة " الذى يعتبر أول كتـــاب

---

١) ابن خلكان : وفيات الأبيان جـ١ ص ٣٠١ .
المسعودى : مروج الذهب جـ٢ ص ٧٧ .
خيرالدين الزركلى : الاعلام جـ١ ص ١٢٨ .
٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ٢ ص٥٦ .
السمهودى : وفاء الوفـا جـ١ ص ٦٨ .
الانصـــارى : تحفة المحبين ص ١٣٣ .
خيرالدين الزركلى : الأعلام جـ٢ ص ٣٠٣ .
السخاوى : التحفة اللطيفة جـ١ ص ٤١٤ .
٣) الأزرقى : تاريخ مكـه جـ١ ص٤٦ .

ثم جاء بعدهم في العصر الحديث الشيخ أحمد زيني دحـــلان مفتـي الشافعـيه والف كتابه " خلاصة الكلام فى امراء البلد الحـــرام " وهؤلاء هم اشهر مؤرخي بلاد الحجاز وهم الذين قاموا بتدوين تاريـــخ بلاد الحجـــاز[1] .

* * *

١) دحلان : خلاصـــة الكلام ، ص ٢٠ .
شوقي ضيف : تاريخ الادب جـ٥ ص ٨٥ .

المصَادر والمراجع

المصـــــــــادر

أولا : المخطوطـــات :

- ابن الضيـــاء :

تاريخ مكة المشـرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة ، دار الكتب المصرية ،رقم ١٥٧٠ تاريخ .

- ابن فهـــــد : (ت ٨٨٥هـ) :

اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، مكتبة الحرم المكى ، رقـــم ٢ ، تاريخ .

- الاسـدى (ت ١٠٦٦ هـ) :

أخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ، مكتبة الحرم المكى ، رقـــم ٤٨ تاريخ .

- الرشـيـدى :

حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امارة الحاج ، ميكروفيلـــم معهد المخطوطات - جامعة الدول العربية ، ٢١٥ تاريخ .

- الصبـــاغ (ت ١٣٢١ هـ) :

تحصيل المرام فى أخبار بيت الله الحرام ، مكتبة الحرم المكـــى رقم ٤٨ تاريخ .

ـ الطبرى : (محمد بن على بن فضل بن عبد الله) :(ت ١١٧٣هـ) :
اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن ، مخطوط مصـــور
على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية رقم ٨٧٠ تاريخ .
ـ الطبرى : (محى الدين على بن عبد القادر الشافعى الحسينى) (ت ١٠٧٠هـ) :
الارج المسكى فى التاريخ المكى ، مخطوط بمكتبة الحرم المكـــى
رقم ٣ تاريخ .
ـ العينى : (ت ٨٥٥ هـ) (بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى)
عقد الجما ل فى تاريخ أهل الزمان ٢٣ جزء .
ـ الفاســى : (ت ٨٣٢ هـ) :
تحصيل المرام فى تاريخ البلد الحرام ، مخطوط مصور علــــــى
ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية رقم ٩٣٩ تاريخ .
ـ سبط بن الجوزى : (ت ٦٥٤ هـ)
مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان ، مخطوط مصور بدار الكتب المصريــة
رقم ٥٥١ تاريخ .

* *

ثانيا : المصادر المطبوعـــة :

ـ ابن الاثيـــر : (ت ٦٣٠ هـ)

الكامل فى التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٧ م ٠

ـ ابن الديبع :

قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد بن علـــى الاكوع ، القاهرة ، ١٩٦٤ م ٠

ـ ابن العماره الحنبلى :

شذرات الذهبفى أخبار من ذهب ، القاهرة ، ١٩٥١ م ٠

ـ ابن النجـــار :

الدره الثمينه فى فضل المدينة ، القاهرة ، ١٩٤٧م ٠

ـ ابن الوردى :

تاريخ ابن الوردى : جزآن ، القاهرة ، ١٢٨٥ هـ ٠

ـ ابن أيبك الدوادارى :

كنز الدرر وجامع القرر ، تحقيق صلاح الدين المنجى ، القاهرة ١٩٦١ م ٠

ـ ابن بطوطـــه :

رحلة ابن بطوطه ، القاهرة ، ١٩٢٩ م ٠

ـ ابن تغرى بردى :

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، ١٩٧٢ م ٠

_ ابن حوقـــــــل :

صورة الارض ، طبعة لندن ، ١٩٣٨ م .

_ ابن جبيـــــر :

الرحلــة ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

_ ابن حجر العسقلانى :

الدرة الكامنة فى أعيان المائة الثانية ، تحقيق محمد سعيد جـاد الحق ، نيودلهى ، ١٣١٩ م .

_ ابن خلــــدون :

العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ١٩٧١ م .

_ ابن خلكـــان :

وفيات الاعيان وأبناء الزمان ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .

_ ابن شـــداد :

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه ، سيرة صلاح الدين ، تحقيق جمال الدين الشـيال ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

_ ابن ظهيـــره :

الجامع اللطيف فى فضل مكة وبناء البيت الشـريف ، القاهـرة ١٩٣٨ م .

_ ابن فضل الله العمرى : (ت ٧٤٢هـ) :

مسالك الابصار فى ممالك الانصار ، تحقيق أحمد زكى _ القاهرة ، ١٩٢٤ م .

ابن واصـــــل :

مفرج الكروب فى أخبار بن أيوب ، الاجزاء من ١ : ٣ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

- أبو الفـــدا :

المختصر فى أخبار البشـر ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

- أبو شـــــامه :

كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النوريه والصلاحيه ، تحقيـق محمد حلمى أحمد ومراجعة محمد مصطفى زياده ، القاهـرة ١٩٦٢ م .

- الازرقـــــى :

أخبار مكه وماجاء فيها من الاثـار ، تحقيق رشدى صالـح مكه ، ١٣٧٢ هـ .

- الاسـنـــوى : جمال الدين عبد الرحيم الاسنوى (ت ٧٧٢هـ) :

(طبقات الشافعية ، الجزء الاول ، تحقيق عبد اللـــه الجايودى ، بغداد ، ١٩٧٠ م .

- الاصفهانـــى :

الاغانى ، القاهرة ١٩٢٧ م .

- الانصارى : عبد الرحمن عبد الكريم الانصارى ، تأليف ١١٢٤ هـ :

تحفة المحبين والاصحاب فى معرفة ما للمدينين من الانساب ، تحقيق محمد العروس ، تونس ، ١٩٧٠ م .

ـ الباخرزى :

دمية القصر وعصر أهل العصر ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

ـ البـــلاذرى :

فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٠١ م .

ـ الجزيــــرى : عبد القادر بن محمد الانصارى الجزيرى : تأليف ٩٤٤ هـ

درر الفوائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكه المعظمة ، القاهـــرة ١٣٨٤ هـ .

ـ الخزرجــــى :

العقود اللوءلوءية فى تاريخ الدوله الرسوليه ، تحقيق محمـــــــد بسيونى عسل ، القاهرة ، ١٩١١ م .

ـ الســـــبكى : تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى : تأليف ٧٧١ هـ

طبقات الشافعى الكبرى ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحى .

ـ الســـــخاوى :

التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفه ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

ـ الســـمهودى :

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ـ تحقيق محمد محيى الديـــــــن عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٥ م .

ـ الصفـــــدى :

الوافى بالوفيات ـ الطبعة الثانية ، ١٩٦٢م .

ـ العبـــــاس :

عمدة الأخبار فى مدينة المختار ، جدة ، ١٣٥٩ هـ .

ـ العـــــرش :

بلوغ المرام فى شــرح مسك الغرام ، القاهرة ، ١٣٩٩ م .

ـ الغسانى : الملك الاشرف أبو العباس الغسانى :

العسجد المسبوك والجوهر المحكوك فى طبقات الخلفاء والملوك ،

تحقيق محمود عبد المنعم ، بغداد ، ١٩٧٥ م .

الفاســـــــى :

١) العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ـ تحقيق محمـــــد

حامد الفقى ، القاهرة : ١٩٥٩ م .

٢) شفاء الغرام لأخبار البلد الحرام ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

ـ الفاكهـــــى :

المنتقى فى أخبار أم القرى ، بيروت ، ١٩٦٠ م .

ـ الفيـــروز ابادى : مجد الدين أبى الطاهر محمد بن يعقوب ـ تأليف ٨٢٣ هـ

المغانم المطابه فى معالم طابه ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض ،

١٣٨٩هـ .

ـ القطـبى : عبد الكريم بن محب الدين (ت ١٠١٤هـ)

تاريخ البلد الحرام ، الطبعه الاولى ، ١٣٦٧ هـ .

ـ القلقشندى : أبو العباس أحمد ـ تأليف ٨٢١ هـ :

صبح الاعشى فى صناعة الانشا ،القاهرة ،١٩١٨ م .

ـ الماوردى : تأليف ٤٥٠ هـ :

الأحكام السلطانيه والولايات الدينية ، القاهرة ،١٩٧٣ م .

ـ المراغـــــى :

تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجره ، تحقيق محمـــــد

عبد الجواد الاصمعى ـ القاهرة ١٩٥٥ م .

ـ المســـعودى : تأليف ٣٩٦ هـ :

مروج الذهب ومعادن الجوهر ،القاهرة ١٩٣٨ م .

ـ المقدسى : تأليف ٣٨٨ هـ :

أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ،ليدن ١٩٦٧ م .

ـ المقريـــزى :

١) الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ،تحقيق

جمال الدين الشيال ،القاهرة ١٩٥٥ م .

٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ،القاهرة ١٣٥٤ هـ .

٣) السلوك لمعرفة دول الملوك ـ الجزء الاول ثلاثة أقســـام

تحقيق محمد مصطفى زياده ،القاهرة ١٩٥٦ م .

٤) اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الحنفا :

الجزء الاول تحقيق جمال الدين الشيال ،القاهرة ١٩٦٧ .
الجزء الثانى والثالث تحقيق محمد حلمى أحمد ـ القاهرة ١٩٧٣م .

ـ النهروالى : قطب الدين النهروالى المكى الحنفى تأليف ٩٨٨ هـ :

الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ،القاهرة ، ١٩٧٤ م .

ـ النويـــرى :

نهاية الارب فى فنون الادب ـ دار الكتب ، القاهـــرة ١٩٤٣م .

ـ زينى دحـــلان : تأليف ١٣٠٤ هـ :

خلاصة الكلام فى بيان أمراء البيت الحرام ، القاهرة ،١٩٧٧م .

ـ عمـارة اليمـنى :

تاريخ اليمن ـ تحقيق حسن سليمان محمود ،القاهرة ،١٩٥٧م .

ـ محب الدين الطبرى :

القرى لقاصد أم القرى ـ تحقيق مصطفى السقا ، القاهـــرة ، ١٩٤٨م .

ـ ناهد خســرو : تأليف ٤٥٤ هـ :

سفر نامه ـ نقله الى العربية يحيى الخشاب ، الطبعـــة الثانية ، بيروت ١٩٧٠م .

ـ ياقوت الحمـــوى : ت ٦٢٦ هـ

١) معجم البلدان ، بيروت ١٩٧٧ م .

٢) معجم الادباء ،بيروت ١٩٦٥ م .

ـ يحيى بن الحسين : تأليف ١١٠٠ هـ :

غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، جزآن ـ تحقيق سعيـــد عبد الفتاح عاشور ،القاهرة ١٩٦٨ م .

ثالثا : المصادر الحديثـــه :

ـ ابراهيم رفعـت :

مرآة الحرمين ،القاهرة ١٩٢٥ م ٠

ـ ابراهيم على العياش :

المدينة بين الماضى والحاضر ،دمشق ١٩٧٣ م ٠

ـ أحمد السباعى :

تاريخ مكه ـ دار مكه للطباعه ،١٣٩٩ هـ ٠

ـ أحمد السيعد سليمان :

تاريخ الدولة الاسلاميه ومعجم الأسرات الحاكمه ـ القاهرة ١٩٦٦م ٠

ـ أحمد السيد دراج :

١) ايضاحات جديدة عن تحول فى تجارة البحر الأحمر ، مقـــال بمجلة الجمعية المصرية التاريخية ١٩٦٨ م ٠

٢) عيـذاب :

مقال بمجلة نهضة أفريقيا ،يوليو ـ أغسطس ١٩٥٨ م ٠

ـ أحمـد بـــدوى :

الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية ،القاهرة ١٩٧٤ م ٠

ـ أحمد بيلـى :

حياة صلاح الدين ،القاهرة ١٩٢٠ م ٠

ـ أحمد خورشـــيد :

القرآن وعلومه فى مصر منذ الفتح الاسلامى حتى قيام الدولة الفاطمية ،القاهرة ١٩٧٦ م ٠

ـ أحمد سعيد محمد :

الشخصية المصرية فى الأدب الفاطمى ،القاهرة ، ١٩٧٤م ٠

ـ أحمد عبد الله الحسينى البرادعى :

الدره السنية فى أنساب الحسنيه والحسينيه ،مكه ١٣٧٥ هـ٠

ـ اسماعيل باشا البغدادى :

هدية العارفين بأسماء المؤلفين بآثار المصنفين ، القاهرة ١٩٥٥ م ٠ـ

ـ السيد البازى العرينى :

مصر فى عصر الأيوبيين ، القاهرة ١٩٦٠ م ٠

ـ جواد علـــى :

المفصل فى تاريخ العرب قبلا الاسلام ،بيروت ١٩٦٩ م ٠

ـ حسن ابراهيم حسن :

١) تاريخ الاسلام السياسى ،القاهرة ١٩٦٧ ٠

٢) تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٨م ٠

٣) المعز لدين الله الفاطمى ، القاهرة ١٩٥٦ م ٠

ـ حســـن الباشـــا :

الالقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٥٧ م ٠

ـ حسنين محمد ربيـع :

١) النظم المالية فى مصر زمن الايوبيين ،القاهرة ١٩٦٤ ٠

٢) وثائق الجنيزه وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى بموانى٠

الحجاز واليمن فى العصور الوسطى ٠

الندوه الاولى لمصادر تاريخ الجزيرة العربية ـ جامعـــة

الرياض ١٩٧٧ م ٠

٣) البحر الاحمر فى العصر الايوبى ـ ندوة تاريخ البحر الاحمر

جامعة عين شمس ١٩٧٩ م ٠

ـ حسين الصيرفـــى :

علماء البحار العرب واصطلاحاتهم البحرية ـ مجلة مجمع اللغـة

العربية ـ العدد الرابع والعشرون ٠

ـ حسين باسلامـــه :

تاريخ عمارة المسجد الحرام ، جده ، ١٣٩٩ هـ ٠

ـ حمد الجاســـر :

١) بلاد ينبع ،الرياض ، ١٣٨٩ م ٠

٢) رسائل فى تاريخ المدينه ،الرياض ، ١٣٩٩ هـ ٠

ـ خير الدين زكـــــى :

الأعلام ،القاهرة ، ١٩٥٩ م .

ـ ذو النون المصـرى :

عمارة اليمن ،القاهرة ،١٩٦٦ م .

ـ زكى محمد حسـن :

الفن الاسلامى فى مصر ،القاهرة ١٩٦٦ م .

ـ سعاد ماهـــر :

البحرية فى مصر الاسلامية ،القاهرة ١٩٦٧ م .

ـ سعيد عبد الفتاح عاشور :

١) الايوبيون والمماليك فى مصر والشــام ،القاهرة ١٩٧٠ م .

٢) الحركة الصليبية ،القاهرة ،١٩٧١ م .

ـ سيده اسماعيل كاشف :

مصر فى عصر الاخشيديين ،القاهرة ،١٩٦٧ م .

ـ شــوقى ضيف :

عصر الدول والامارات ،القاهرة ، ١٩٨٠ م .

ـ صبحى لبيـــــب :

التجاره الكارميه وتجارة مصر ـ المجلة التاريخية المصريه ـ المجلد

الرابع ـ العدد الثانى ،١٩٥٢ .

ـ عائشــة باقاس :

بلاد الحجاز فى العصر الايوبى ـ رسالة ماجستير ، مكه المكرمه ١٤٠٠ هـ ٠

ـ عاتق البلادى :

معجم بلاد الحجاز ،مكه ١٣٩٩ هـ ٠

ـ عبد الرحمن فهمى :

النقود العربية ماضيها وحاضرها ـ القاهرة ١٩٦٤ م ٠

ـ عبد الرحمن الحــوت :

رسالة المسجد فى رمضان ـ بحوث مؤتمر رسالة المسجد ،مكة ١٣٩٥ هـ ٠

ـ عبد العزيز الأزهرى :

قصص عكاظ ،القاهرة ، ١٩٥٦ م ٠

ـ عبد القادر ملاقلندل :

الخلاصه المفيده لأحوال عين زبيده ،القاهرة ، ١٩٥٠ م ٠

ـ عبد القدوس الانصارى :

١) آثار المدينة المنوره ـ بيروت ١٩٧٣ م ٠

٢) تاريخ مدينة جده ، بيروت ، ١٩٨٠ م ٠

ـ عطيه القوس :

تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسيه ـ القاهرة ١٩٧٦ م ٠

ـ عزيز سوريال عطيـــه :

العلاقات بين الشـرق والغرب ـ ترجمة فيليب صابر ، القاهـرة ١٩٧٢ م .

ـ على بن حسين السليمان :

١) العلاقات الحجازيه المصرية ، القاهرة ١٩٧٣ م .

٢) النشاط التجارى فى شبه الجزيره أواخر العصور الوسطى ـ رسالة دكتوراه فى الآداب ـ جامعة القاهرة ١٩٧٤ م .

ـ على حافـــــظ :

فصول من تاريخ المدينة ،القاهرة ١٩٧٩ .

ـ على حسنى الخربوطلى :

١) تاريخ الكعبة ،بيروت ١٩٧٦ م .

٢) مصر العربية الاسلاميه ،القاهرة ١٩٦٣ م .

ـ فوءاد سزكـين :

تاريخ التراث العربى (الجزء الأول) نقله الى العربية فهمـــــى أبو الفضل ـ وراجعه محمود فهمى حجازى ، القاهـــــــره ، ١٩٧١ م .

ـ محسن محمد حسنين :

أربيل فى عهد الاتابكه (٥٢٢ هـ : ٦٣٠ هـ) بغـــداد ، ١٩٧٦ م .

_ محمد أبو الخير مرداد :

نشـر النور والزهر ، جده ، ١٤٠٠ هـ .

_ محمد الحسـينى :

الحياة العلميه والأدبيه فى الدولة الاسلامية ، بيروت ، ١٩٧٩م .

_ محمد أمين صالـح :

١) دراسات نقديه ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

٢) علاقة الفاطميين بالصليحيين فى اليمن ، المجلة التاريخيـــة المصرية ١٩٧٩ م .

_ محمد أنور شـكرى :

لوحان أثريان ، مكه ١٣٩٦ هـ .

_ محمد بهجت مختار :

الصلات السياسية والحضارية بين مصر وبلاد الحجاز منذ بدايـة العصر الاسلامى حتى نهاية عصر المماليك _ رسالة دكتوراه _ جامعة القاهرة _ ١٩٨٠ م .

_ محمد جمال الدين سرور :

١) سياسة الفاطميين الخارجيه _ القاهرة ١٩٧٦ م .

٢) النفوذ الفاطمى فى الجزيرة العربية ، القاهرة ١٩٦٤ م .

_ محمد حسين الذهبى :

المسجد محور النشاط _ بحوث مؤتمر رسالة المسجد ، ١٣٩٥هـ .

- محمد حسين يوسف :

رسالة المسجد فى العالم عبر التاريخ - بحوث مؤتمر رسالة المسجد ١٣٩٥هـ .

محمد عبد العال أحمد :

١) الأيوبيون فى اليمن ، القاهرة ١٩٧٧ م .

٢) بنى رسول وبنى طاهر ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

- محمد عبد الفتاح عليان :

الحياة السياسية ومظاهر الحضاره فى عهد دولة بنى رسول فى اليمن - القاهرة - ١٩٧٣ م .

- محمد لبيب البتانونى :

الرحلة الحجازية - القاهرة ، ١٣٢٩ هـ .

- محمود رزق محمود :

العلاقة بين أرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين - رسالة ماجستير - جامعة عين شمس ، ١٩٧٣ م .

- ناجى معروف :

المدارس الشرابيه ببغداد ، وواسط ومكه - بغداد - ١٩٦٥ م .

- نعيم زكى فهمى :

طرق التجاره الدوليه ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٧٣ م .

- يوسف أحمد :

المحمل والحج ، القاهرة ، ١٣٥٦ هـ .

* * *

ـ محمد حسين يوسف :

رسالة المسجد فى العالم عبر التاريخ ـ بحوث مؤتمر رسالة المسجد ١٣٩٥هـ ٠

محمد عبد العال أحمد :

١) الأيوبيون فى اليمن ،القاهرة ١٩٧٧ م ٠

٢) بنى رسول وبنى طاهر ،القاهرة ،١٩٧٩م ٠

ـ محمد عبد الفتاح عليان :

الحياة السياسية ومظاهر الحضاره فى عهد دولة بنى رسول فى اليمن ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ م ٠

ـ محمد لبيب البتانونى :

الرحلة الحجازية ـ القاهرة ،١٣٢٩ هـ ٠

ـ محمود رزق محمود :

العلاقة بين أرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين ـ رسالة ماجستير ـ جامعة عين شمس ،١٩٧٣ م ٠

ـ ناجى معروف :

المدارس الشرابيه ببغداد ،وواسط ومكه ـ بغداد ـ ١٩٦٥ م ٠

ـ نعيم زكى فهمى :

طرق التجاره الدوليه ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ،القاهرة ١٩٧٣ م ٠

ـ يوسف أحمد :
المحمل والحج ، القاهرة ،١٣٥٦ هـ ٠

* * *

- Dohaish, Abdul latif Abdullah, History Education in the Hijaz up to 1925, Cairo 1398 / 1978 .

- Gerold, De Guary: " Rulers of Mecca London 1951.

- Hindley, Geoffrey: Saladin, London 1976 .

- Kammerer, A : "La Mer Rouge, Paris , 1925 .

- Lewis, Bernard, " Egypt and Syria ", in The Cambridge History of Islam, Voll (Cambridge, 1970).

- Rabie, Hassanein, The Financial System of Egypt . A.H. 564 -741 / A.D. 1169 - 1341, London, 1972 .

- Kammerer, (Albert) :
" La Mer Rougea travers Les Ages" , Paris , 1922.

- The Cambridge History of Estam", Vol. I, Cambridge, at the University Press London, 1970 .

- Arashid's A.A. Cirtical Stuc'y of The Pilgrimi Road between Kuba and Mecca " Darb Zupaydah with that did of ficld work P.H.D. Thesis University of Leeds 1977 .

* * *